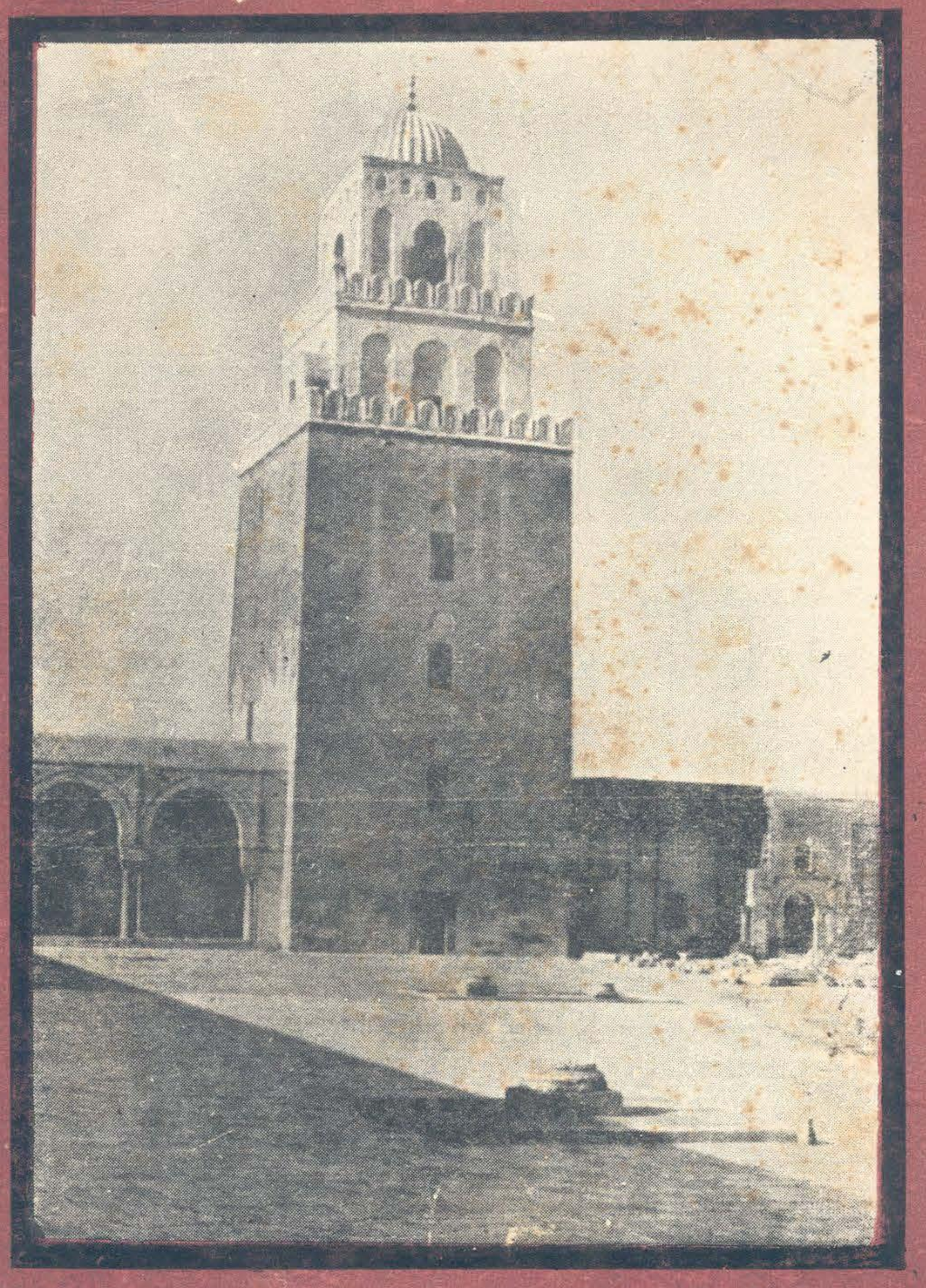
وزارة الثقافة والإرشاد القومي — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

العمارة في صدر الإسلام



تأليف

الدكتور كمال الدين سامح



العمارة في صدر الإسلام

تأليف

الدكتور كمال الدين سامح

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

للعمارة الاسلامية تراث عظيم ظفرت به معظم البلدان التى حكمها المسلمون منـذ فجر الاسلام حتى اليوم ، حين امتـدت أطراف الدولة الاسـلامية من المحيط الأطلسى حتى الخليج العربى ومن جنوب ايطاليا حتى بـلاد اليمن . ويحق لنـا أن نلم بمـا بقى من آثارها وأن نحافظ على هذا التراث الخالد .

حالة الفنون فى بلاد العرب قبل الاسلام :

لم يكن فى بلاد العرب قبل الاسـلام أساليب فنية أصيلة ــ وكل ما كان فيها من فنون انمـا نقل عن المدنيات المجاورة ــ فقد كانت هناك فى بلاد العرب الجنوبية قصور كما وجدت قصـور أخرى فى بادية الشام بين الأملاك البيزنطية وبين الحجاز ونجد . وكان هناك فن نَبَطى فى شمال شرقى شبه جزيرة سينا ــ وبخاصة فى مدينة البتراء وهى المدينة المنحوتة فى الصخر بين العقبة وبين معان .

وقد كشفت فى بلاد العرب الجنوبية تحف صغيرة مكونة من مسارج وتماثيل صغيرة وشواهد نذرية ويلاحظ فى هذه التحف أنها متأثرة تأثيراً كبيراً بالفن الرومانى .

نشـأة الفنون الاسلاميـة :

اذا أردنا أن نعرف الأسس التى قام عليها الفن الاسلامى اتجهت أنظارنا الى مصادر ثلاثة :

أولا ــ الفنون المسيحية الشرقية .
ثانيا ــ الفن الساسانى فى ايران والعراق .
ثالثا ــ الفن القبطى فى مصر .

أما الفنون المسيحية فى الشرق فقد كان مركزها فى سوريا ، وتأثرت كل التأثير بأساليب الفنون الهلينية ، وقد كانت الشام عامرة بالمبانى التى ترجع الى الطراز الهلينى ــ فنقل عنها المسلمون بعض أساليب العمارة والزخرفة فنرى مثلاً فسيفساء المسجد الجامع فى دمشق وأكثرها يرجع الى سنة ٧١٥ م . وعناصر الزخرفة فيهـا هلينية ــ كما أن قصر المشتى (٧٤٣ ــ ٧٤٤ م) فى الشام نرى أن جانباً من الزخارف المحفورة على الحجر فى يسار الواجهة ، يشتمل على زخارف هلينية مما جعل بعض العلماء وعلى رأسـهم ستريجوفسكى يظنون أن هـذا القصر يرجع الى القرن الرابع الميـلادى ، أما فى الجانب الآخر من الواجهة ففيهـا زخارف من الطرازين الهلينى والساسانى .

وعلى كل حال فقد كانت الأساليب الفنية الهلينية منتشرة فى الشرق الأدنى قبل ظهور الاسـلام بقرون طويلة ، كما كانت الأساليب الفنيـة الايرانية منتشرة أيضاً فى تلك البقاع ــ والواقع أنه كان هناك تمازج بين هذين الفنين (الايرانى والهلينى) منذ فتح الاسكندر الشرق الأدنى فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ــ فتسربت اليه الأساليب الفنية الهلينية فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ــ فتسربت اليه الأساليب الفنية الهلينية الممزوجة بأساليب الفنين الهندى والساسانى .

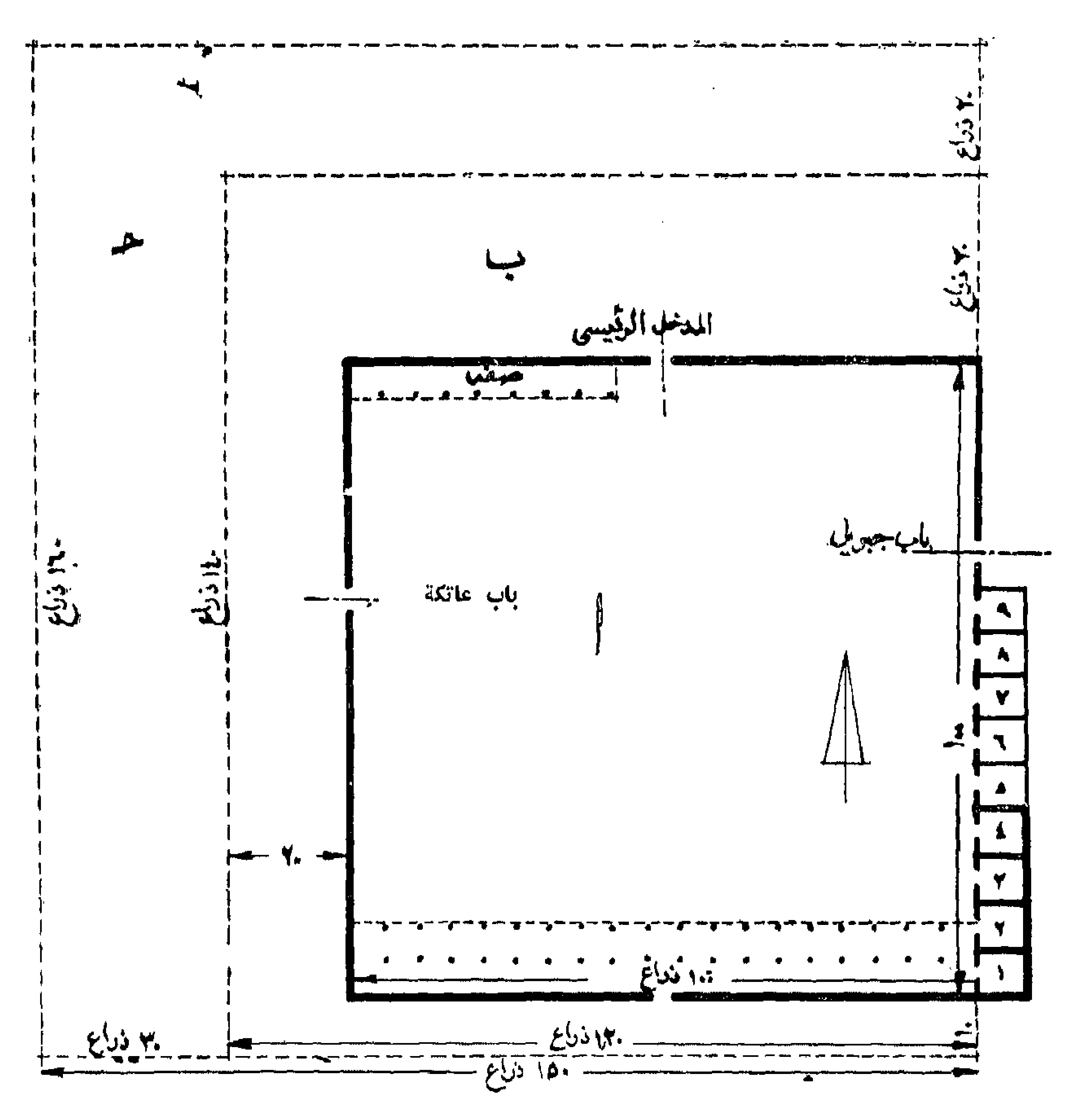
أما فى مصر فقد كان الفن القبطى مزدهراً عنـدما فتـح العـرب وادى النيـل ــ والفـن القبطى كمـا نعـرف مقتبس من الفـن المسيحى المبكر . ولمـا حل العرب فى مصر وظلوا مدة قرن أو أكثر من

الزمان حريصين على الاشتغال بالأمور الحربية والدينية دون سواها ، تركوا الصناعة والتجارة لأهل البلاد ، وظلت الفنون والصناعات فى يد أهل البلاد حتى تدرجت أساليبهم الصناعية شيئا فشيئا وأصبحت فى العصر الفاطمى فناً اسلاميا الى حد كبير .

وهكذا نرى أن العرب كان لهم كل الفضل فى قيام الدين الاسلامى والدولة الاسلامية ولكن الحال لم يكن كذلك فيما يختص بالفنون فقد كان العرب بدواً ليست لهم تقاليد فنيـة عريقـة فكان طبيعيا أن يكون نصيبهم فى قيام الفنون الاسلامية روحيا فحسب . وان كنا لا نستطيع أن نرجع اليهم فى الزخرفة أو الشكل أو الأساليب الصناعية مايعترضنا من العناصر فى الفنون الاسلامية . أما نصيبهم الروحى فصعب تحـديده ولكنه يتلخص فى أنهم جمعوا شتى الأساليب الفنية القديمة وطبعوهـا بطابع دينهم الجديد وأنشأوا فناً اسلاميا متميزاً عن غيره من الفنون .

العمارة الاسلامية فى بداية الاسلام :

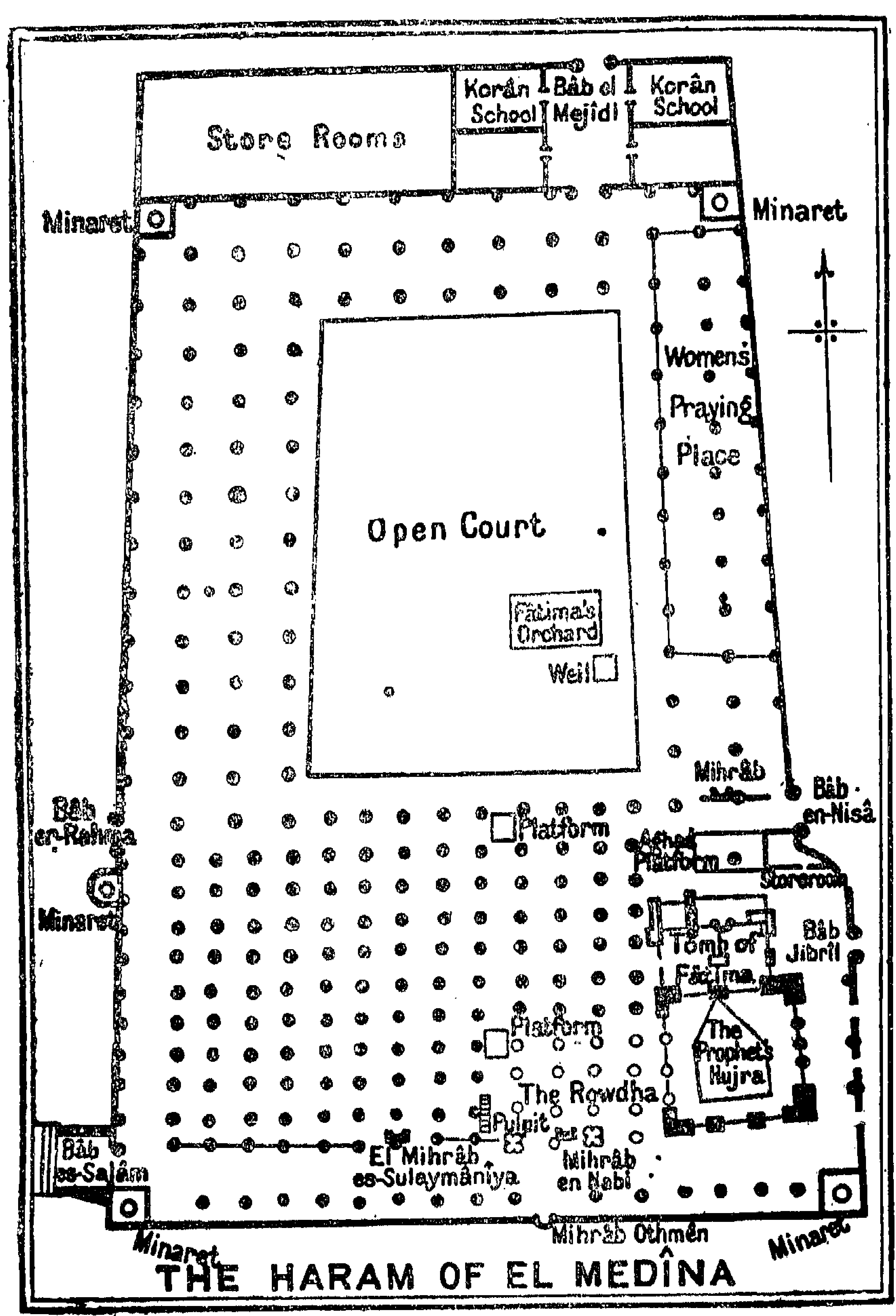
وقد كان الغـالب على الجمـاعة الاسلاميـة الناشـئة فى عصر النبى (صلعم) وفى عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، البساطة وخشونة العيش والجهاد فى سبيل الله ــ ولم يعرف عن العمارة فى ذلك العهـد سوى دار الرسول وبعض مساجد ذات جدران من اللبن وأسقف من سعف النخيل ، بسيطة فى تخطيطها ، محاطة بجدران أربعة ، وقـد تحاط فى بعض الأحيـان بخندق محفور كما هو الحـال فى مسجدى الكوفة والبصرة ، وكان السقف مقاماً على أعمدة مصنوعة من جذوع النخـل ، أو من الأعمدة الحجرية المـأخوذة من المعابد والكنائس القديمة فى الأقطار التى فتحها العرب .



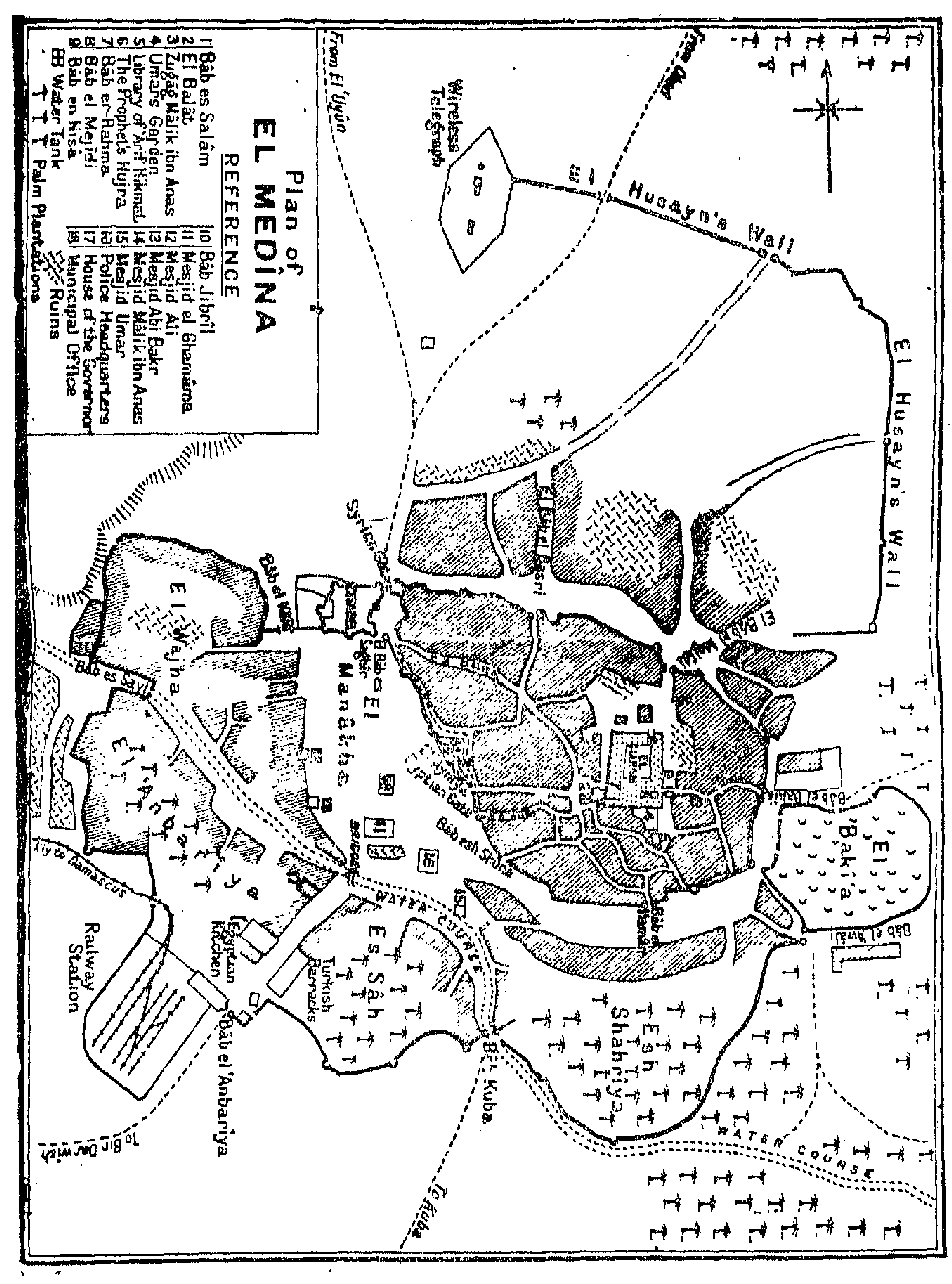
المدينة : بيت النبى   مقياس الرسم ١ : ٦٠٠

شكل (١)

يبين بيت الرسول والغرف من ١ ــ ٤ حوائطها من اللبن وسقفها مكونة من زعف النخيل وعليها طبقة من الطين فى الغرف ٥ ــ ٩ حوائطها من البوص (الغاب) وسقوفها من زعف النخيل وعليها طبقة من الطين أيضا .



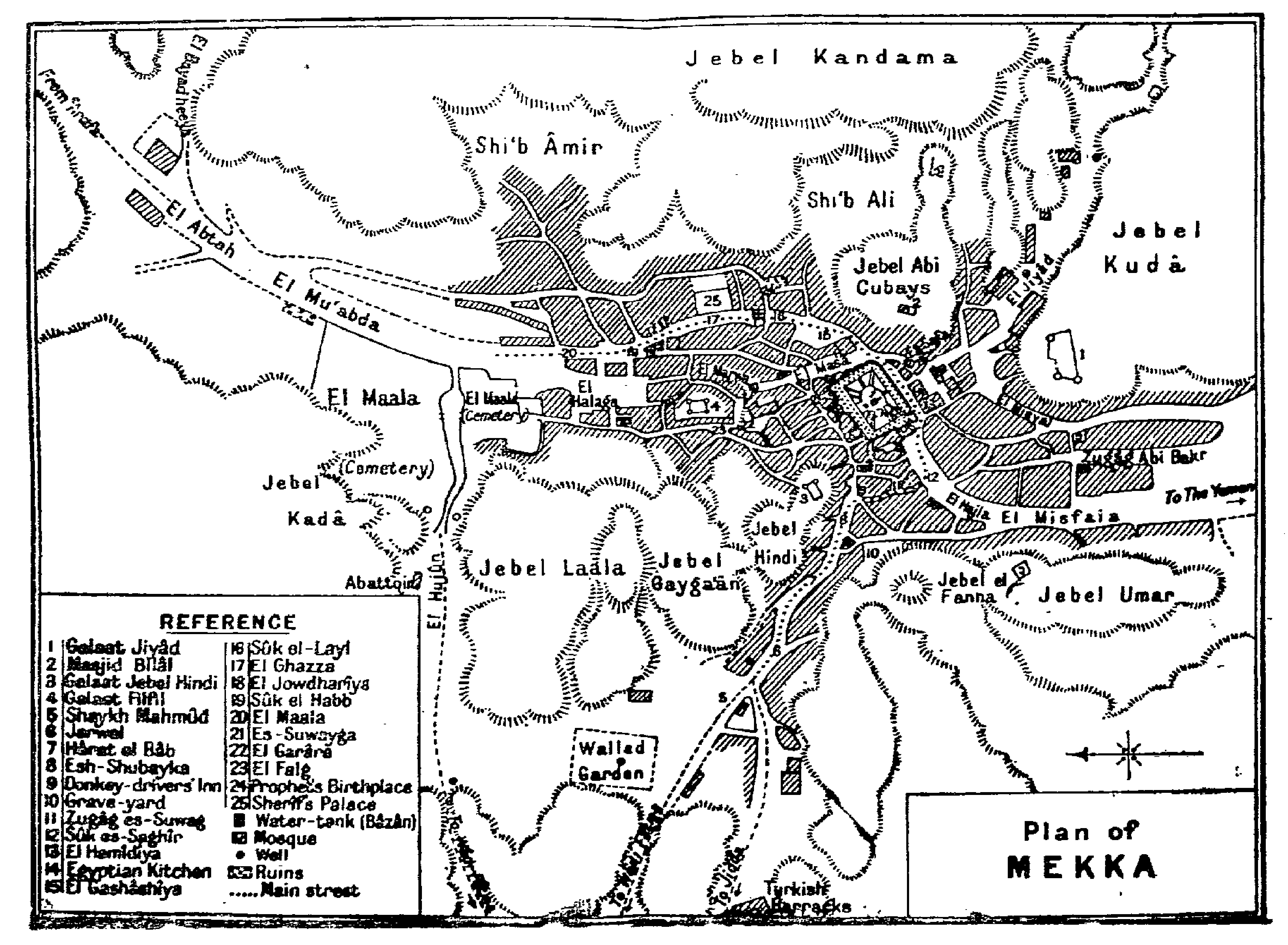
شكل (٢)
تخطيط الحرم بالمدينة بعد الاضافات التى أدخلت عليه
(عن مصلحة الآثار)



شكل (٣)

تخطيط المدينة بعد الاضافات المتعاقبة . ويرى بها موقع « الحرم »

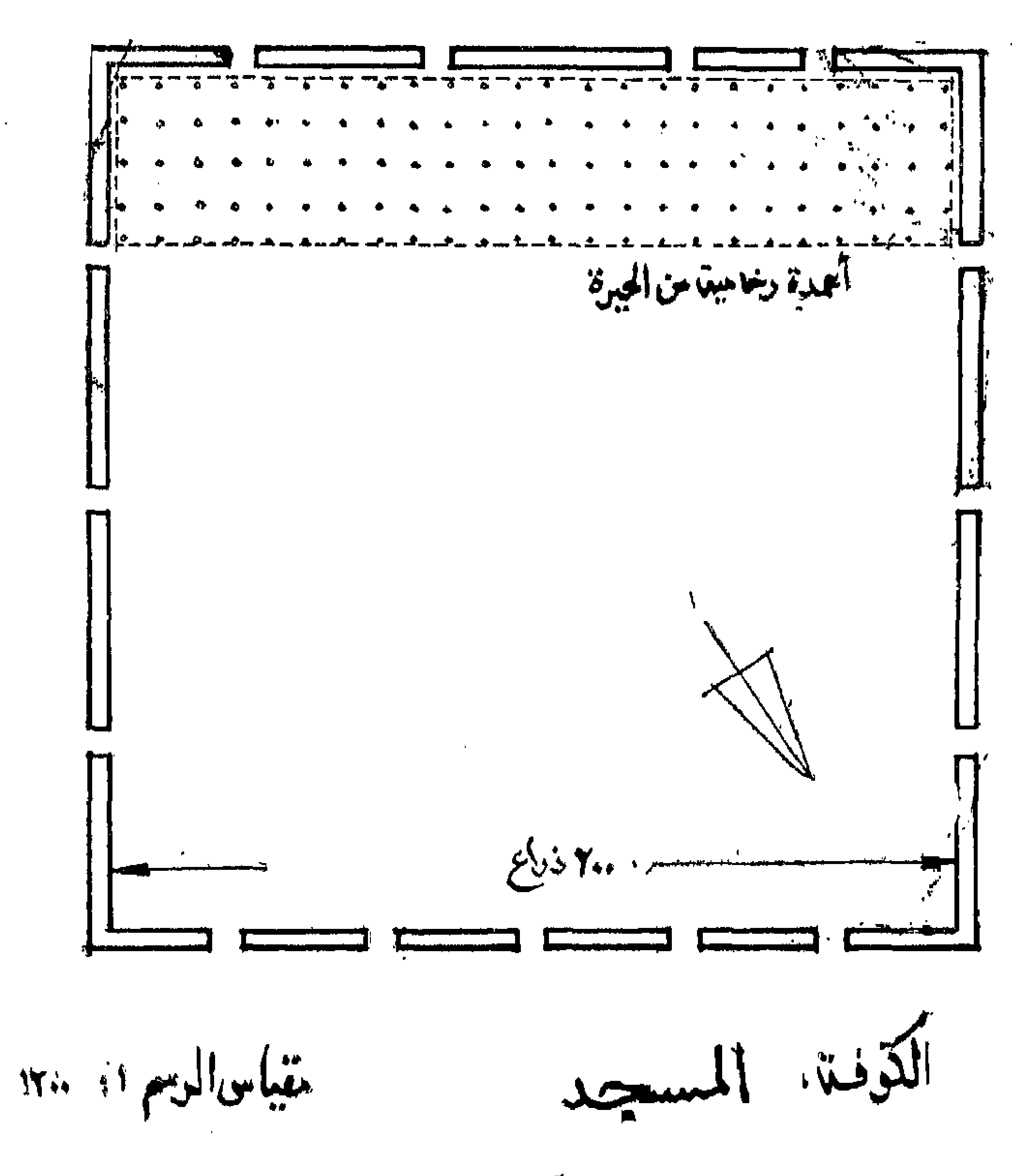
(عن مصلحة الآثار)



شكل (٤)

تخطيط مدينة مكة بعد الاضافات المتعاقبة عليها .

(عن مصلحة الآثار)


أعمدة رخامية من الحيرة
٢٠٠ ذراع
الكوفة، المسجد
مقياس الرسم ١: ١٢٠٠

شكل (٥)

العمارة الاسلامية في العصر الأموي

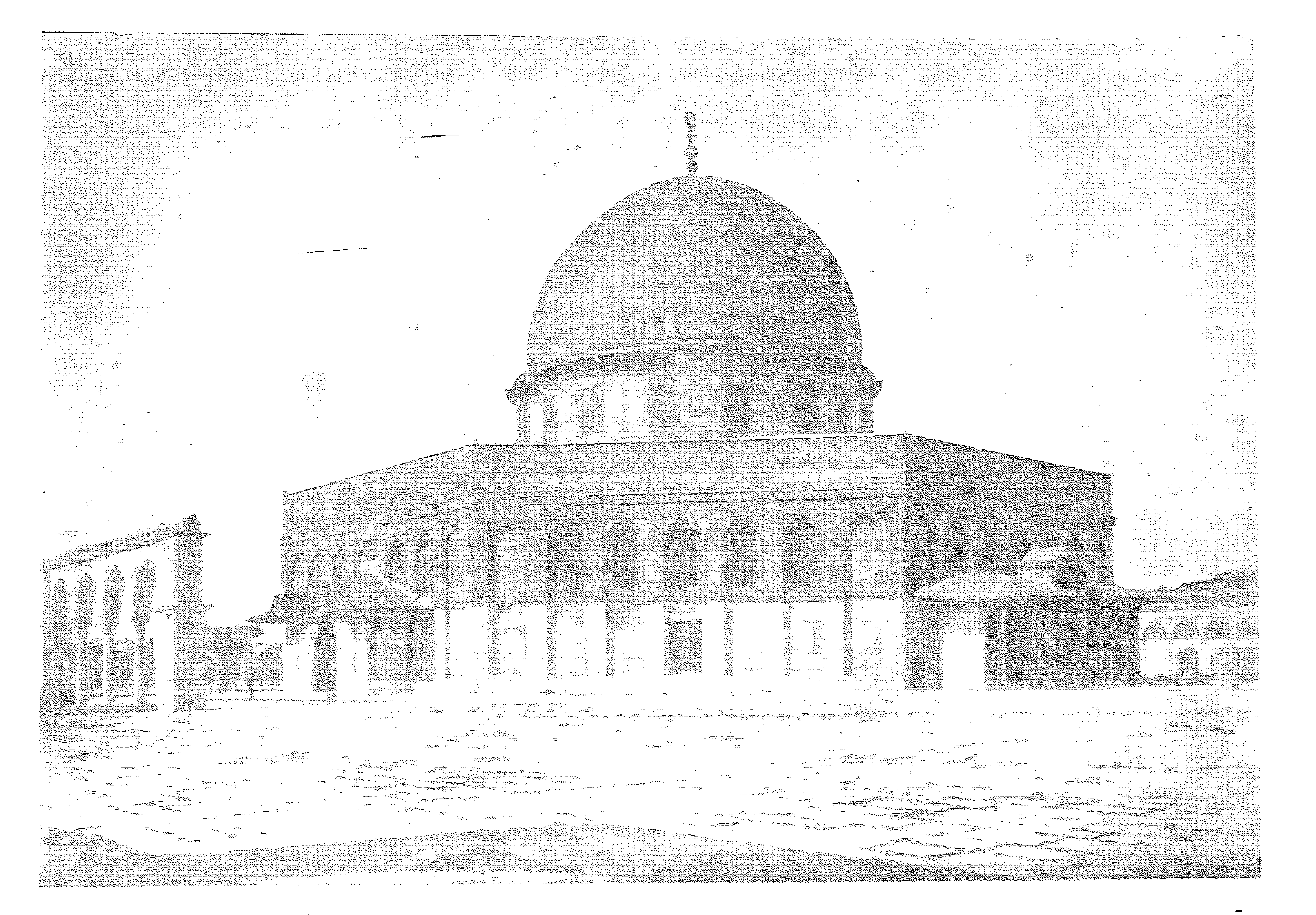
على أثر استيلاء الأمويين على الخلافة انتقلت عاصمة الدولة الاسلامية من المدينة والكوفة الى دمشق وكان ذلك ايذاناً بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين — وعاش الأمويون فى الشام وبدأوا يفكرون فى تشييد مساجد توازى فى العظمة كنائس المسيحيين كما بنوا قصوراً فى بادية الشام كقصير عمرا وقصر المشتى وقصر الطوبة وبعضها كان يأوى اليها الأمراء للصيد أو حين انتشار الأمراض فى المدن والبعض الآخر كان أشبه بحصون صغيرة .

واعتمد المسلمون فى أول الأمر على صناع وفنانين من المسيحيين والسوريين الذين تتلمذوا عليهم ونشأ على يد الجميع الطراز الأموى فى الفن الاسلامى — ويرجع الفضل فى انتشار أصول هذا الطراز فى حوض البحر الأبيض المتوسط كما فى شمال افريقيا والأندلس الى الحكام والقواد وأتباعهم ، حيث ظهرت دولة أموية غربية فى الأندلس ، احتفظت بأغلب الأساليب الفنية فى الطراز الأموى الشرقى كما فى مسجد قرطبة بالأندلس ومسجد القيروان فى تونس .

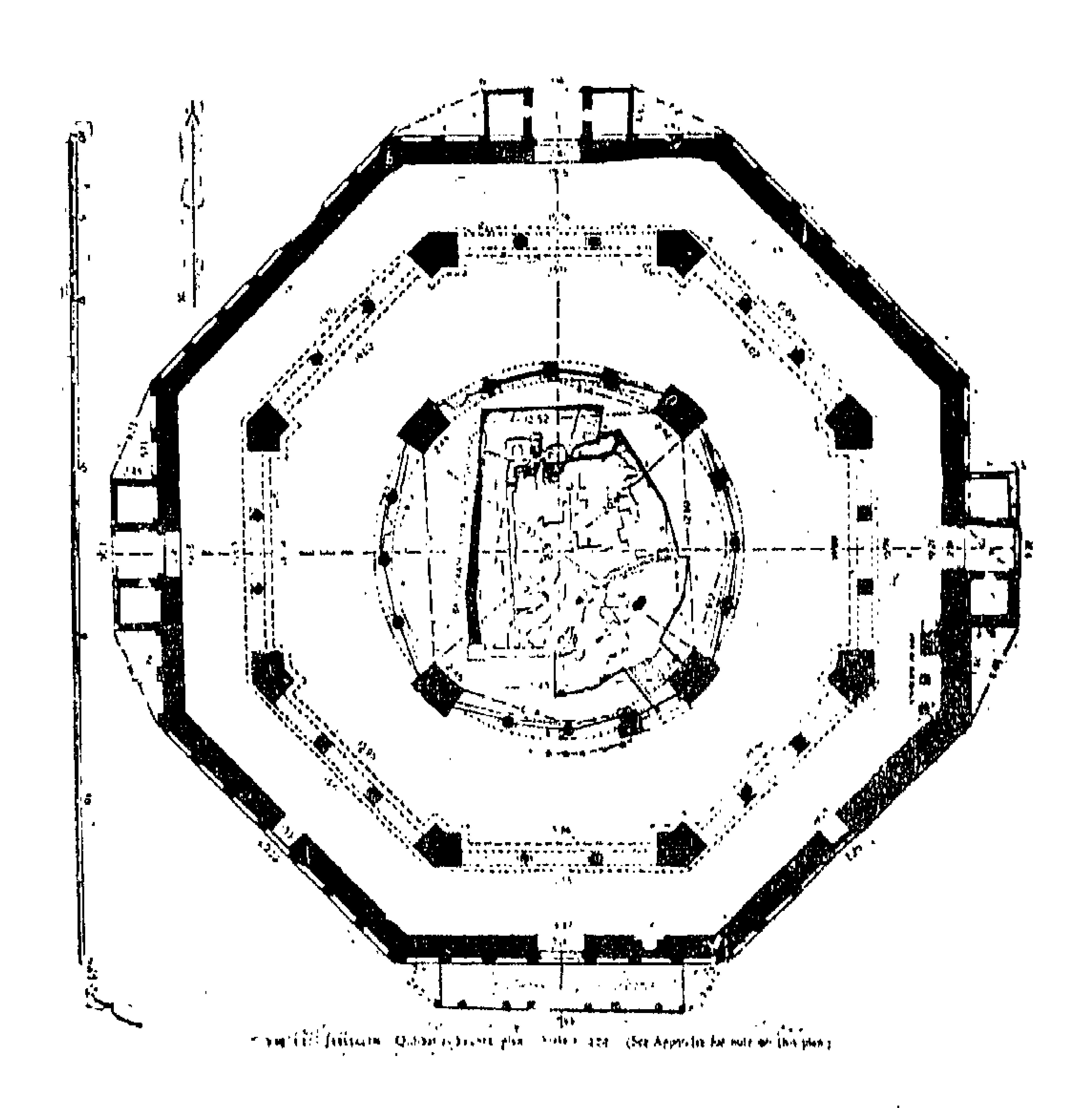
قبة الصخرة : ببيت المقدس :

٧٢ هـ — (٦٩١ — ٩٢ م)

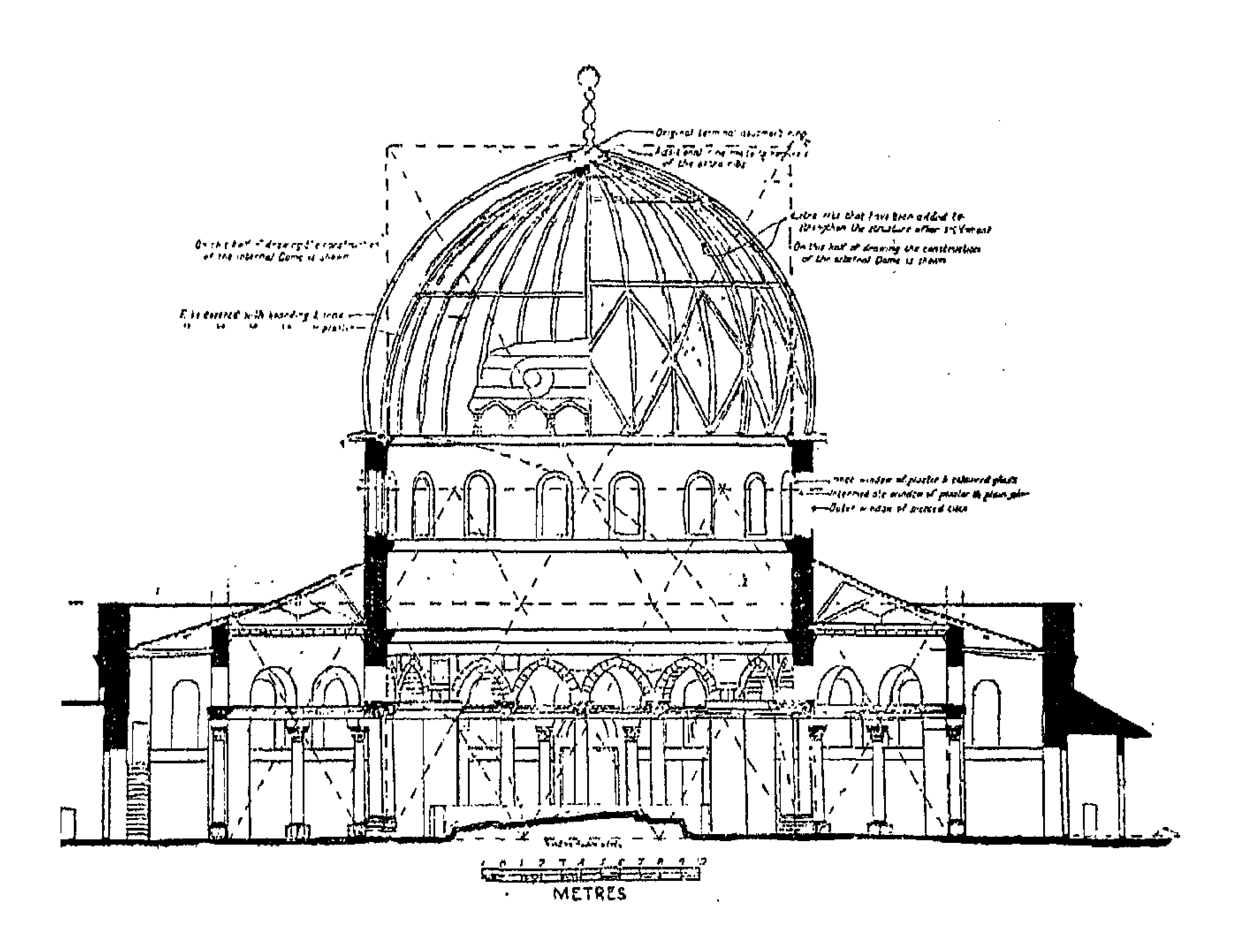
تعتبر قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين كما أنها أقدم أثر اسلامى فى تاريخ العمارة الاسلامية — وقد شيدها عبد الملك



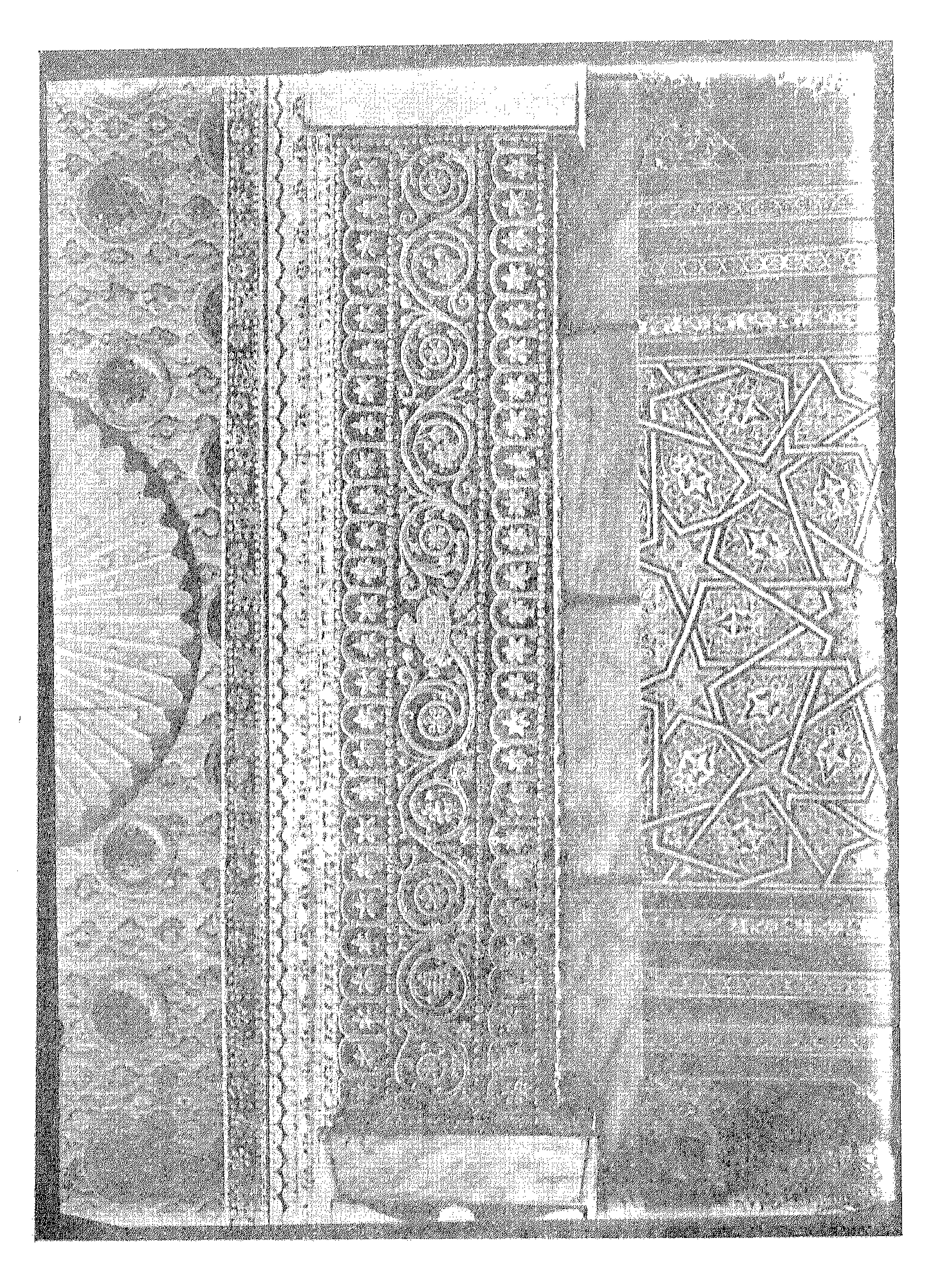
منظور لقبة الصخرة ببيت المقدس ٧٢ هـ (٦٩١/٢ م) شكل (٦)
(عن كريزول)



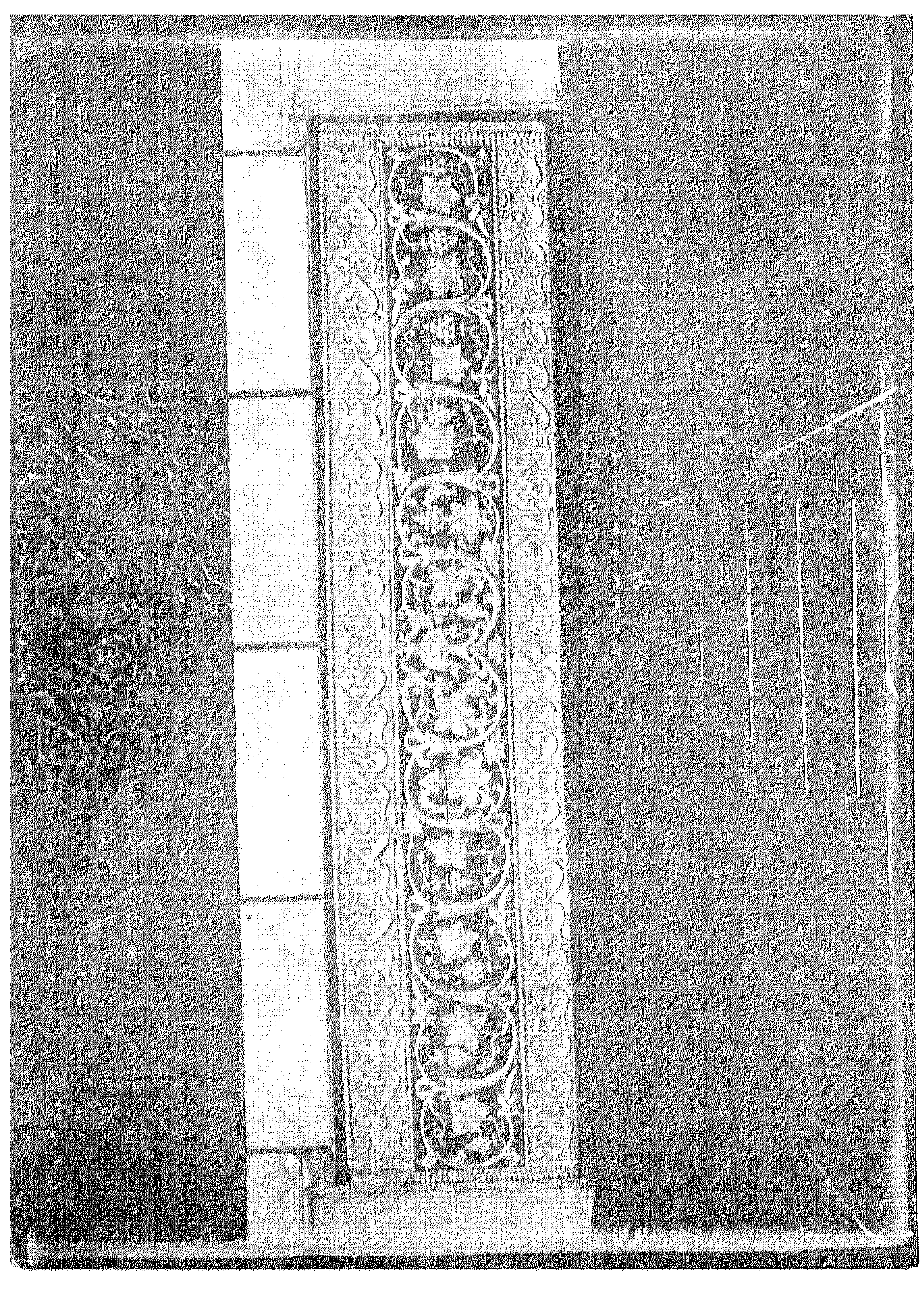
شكل (٧)
المسقط الأفقى لقبة الصخرة
(عن كريزول)



شكل (٨)
قطاع رأسى فى قبة الصخرة
(عن كريزول)

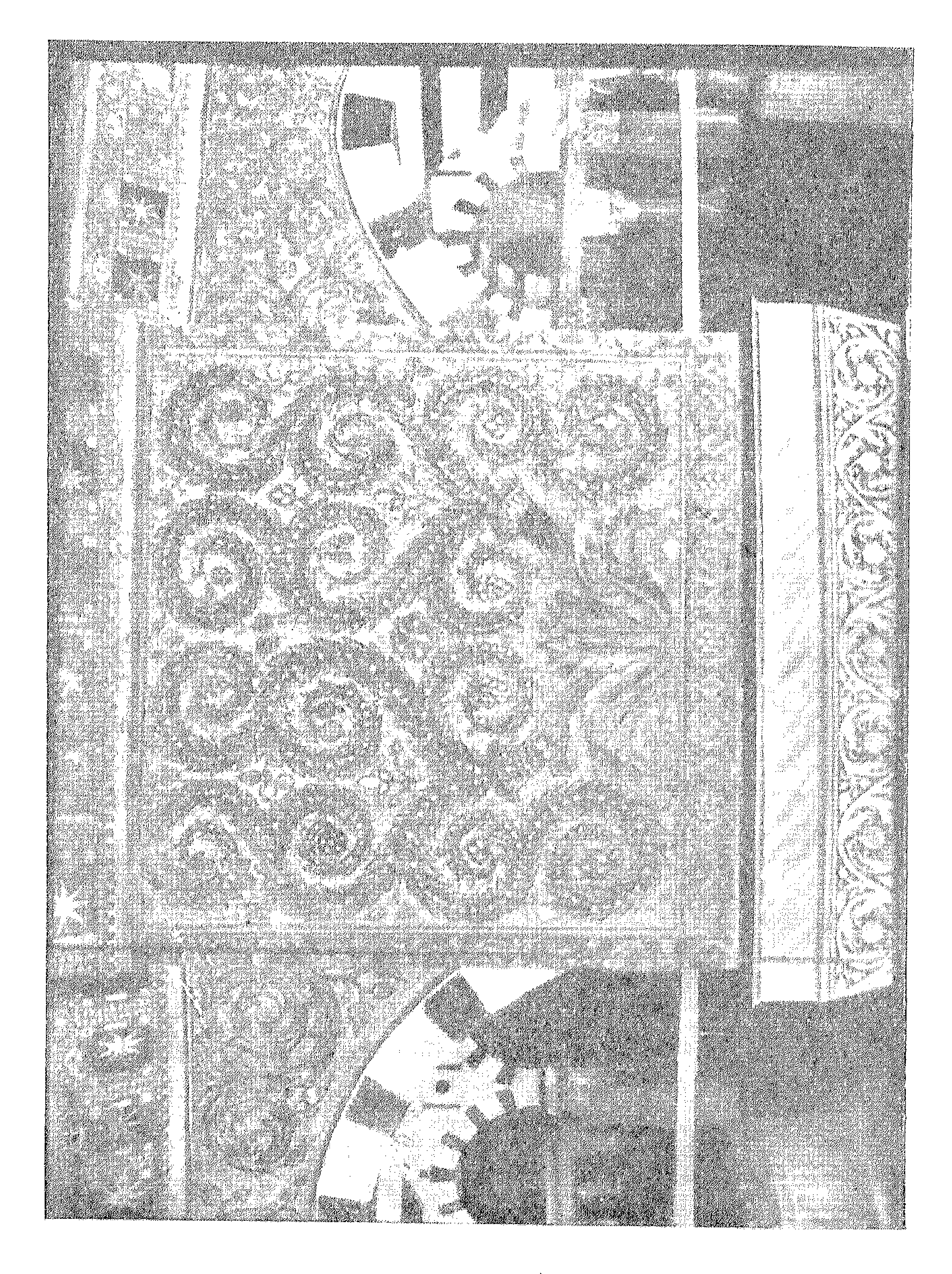


شكل (٩)
قبة الصخرة ــ زخرفة من البرونز على احدى الروابط الخشبية
(الشمالية الغربية) ــ (عن كريزول)



(شكل ١٠)

قبة الصخرة ــ زخرفة من البرونز على احدى الروابط الخشبية بالمنطقة المثمنة ــ فى الجهة الجنوبية (عن كريزول)



شكل (١١)
قبة الصخرة ـ الفسيفساء على احدى الدعامات الرئيسية للقبـة ـ الدعامة الشمالية الغربية (عن كريزول)

ابن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ ــ ٩٢ م) ــ لتكون مشهــداً يحج اليــه المسلمون بدلا من مكة التى كان بهــا منافســة عبد الله بن الزبير . كما أقيمت أيضاً لتنافس كنيسة المسيحيين الكبيرة .

وقبة الصخرة كان يطلق عليها فى بعض الأحيان اسم جامع عمــر ــ لأن عمر بن الخطاب كان قد أقام فى موضعها مصلى من الخشب،ثم شيد على أنقاضه عبد الملك بن مروان البناء الحالى ، وهى تقــع فى وســط هضبة صخرية واسعة تسمى « الحرم الشريف » ويقع على امتداد محورها الرئيسى المسجد الأقصى .

وقد وُضع تصميم هــذا الأثر « كمشهد » ليلائم الطواف حول الصخرة المقدسة التى كان الحجاج يعتقدون أن النبى صعد عندهــا الى السماء ــ وقد كانت هذه الصخرة مقدســة قبــل ذلك عنــد المسلمين والمسيحيين واليهــود على السواء ، وتبلغ أبعــادها ٥٦ قــدماً طولا ، ٤٢ قدماً عرضاً وشــكلها نصف دائرى تقريباً . ويُظن أن قبــة الصخرة منقولة عن القبة الموجودة فى كنيسة القيامة التى تكاد تساويها فى الحجم والتى تقع على مقربة منها ــ وقطر القبة ٢٠ر٤٤ متراً وهى مقــامة على قاعدة مستديرة مكونة من أربعــة دعائم كبيرة ، بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة وكلها تحمل ستة عشر عقداً مدبباً .

ويعلو القبة رقبة أسطوانية بها ١٦ نافذة ــ وهذه الرقبة تحمــل القبة المستديرة العلوية وقطاعها الخارجى نصف دائرى ــ كما يحيــط بالمنطقة الوسطى الدائرية مثمن مكون من ثمانية دعائم موجودة فى أركانه وبين كل دعامتين يوجد عمودان يكونان ثلاثة عقود وتكون فى مجموعها أربعة وعشرين عقــداً ــ أما المثمن الخــارجى فبه أربعة مداخل محورية يتقدم كل منها سقيفة على أعمدة . وتوجد داخل هذا الأثر كتابة تاريخية

بالخط الكوفى المذهب يبلغ طولها نحو ٢٤٠ متراً ، وهى موضوعة على أرضية زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية التى تحلى الجزء العلوى من التثمينة الداخلية . وقوام هذه الكتابة آيات قرآنية كما تضم أيضاً عبارة تشير الى تاريخ هذا البناء — ونصها :

« بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين » — ولكن اسم الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعمل فى سائر أجزاء الكتابة — فضلاً عن أن سنة ٧٢ هـ لا تقع فى حكم المأمون بل فى سنى حكم عبد الملك بن مروان وهو الذى ينسب اليه تشييد هذا الأثر ، ويتضح من ذلك أن تغييراً حدث فى هذه الكتابة فى عهد المأمون ولكن الصانع فاته أن يغير التاريخ بعد أن غير الاسم .

وتخطيط قبة الصخرة وتصميمها على شكل المثمن كان ملائماً كل الملاءمة ليحيط بالصخرة المقدسة فى الحرم الشريف . والعناصر الفنية فيها تدل على تأثر العمارة فى فجر الاسلام بالأساليب الفنية التى كانت سائدة فى سوريا وبيزنطة والدولة الرومانية . وقد كان سطح البناء من الخارج مغطى بزخارف الفسيفساء ولكن لم يبق منها شىء — أما داخله فلا يزال بعضه مغطى بهذه الزخارف النفيسة ولاسيما الواجهة الداخلية للبواكى الدائرية الوسطى ، وألوان هذه الفسيفساء هى الأخضر بدرجاته المختلفة ثم الأزرق والذهبى وبعض درجات الأبيض والأسود والبنفسجى والأحمر والفضى والرمادى ، كما يلاحظ أن المكعبات الصغيرة المستخدمة ليست متحدة الأحجام وهى موضوعة كلها وضعاً أفقياً ومثبتة الا ماكان منها ذهبياً أو فضى اللون فانه موضوع بميل بحيث يعكس الضوء للمشاهد . وأهم الموضوعات الزخرفية التى تشاهد داخل قبة الصخرة هى الفروع النباتية وبعضها لولبى الشكل وأهمها يخرج من أوانى

ذات الشكل الاغريقى وأحيانا نجد بين كل فرعين خارجين من اناءين زخرفة قوامها شكل شمعدانى من الزهور والنباتات تعلوها زخرفة مجنحة ، كما توجد رسوم أشجار بعضها طبيعية والأخرى محورة عن الطبيعة وأهم هذه الأشجار النخيل والزيتون واللوز ، كما تشاهد أيضاً رسوم أوراق الأشجار وبعضها على شكل قلب وبعضها رسوم لبعض الفواكه ، ويلاحظ أن سطح الورقة مكون من لونين غامق وفاتح ، والفواكه تمثل العنب والرمان .

وفى بعض رسوم الفسيفساء نرى رسماً للنجوم والأهلة ، والهلال كان يستخدم فى ايران فى بعض الرسوم ثم اتخذته بيزنطة واستعملته فى زخرفة بعض مبانيها وبعد ذلك اتخذه المسلمون شارة دينية كما فى تركيا ومصر . وعلى أى حال فان فسيفساء قبة الصخرة تحفظ لنا أبدع أنواع الزخارف التى تنسب لعصر الخلافة الأموية مما لا نجده الا فى الزخارف الحجرية بقصر المشتى وفى الفسيفساء الموجودة بالجامع الأموى بدمشق .

والقبة الأصلية كانت مصنوعة من الخشب وتغطيتها صفائح من الرصاص وفوقها ألواح من النحاس البراق ، ولهذه القبة وصف رائع للمقدسى وقد سقطت فى سنة ٤٠٧ هـ ، أما القبة قبل الاصلاح الأخير الذى يقوم به بعثة من المهندسين العرب ـ فتاريخها يرجع الى سنة ٤١٣ هـ . والقبة كانت مكونة من طبقتين ، وهى كذلك قبل الأصلاح الأخير ، ومهندس هذا الأثر غير معروف الاسم ويوجد تحت الصخرة محراب أملس غير مجوف ينسب للخليفة عبد الملك بن مروان كما يوجد محراب آخر يعرف باسم قبلة الأنبياء ، والعقود الداخلية تربطها روابط خشبية ، وحوائط المثمن الخارجى مقسمة الى تجويفات رأسية معقودة ، بكل ضلع سبع منها والخمس الوسطى بها نوافذ فى أعلاها .

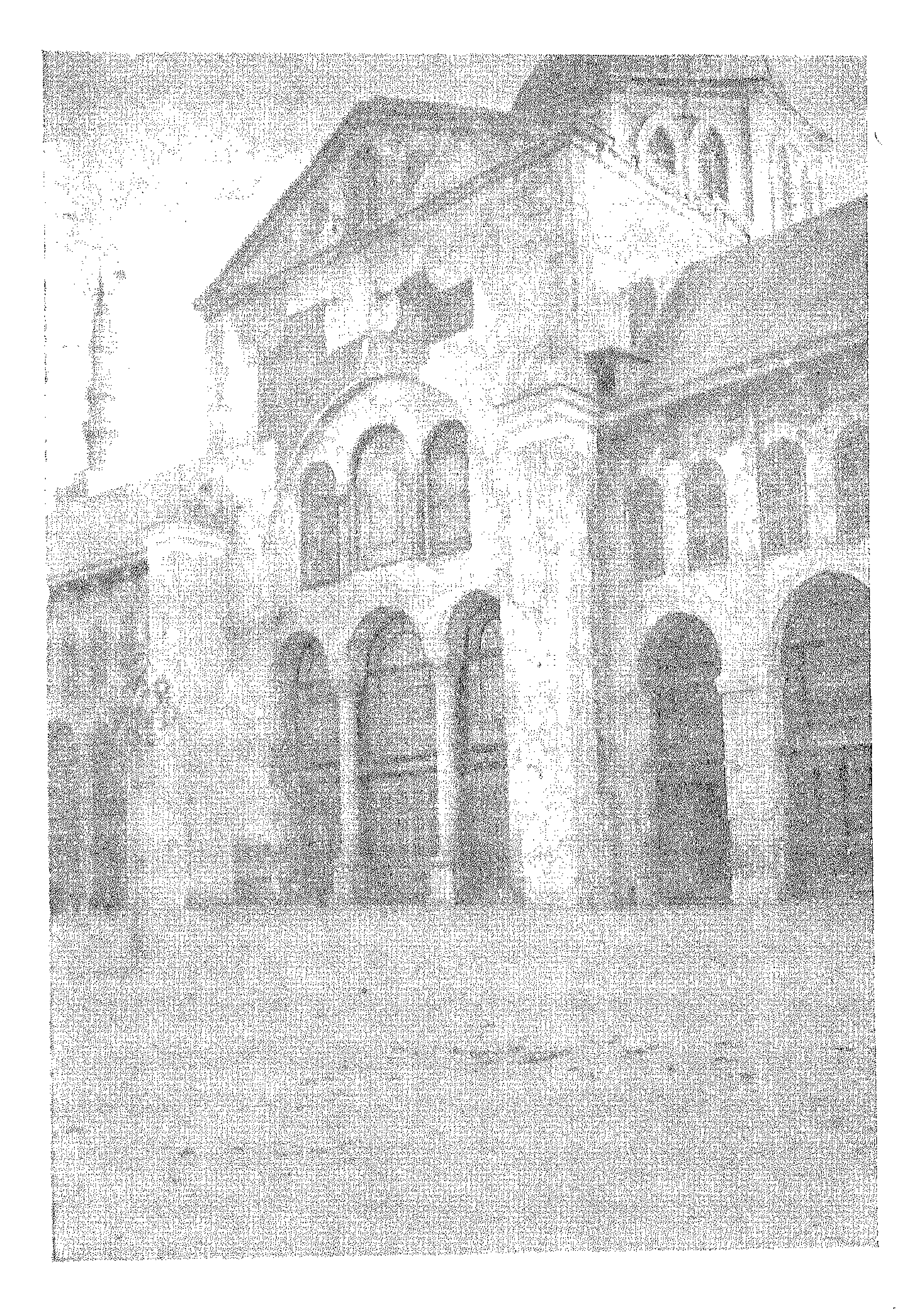
المسجـد الأموى بدمشق :

(٨٨ ـ ٩٦ هـ) (٧٠٧ ـ ٧١٤ م)

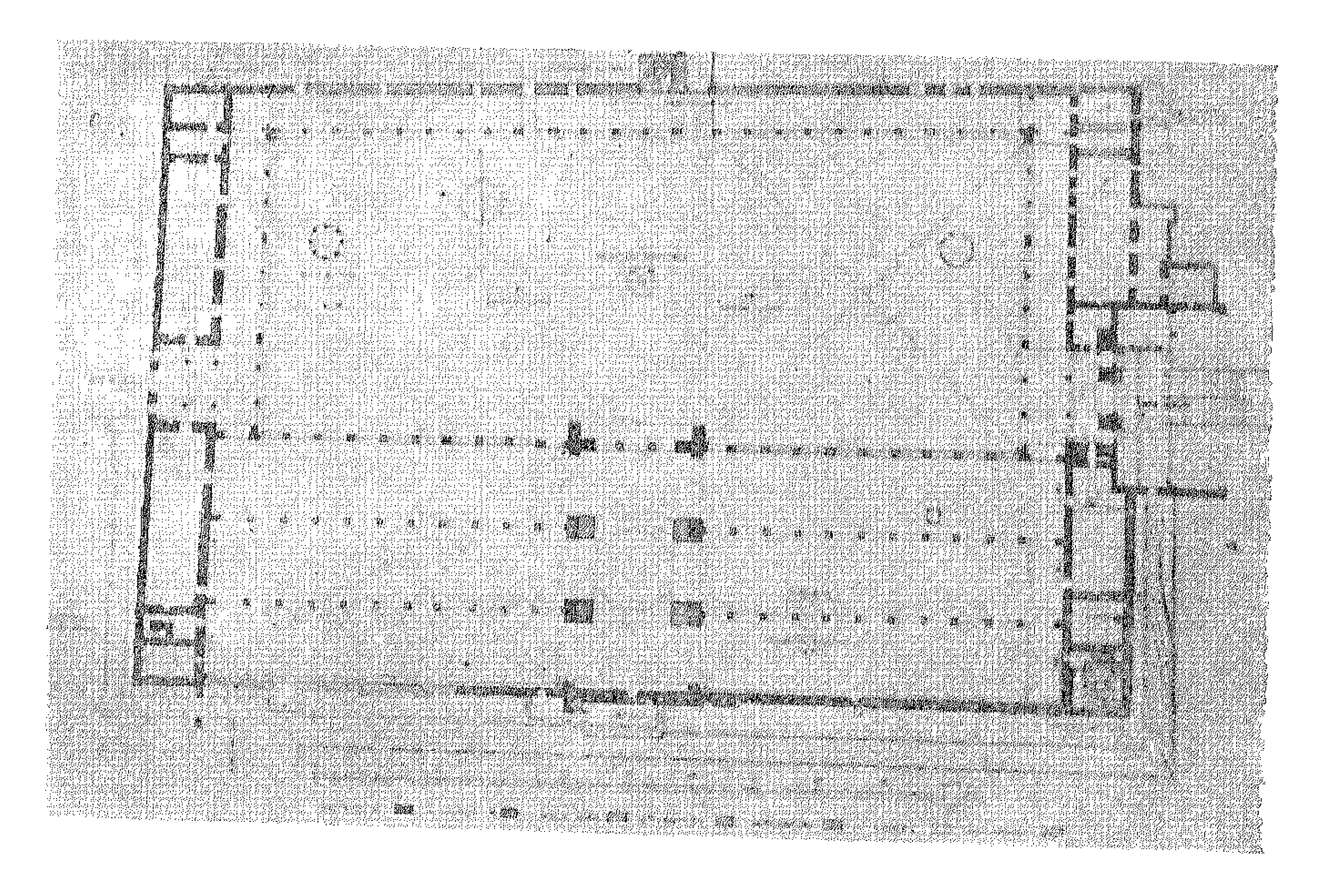
يعتبر المسـجد الأموى بدمشق من أهـم العمائر التى تنسب الى الأمويين ، فقد شيدوه الخليفة الوليد بن عبدالملك بين عامى ٨٨ ، ٩٦ هـ ـ ويقوم هذا المسجد فوق بقعة مقدسة أصلهـا معبد وثنى ثم أقام عليهـا المسيحيون كنيسة القديس يوحنا وعلى أنقاضهـا شيد هـذا المسجد . والمسجد الأموى مستطيل التخطيط وله ثلاثة مداخل محورية كما توجـد فى أركانه أربعة أبراج ، تعتبر المـآذن الأولى فى الاسـلام ، ولا تزال احداها باقية وهى الموجودة فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد .

ويتوسط المسجد صحن مكشوف مستطيل التخطيط تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذى يتكون من ثلاث بلاطات مغطاة بثـلاثة جمالونات تجرى موازية لحائط القبلة ـ ويحمل السقف بائكات محمولة على أعمدة رخامية ومكونة من صفين من العقود . وهناك بلاطة معترضة تتجه من الصحن الى محراب المسجد عمودياً على حائط القبلة وتعـرف بالمجاز وسـقفها أعلى من باقى سقف رواق القبلة وهى مغطاة بجمالون تتوسطه قبة حجرية أضيفت الى المسجد فى عصر متأخر . وتحيط بالصحن أروقة أخرى تحملها عقود محمولة على دعائم وأعمدة ونظامها : عمودان يليهما دعامة بالتبـادل . وقد سقطت بعض هـذه الأعمـدة واستبدلت بدعائم . ويعلو العقود التى تحيط بالصحن صف من النوافذ موضـوعة بحيث تقع كل نافذتين منها فوق كل عقد من العقود السفلية .

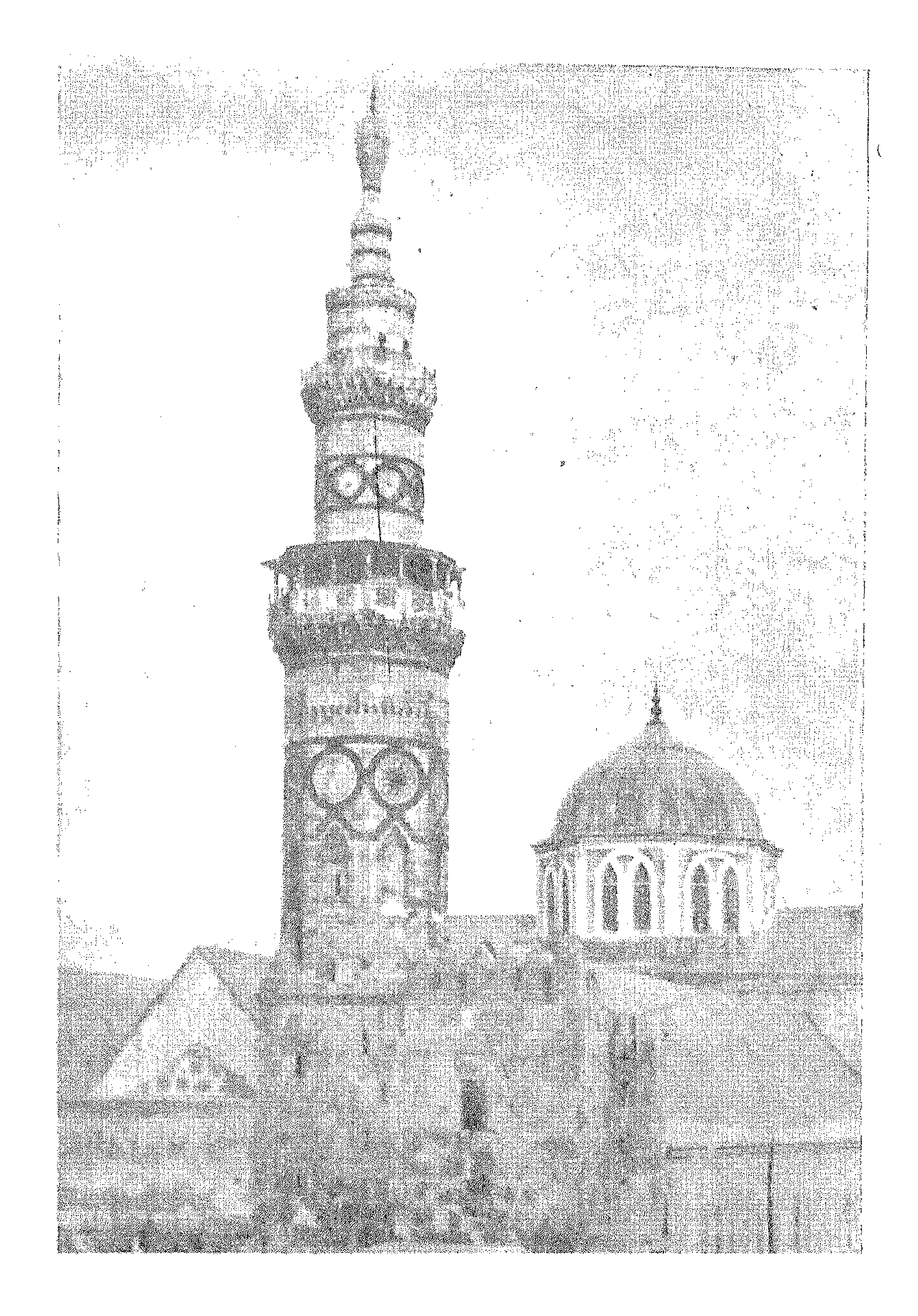
وقد كان المسجد فى وقت من الأوقات مفروشـاً بالرخام وكانت جدرانه مغطاة بلوحات من الرخام أيضاً الى ارتفـاع قامة الانسـان ـ وفوق هذه اللوحات توجد زخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة ولايزال



شكل (١٢)
المسجد الأموى بدمشق — واجهة رواق القبلة
(عن كريزول)



شكل (١٣)
التخطيط الأفقى للمسجد الأموى بدمشق
(عن كريزول)



شكل (١٤)
المسجد الأموى بدمشق ــ المئذنة الجنوبية الغربية
(عن كريزول)

جزء كبير منهـا باقيا فى الرواق الغربى ــ وفى المسجد بضـع نوافذ من الرخام بها أقدم نماذج من الزخارف الهندسية فى الاسـلام ويظهر فيهـا تأثير الفن الاغريقى الرومانى .

ومما يؤسف له أن النيران دمرت أجزاء كثـيرة من الفسيفسـاء الموجودة بالمسجد الأموى وذلك فى نهاية القرن الحادى عشر وفى بداية القرن الخـامس عشر وفى نهـاية القرن التاسـع عشر ولم تترك الا جزءاً بسيطا من هذه الفسيفساء . وقد أتيح للأستاذ دى لورى مدير المعهـد الفرنسى فى دمشق الكشف عن أجزاء كبيرة من هذه الفسيفسـاء وذلك فى سنة ١٩٢٧ ــ وأهم ما كشفه عنه تلك الأجزاء المعروفة الآن ومنهـا جزء ينسب الى نهر بردى فى دمشق ــ وفى هذا الجزء يرى رسم نهر على ضفته أشجار ونباتات وبيوت بعضها كبير مكون من طابقين أو أكثر ــ كما يرى على النهر قنطره ــ والى جانب ذلك توجد هنـاك زخارف من الفسيفساء تمثل فروعاً نباتية من الأكنتس لاتختلف كثيراً عن التى فى قبة الصخرة ولكنها دونها فى دقة الصناعة .

وقليل من الفسيفساء الموجودة فى الجامع الأموى تنسب الى عصر الوليد بن عبد الملك بينما الآخر يرجع الى عهد الاصـلاح الذى قام به السلطان ملك شاه السلجوقى فى نهاية القرن الحادى عشر أو الى اصلاحات متأخرة عن ذلك . ويرجح أن الفنانين الذين قاموا بصناعة الفسيفسـاء فى عهد الوليد كانوا فنانين سوريين وربما عاونهم فنـانون آخرون كانوا مساعدين لهم ولم يقوموا بالدور المهم . وتعتبر الأبراج الأربعة الموجودة فى أركان المسجد ، المـآذن الأولى فى الاسـلام وكان لهـا أكبر الأثر فى تصميم المـآذن التى شوهدت بعد ذلك فى أغلب المسـاجد فى شمال افريقية والأندلس ، كما كان لتصميم المسجد الأموى أكبر الأثر فى تصميم مسجد قرطبة الكبير وغيره من مساجد بلاد المغرب .

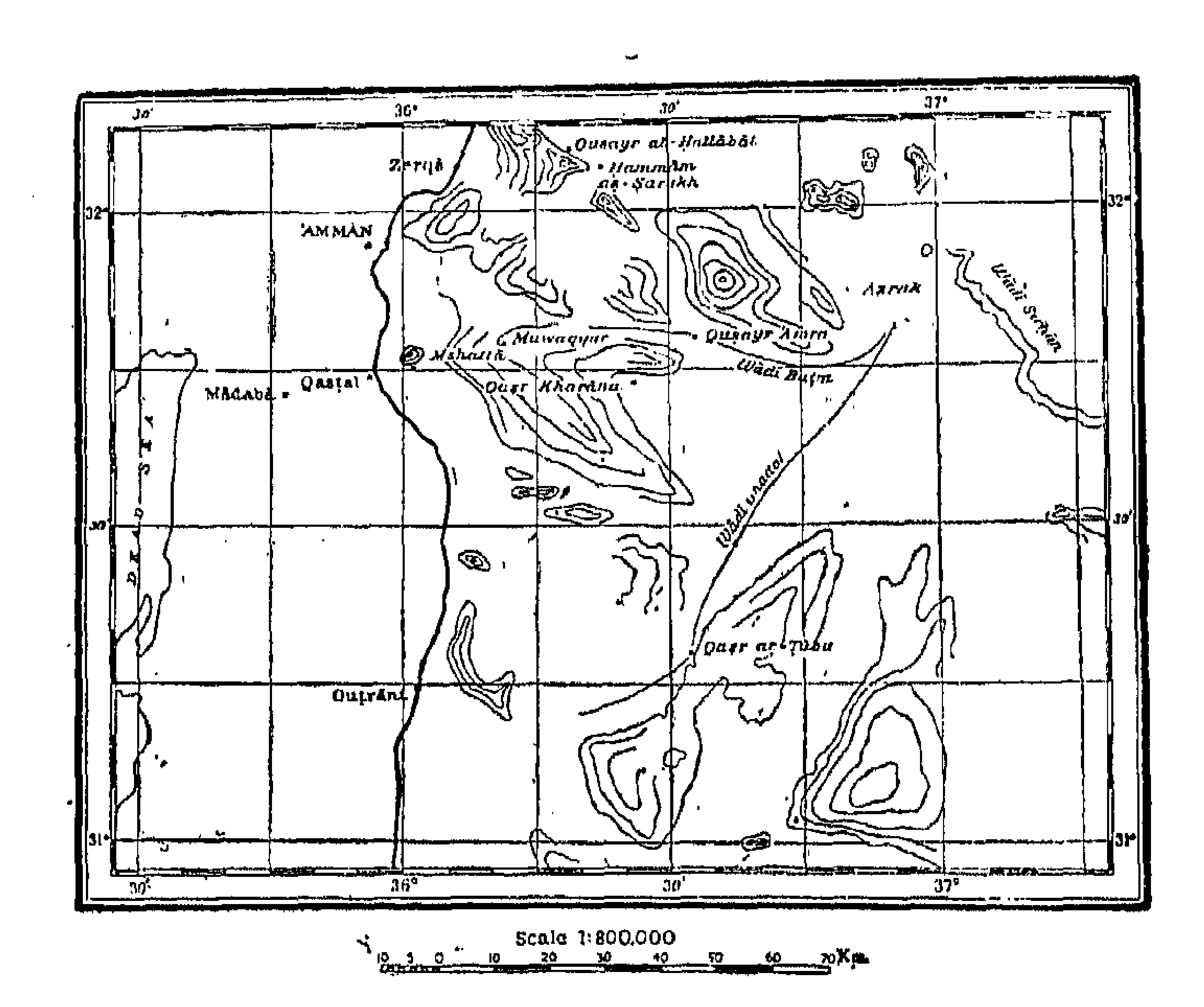
قصير عمرا فى بادية الشام :

من أهم الأبنية التى تنسب الى الأمويين قصور بناها الخلفاء فى بادية الشام كقصير عمرا وحمام الصرخ وقصر المشتى وقصر الطوبة ــ وهذه القصور كان يلجأ اليها الأمراء حين تنتشر الأمراض فى المدن كما كان يذهب اليها الأمويون للصيد ، وكان الجزء المهم فى بعض تلك القصور حماماً كما فى قصير عمرا وحمام الصرخ ــ وكان البعض الآخر يشبه الحصون الصغيرة .

ويقع قصير عمرا على بعد نحو خمسين ميلاً شرقى عمان ــ ويرجع الفضل فى الكشف عنه الى البعثة العلمية التى كان يرأسها الأستاذ ألوا موزيل ، والتى أتيح لها أن تكشف عن هذا البناء لعلماء الآثار سنة ١٨٩٨ ــ كما صورت هذه البعثة النقوش الجميلة والصور التى كانت تحلى جدران هذا البناء الذى دب التلف الى معظمها .

ويتكون هذا القصر من قسمين رئيسيين هما قاعة الاستقبال والحمام الساخن . أما قاعة الاستقبال فهى مستطيلة التخطيط ويغطيها ثلاث أقبية نصف أسطوانية يفصلها عن بعضها عقدان عرضيان ــ وهذه الطريقة التى نجد فيها العقود العرضية تحمل الأقبية الطولية ــ طريقة ساسانية أخذها العرب عن ايران فشوهدت فى طاق ايوان بالكرخ كما وجدت واستعملت بعد ذلك فى جهات كثيرة كما فى طاقات مداخل مدينة «بغداد» التى شيدها أبو جعفر المنصور وفى بعض غرف قصر الأخيضر العباسى .

وفى نهاية القبو الأوسط لقاعة الاستقبال ، على محور مدخل قصير عمرا توجد حنية العرش وهى مغطاة بقبو نصف اسطوانى أقل ارتفاعاً من سقف أقبية قاعة الاستقبال ــ ويحلى صور الحنية صورة الخليفة وهو جالس على عرشه ــ وتكتنف الحنية من جهتيها غرفتان لخلع الملابس



شكل (١٥)

خريطة لشرق الأردن وبها مواقع القصور الأموية فى البادية

(عن كريزول)

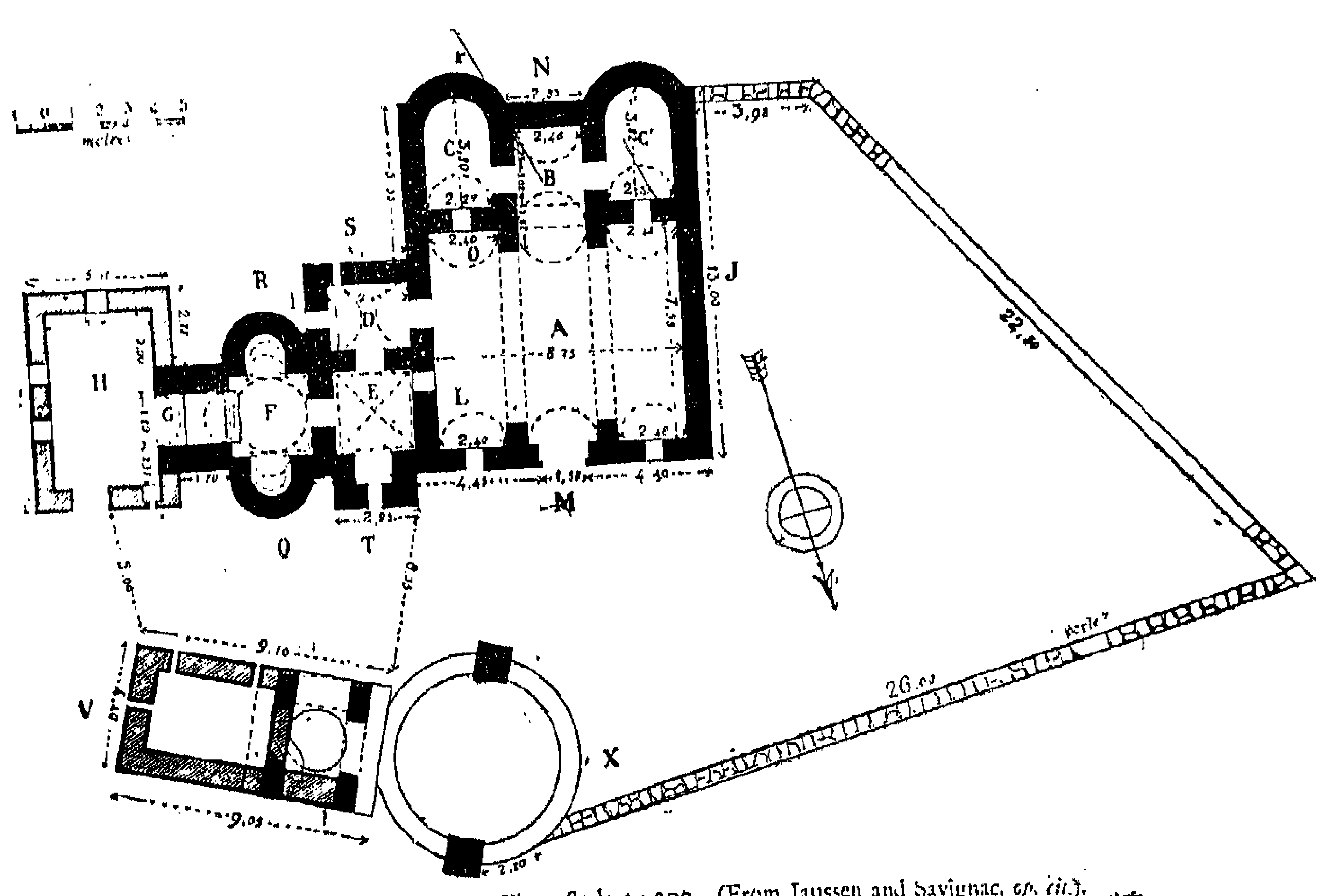
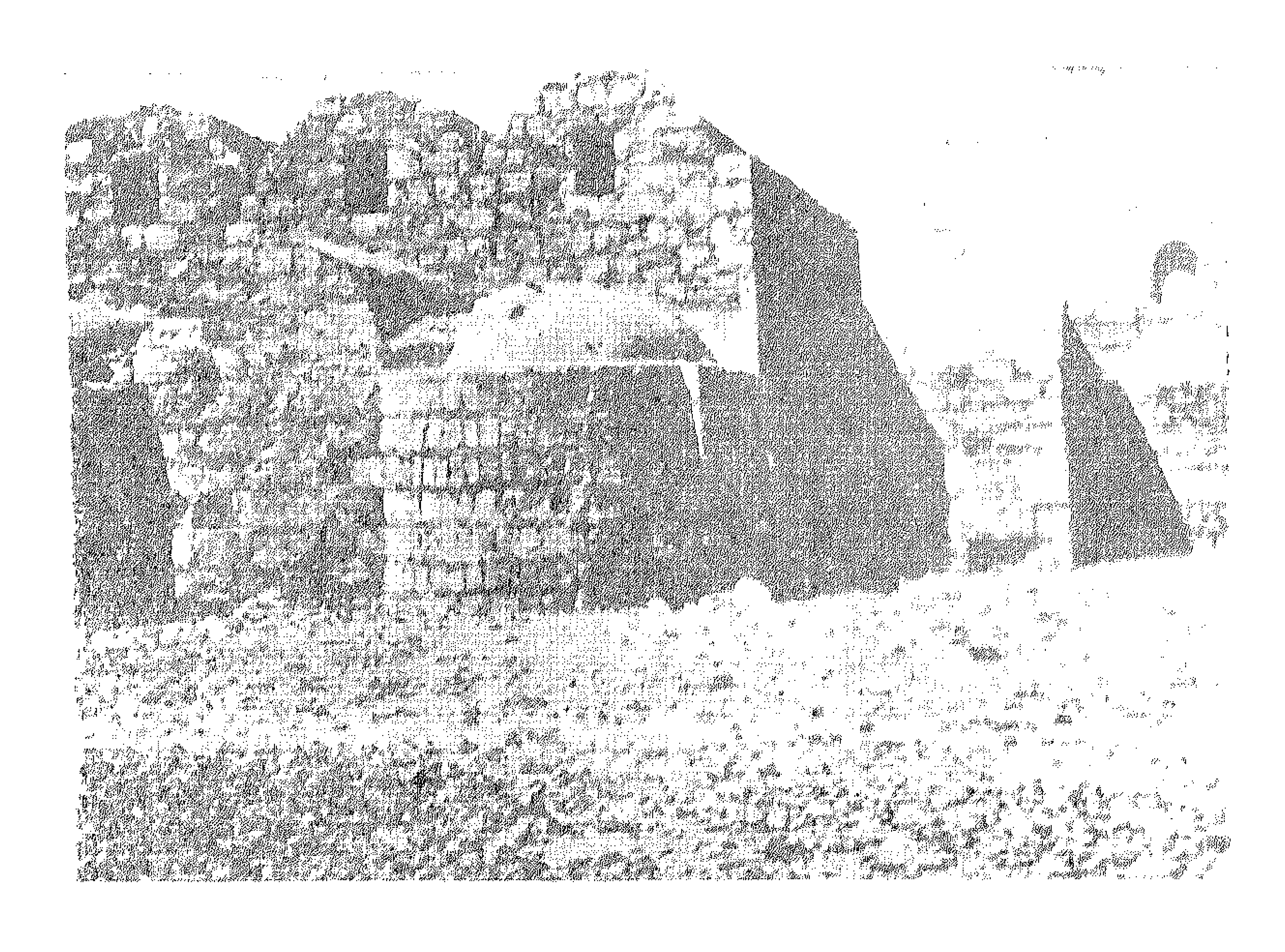
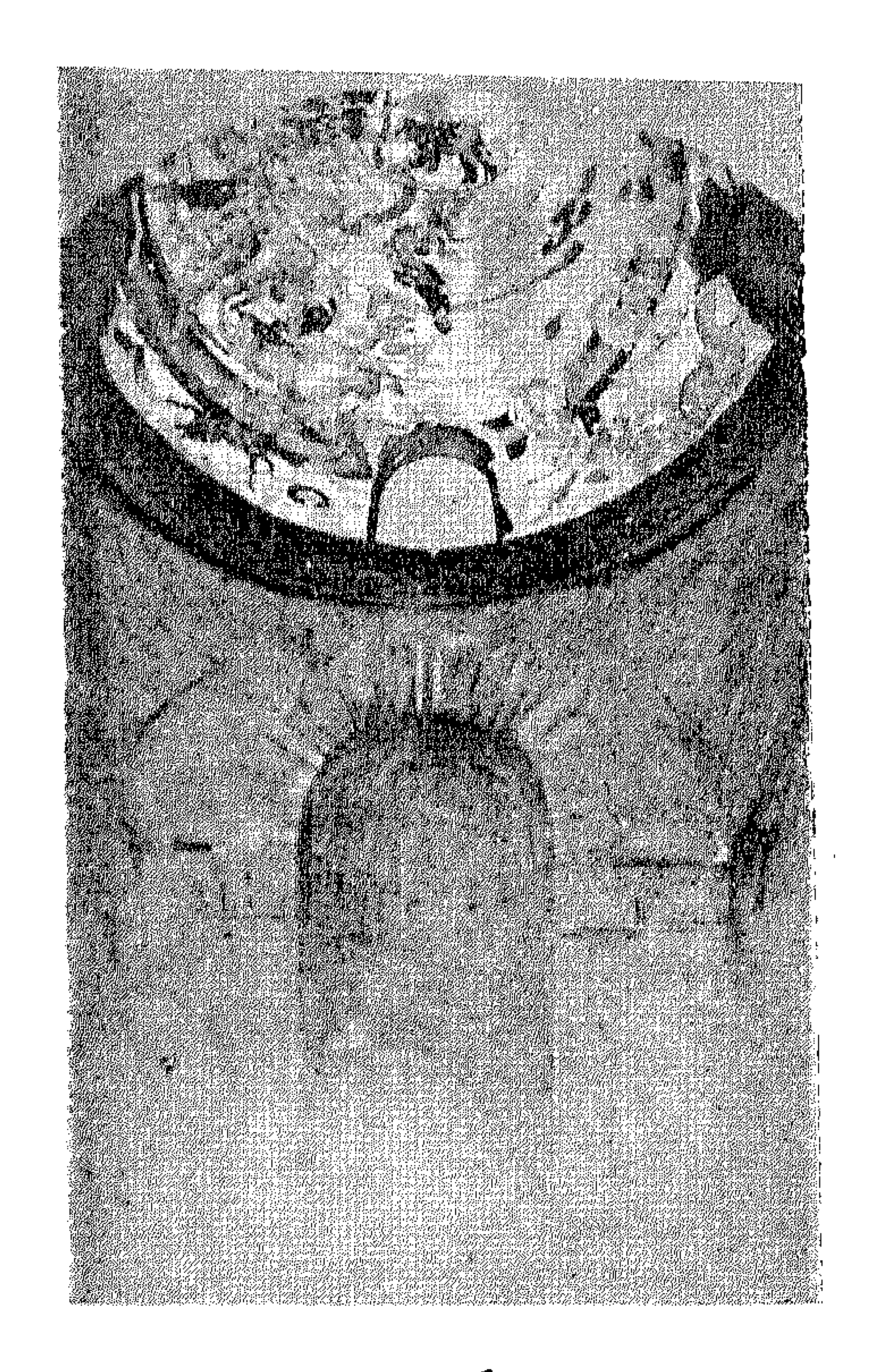


Fig. 313. Quṣayr 'Amra: Plan. Scale 1 : 200. (From Jaussen and Savignac, *op. cit.*)

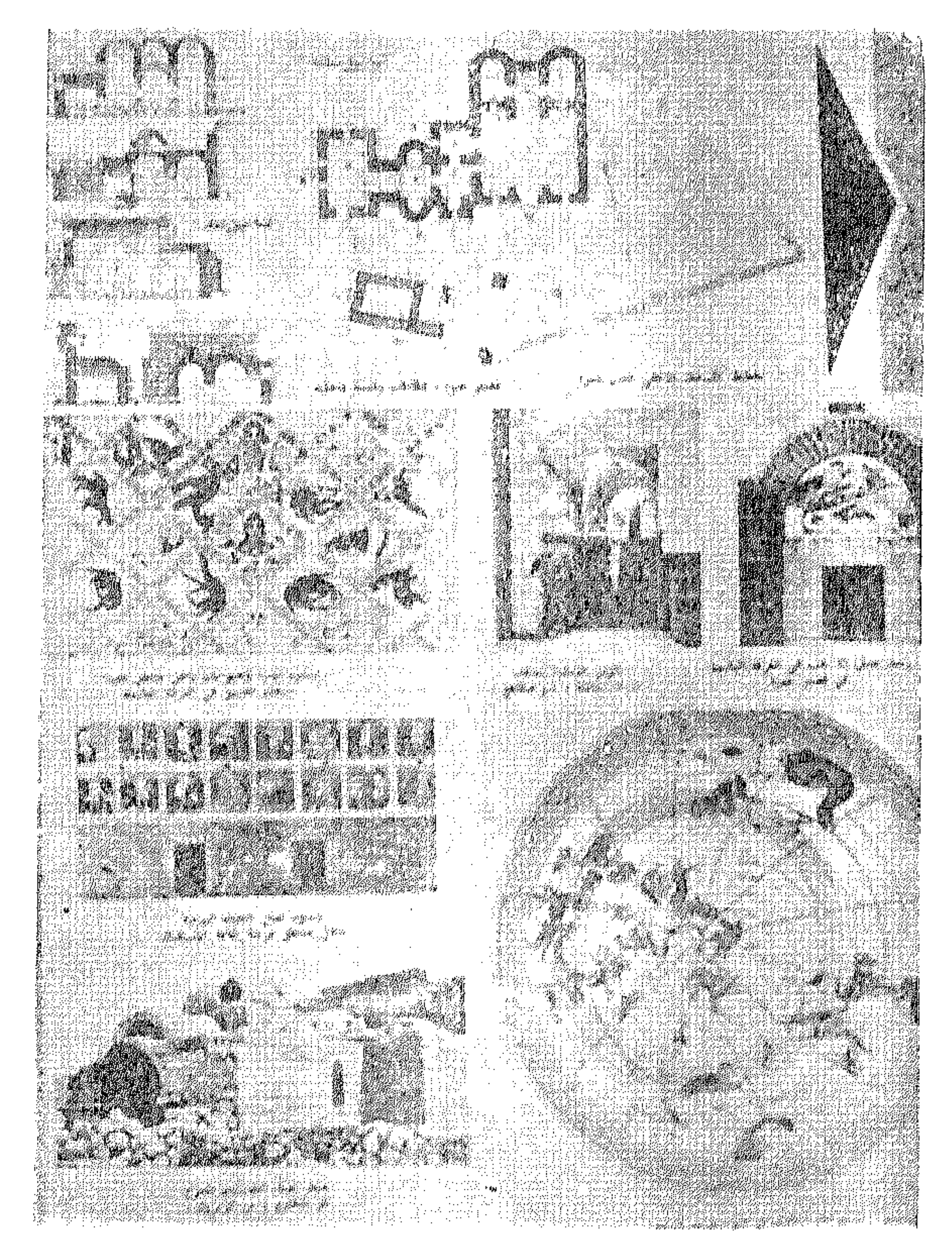
شكل (١٦)
المسقط الأفقى لقصير عمرا



شكل (١٧)
منظر قاعة الاستقبال وحنية العرش بقصير عمرا من الجهة الخلفية



شكل (١٨)
دائرة الفلك فى قبة الغرفة الساخنة بقصير عمرا



شكل (١٩)

صور داخل قصير عمرا . أما الصورة فى الركن الأسفل الى اليسار فتمثل حمام الصرخ

ليس بهـا نوافذ ويغطى كل منهما قبو نصف اسـطوانى ينتهى بسطح نصف كروى .

ويقع الحمام الساخن الى يسار قاعة الاستقبال ويشمل ثلاث غرف رئيسية هى على الترتيب : الغرفة الباردة ويدخل اليها من قاعة الاستقبال ويغطيها قبو نصف اسطوانى محوره عمودى على محور قاعة الاستقبـال ويليها الغرفة الدافئة وهى مغطاة بقبو متقاطع ومنها الى الغرفة الساخنة وهى مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على أربعة مثلثات كروية . والبنـاء مبنى من الحجر الجيرى الأحمر والأقبية تغشيها طبقة سـميكة من الملاط ـ كما كانت تغشى الأرضية بلاطات من الرخام يجرى بأسفلها مواسير البخار الساخن كما كان الحال فى حمامات كراكلا" بروما .

ولعل شهرة قصير عمرا ترجع الى وجود الصور الحائطية فى مثـل هذا الوقت المبكر من الاسلام وكراهية التصـوير عامة عند المسلمين . أما حكم الاسلام فى التصوير فان رجال الحديث ينسبون الى النبى عليه السلام عدة أحاديث تحرم تصوير المخلوقات الحية أو عمل تماثيـل لها . والحق أنها لاتمثل الا الرأى السائد بين رجال الدين فى بداية القرن الثالث الهجرى الذى اشتغل فيه العلماء بجمع الحديث . والواقع أن النبى ومن أتى بعـده من الخلفـاء الراشـدين ثم المتمسكين بالدين من الأمويين والعباسيين نهوا عن تصوير الكائنات الحية ليحموا المسلمين من الأصنام والتماثيل والصور التى قد تنسيهم الخالق عز وجل أو تدعوهم لعبادتها ـ ولمـا بعد عهد العرب بالوثنية وزال خطرها أفتى العلماء بعدم تعـارض التصوير بتعاليم الدين الحنيف .

ويحلى جدران قصير عمرا وأقبيته من الداخل صـور ملونة من النوع المعـروف باسم « الفريسكو » ـ ذات الألوان المختلفـة كالبنى

الغامق والفاتح والأزرق الفاتح والجنزارى والأصفر المعتم . وتضم هذه النقوش الحائطية رسوم راقصات ونساء شبه عاريات ورسوم صيد واستحمام ورسوماً رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ والحب عند الاغريق . كما تشمل أيضاً رسوماً تمثل مراحل العمر المختلفة وهى الفتوة والرجولة والكهولة ، مرسومة داخل مناطق مربعة أو معينة ، ورسماً لقبة السماء أو دائرة الفلك وبعض النجوم مع رسم البروج المختلفة ورسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية .

وأهم نقوش قصير عمرا نقشان أولهما رسم الخليفة وهو جالس على عرشه فى صدر حنية العرش ويحف به شخصان وفوقه مظلة محمولة على عمودين حلزونيين — وكانت توجد على عقد المظلة كتابة كوفية تطرق التلف اليها . والنقش الثانى لصورة مشهورة تعرف باسم صورة أعداء الاسلام وأهميتها ترجع الى تأريخ قصير عمرا — وقوام هذه الصورة ستة أشخاص مرسومين فى صفين ويلبسون ملابس فاخرة ، وفوق رؤوس أربعة منهم كتابة بالعربية والاغريقية لاتزال باقية . وهؤلاء الأشخاص هم من اليسار الى اليمين قيصر (فى الصف الأول) والثانى رودريق (فى الصف الخلفى) وهو آخر ملوك القوط فى أسبانيا وقد قتله العرب سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) فى معركة شريش — والثالث (فى الصف الأول) فوقه كلمة كسرى (فهو ملك الفرس) — والرابع (فى الصف الخلفى) وفوقه كلمة النجاشى (فهو ملك الحبشة) .

وقد رجح فان برشم أن الأشخاص المرسومين فى الصف الأمامى هم ملوك امبراطوريات كبيرة فى حين أن المرسومين فى الصف الخلفى هم ملوك دول صغيرة — كما يقابل ترتيبهم مواقع بلادهم الجغرافى من الغرب الى الشرق واستنتج من ذلك أن الشخص الخامس (وهو فى الصف الأمامى) ربما كان أمبراطور الصين وأن الشخص السادس أحد أمراء

الترك . كما استنتج ڤان برشم أن المرسومين فى الصورة هم أعداء الاسلام عامة وأعداء الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك خاصة فرجح تاريخ بناء قصير عمرا ما بين (٧١١ — ٧١٥ م) .

وتمتاز قبة الغرفة الساخنة بزخرفتها من الداخل برسوم دائرة الفلك ورسوم الدب الأكبر والتنين وغيرهما وهذه الرسوم من الفريسكو أيضاً ويلاحظ رسم دائرة الفلك قبل ذلك فى معبد دندره . وقد اشتهر قصير عمرا بما فيه من نقوش آدمية على الأسقف والجدران بألوان زاهية وأساليب فنية هلينية وبيزنطية متأثرة فى بعض نواحيها بالأساليب الايرانية الىجانب العناصر الشرقية المسيحية . التى امتاز بها هذا العصر — كما يلاحظ أن الذين قاموا برسم هذه الصور كانوا يعرفون العربية أكثر من الاغريقية ، ولكنهم لا يتقنونها جيداً مما يرجح أنهم كانوا اما سوريين أو آراميين .

حمـام الصرخ :

وقد كشف بتلر سنة ١٩٠٥ حمام الصرخ ويقع على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى قصير الحلابات وقد زاره الأستاذ كريزول بصحبة ڤنسنت فى سنة ١٩٢٦ — والى الأخير يرجع الفضل فى رسمه .

ويشبه حمام الصرخ فىتخطيطه قصير عمرا الى حد كبير فهو مكون من قسمين رئيسيين أيضاً هما قاعة الاستقبال والحمام — الا أنه يختلف عن قصير عمرا فى تدبب عقوده وأقبيته — وفى طريقة الدخول الى الغرفة الباردة للحمام فى كليهما . فبينما نتجه يساراًفى قصير عمرا — فاننا نتجه الى اليمين فى حمام الصرخ . وتمتاز القبة فى الغرفة الساخنة بحمام الصرخ بأنها مضلعة من الداخل وكانت مغطاة بطبقة من الملاط ومغشـاة بكسر الخزف — كما يذكر بتلر أنها كانت مغشاة أصلاً بالحصى . وبناء حمـام الصرخ من الحجر ذى المداميك المنتظمة ويرجع تاريخه ما بين (٧٢٥ — ٧٣٠ م) لمـا بينه وبين قصير عمرا من شبه كبير .

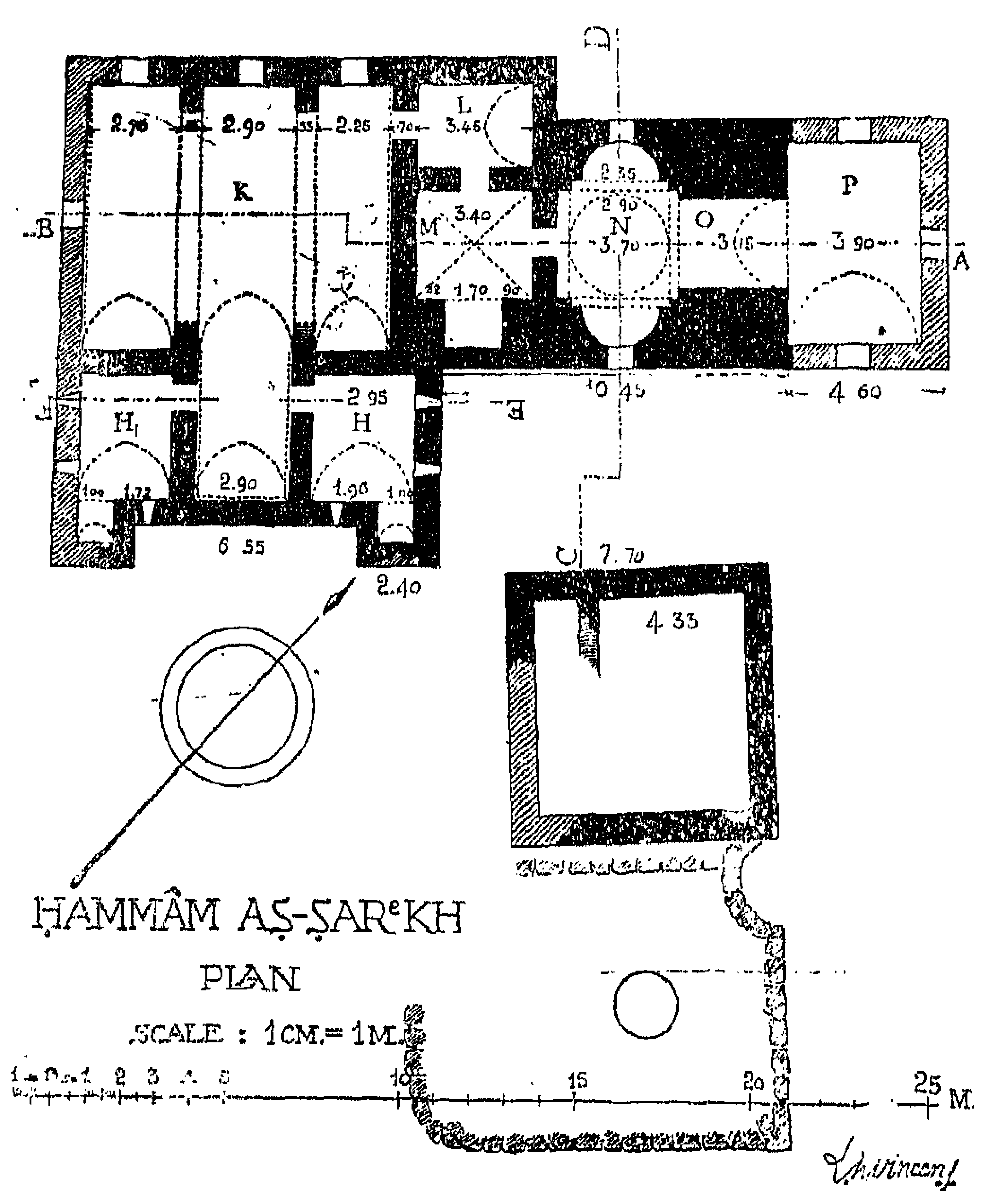
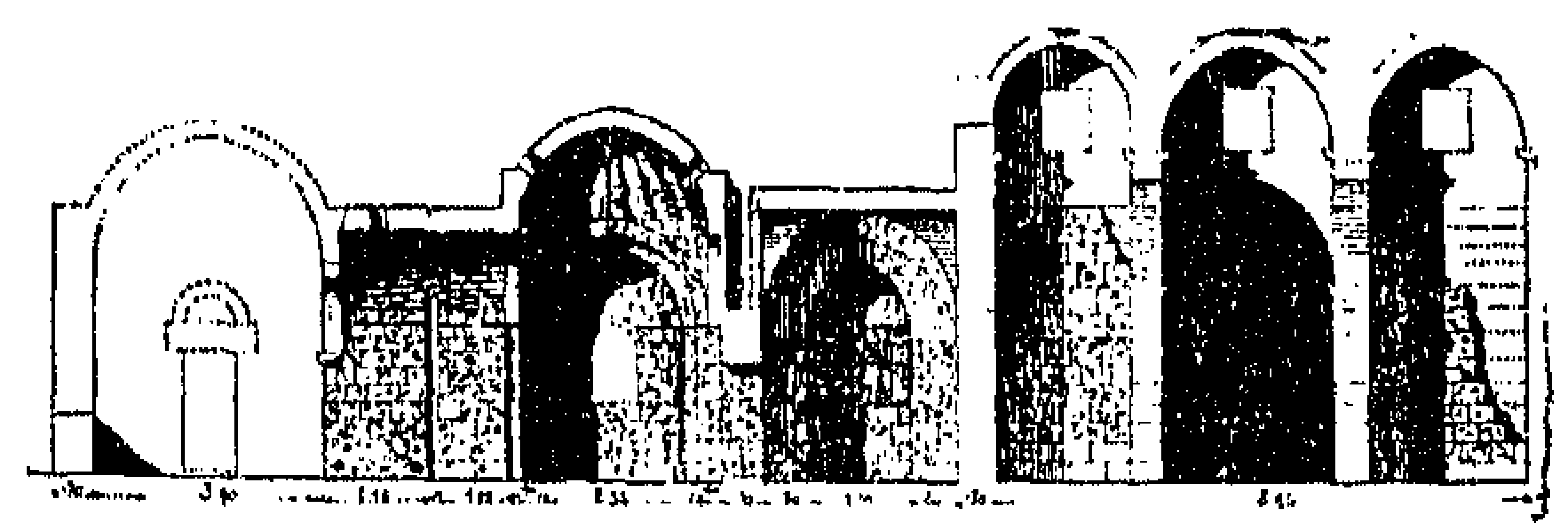
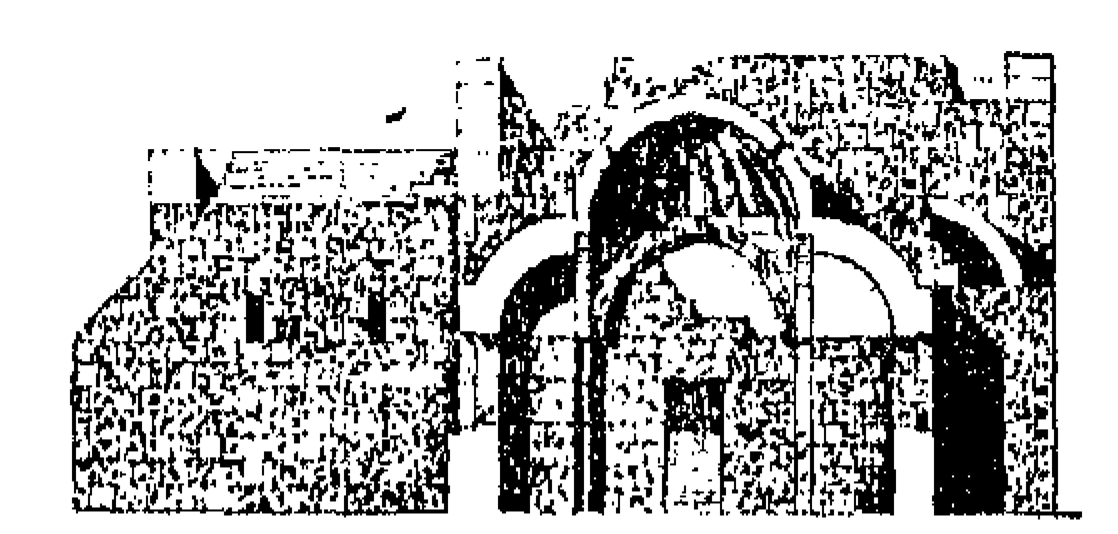


FIG. 319. ḤAMMĀM AṢ-ṢARAKH: Plan. Scale 1 : 200.

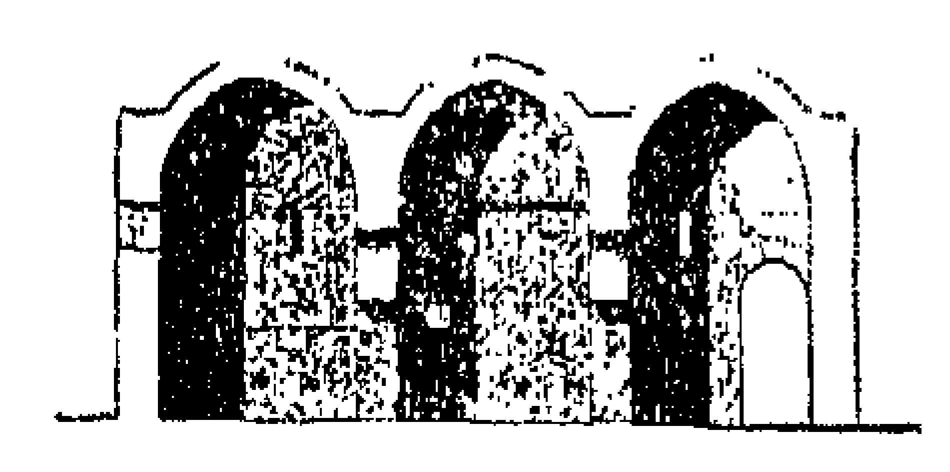
شكل (٢٠)
المسقط الأفقى لحمام الصرخ
(عن ڤنسنت)



SECTION AB RESTORED.



SECTION CD.



SECTION EF.

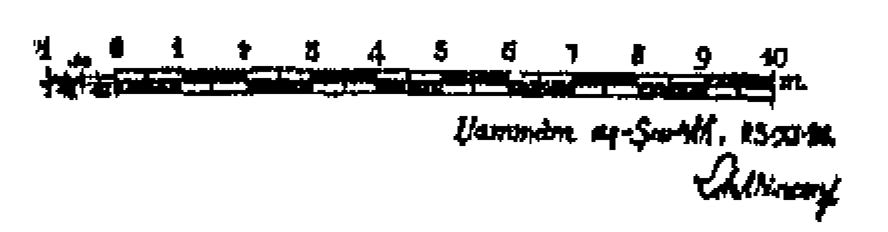


Fig. 310. Hammām al-Sarakh: Sections. Scale 1:100.

شكل (٢١)
قطاعات رأسية بحمام الصرخ
(عن ڤنسنت)

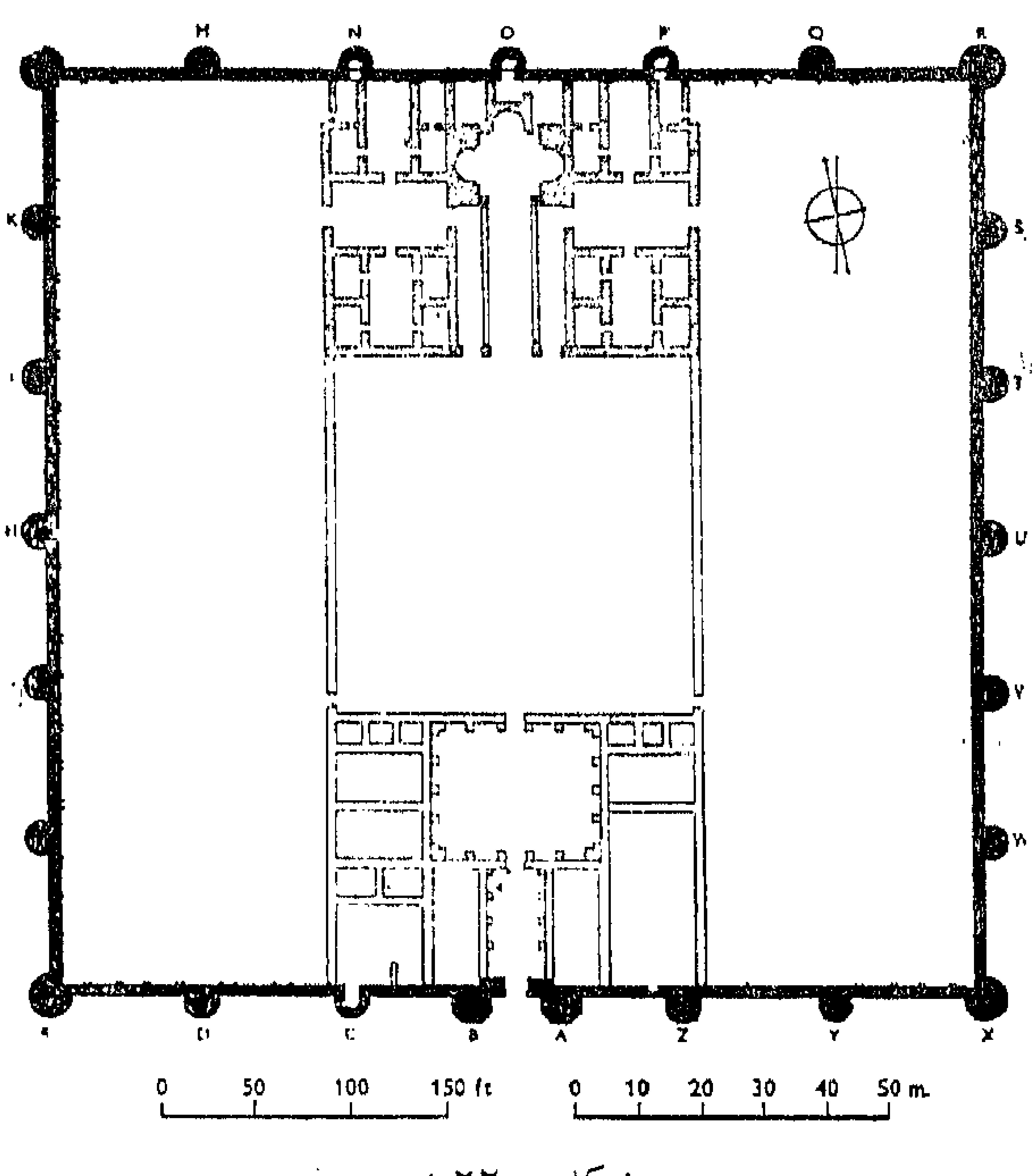
قصر المشتى :

ينسب بناء هذا القصر للخليفة الأموى « الوليد الثانى » ـ ويقع على بعد عشرين ميلاً جنوب شرقى عمّان ـ عاصمة شرق الأردن ـ وقد كان للأستاذ لايارد فضل الكشف عنه فى عام ١٨٤٠ ـ وقام ببحثه ودراسته الأستاذ شولز ـ وقد جنى ثمرات أفكارهم بعد ذلك كثير من علماء الآثار أمثال : الأستاذ كريزول وترسترم ورولنش وديلافوى وموزيل ولامنس وغيرهم .

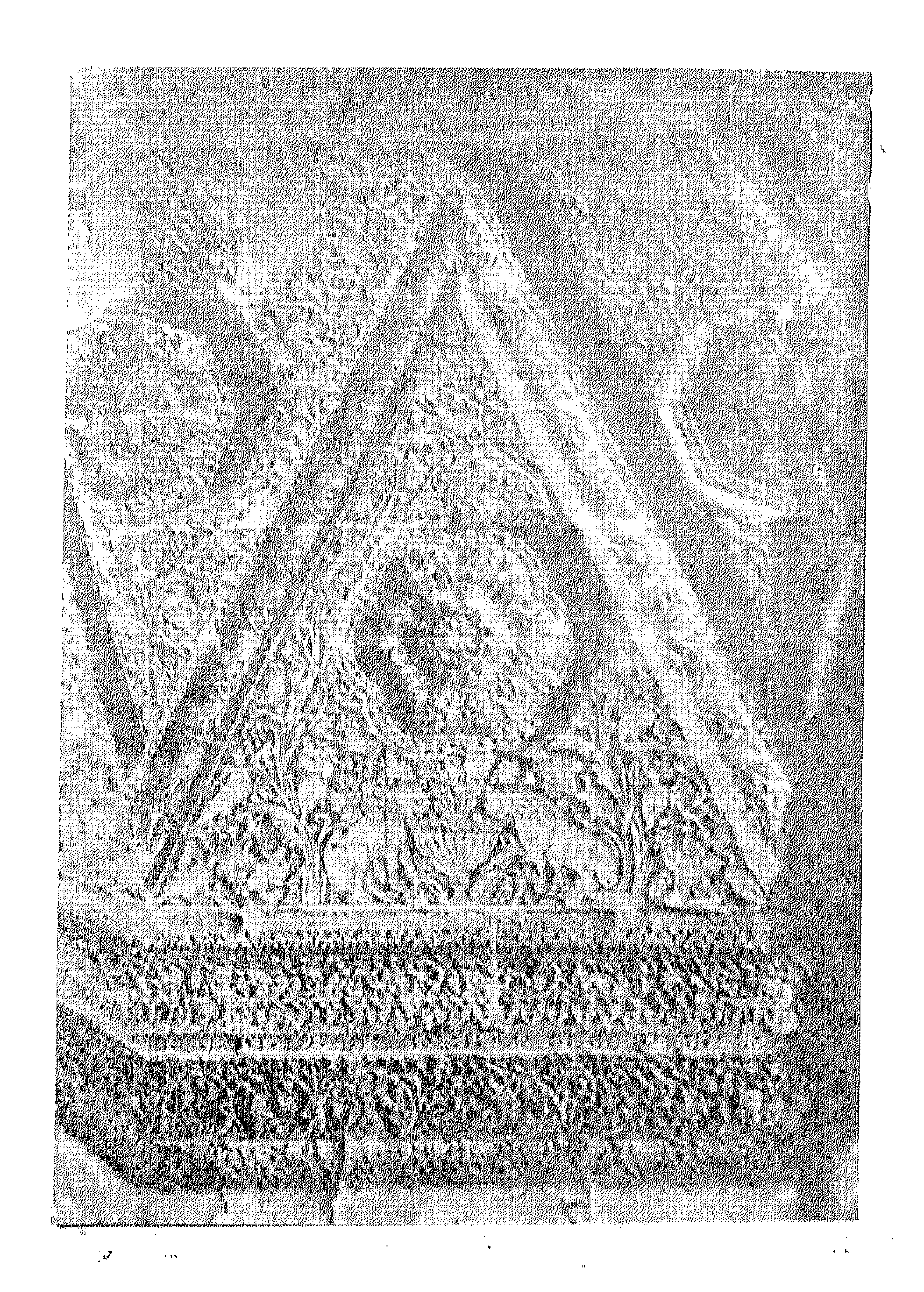
وقصر المشتى قصر صحراوى غير تام البناء وفى حالة مهدمة وقد نقلت أهم الأجزاء من الزخارف المحفورة فى الحجر الجيرى فى الواجهة الجنوبية الى برلين مهداة من السلطان عبد الحميد الى القيصر غليوم الثانى . وقد وضعت فى متحف القيصر فردريك ببرلين منذ سنة ١٩٠٣ .

والقصر مستطيل التخطيط ومساحته من الداخل حوالى ١٤٤ متراً مربعاً وحائطه الخارجى تكتنفه أبراج نصف دائرية ويتوسط المدخل واجهته الجنوبية ـ كما أن القصر مقسم من الداخل الى ثلاثة أقسام رئيسية تتجه من الشمال الى الجنوب ـ وعرض الجزء الأوسط ٥٧ متراً وكل من الجانبين ٤٢ متراً ـ والمبانى الداخلية مبنية بالطوب وترتكز على قاعدة من الحجر مكونة من أربعة مداميك أفقية . وسمك الحائط الداخلى ١٫٧٠ متراً وقطر الأبراج ٥٫٢٥ متراً وتبتعد ١٩ متراً عن بعضها .

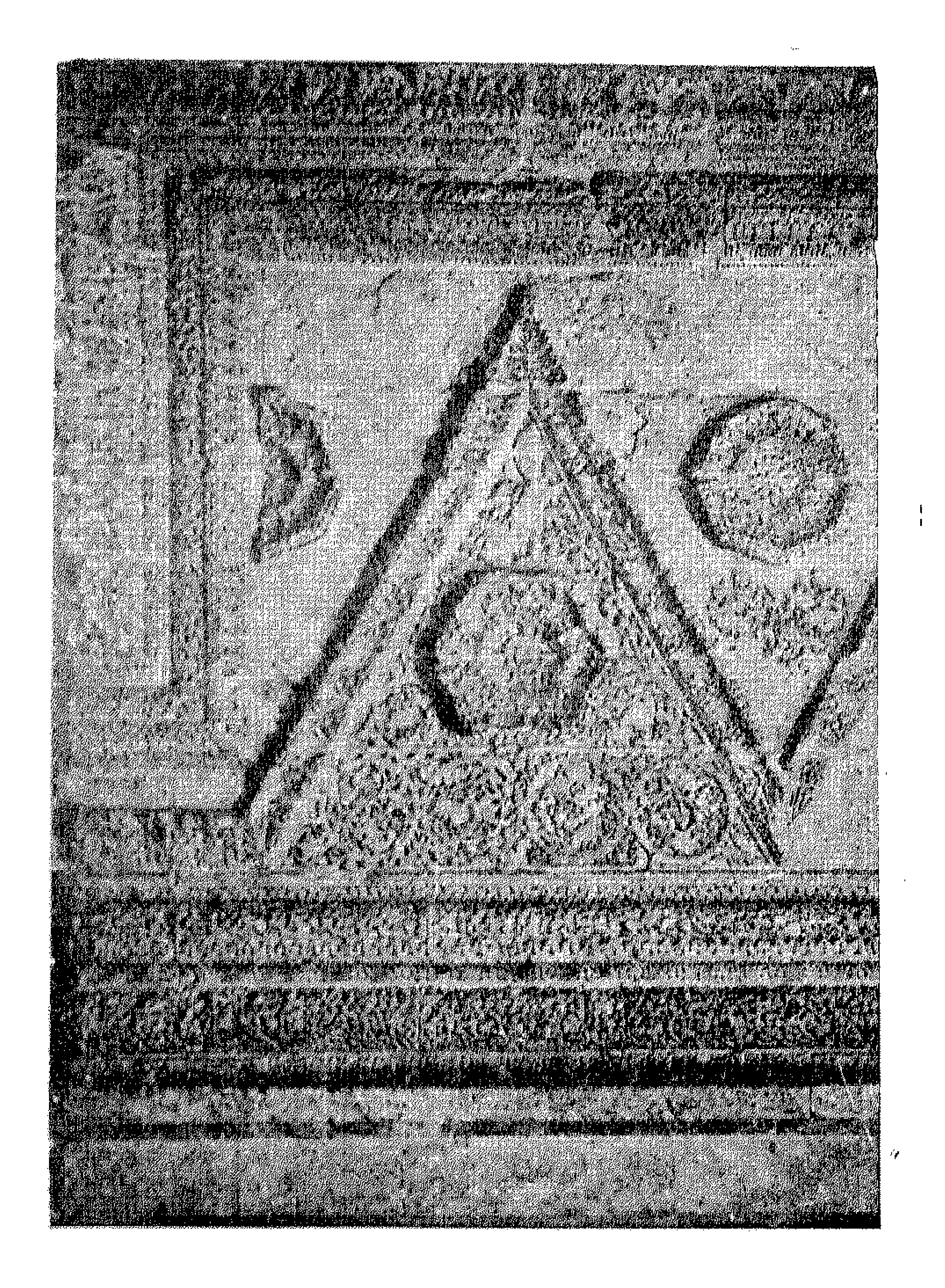
والمدخل يكتنفه برجان على شكل نصفى مثمنين ويتكون شكل الواجهة الجنوبية من عدة مثلثات معتدلة ومقلوبة بحيث تظهر فى مجموعها على شكل خط منكسر ـ وفى وسط كل مثلث وردة وبأسفلها فى المثلثات المعتدلة موضوعات زخرفية متنوعة بعضها يمثل حيوانين متقابلين يفصلهما



شكل (٢٢)
المسقط الأفقى لقصر المشتى



شكل (٢٣)
برج المدخل الأيسر بقصر المشتى



شكل (٢٤)
واجهة قصر المشتى الى يسار المدخل

اناء — والأرضية مكونة من زخارف نباتيــة جميلة محفورة على الحجر — ويلى المدخل ردهة توصــل الى فناء مربع التخطيط مســاحته ١٤ متراً مربعاً — ويكتنف ردهة المدخل من جهتيها حجرات مكونة من طابقين كما توجد الى يمين المدخل غرفة مستطيلة فى حائطها الجنوبى محراب أو تجويف عبارة عن حنية داخلة فى الحائط مما يدل على أن تلك القاعة كانت تمثــل « مسجد القصر » .

ويلى الفناء الأول فنــاء كبير مســاحته ٥٧ متراً مربعاً يليه القسم الملكى للقصر ويتكون من قاعة مقســمة الى ثلاث بلاطــات على طراز البازليكا وتنتهى بقاعة العرش المكونة من ثلاث حنيــات نصف دائرية التخطيط . ويكتنفها من جهتيها « بيوت » مكونة من زوجين من الغرف ومسقوفة بأقبية ويفصلها فناء — وهناك توجد أربع مجموعات من هذه البيوت حول قاعة العرش فى قصر المشتى . ونظام البيت كما كان متبعاً فى سوريا قبل الاسلام من حيث نظام الغرف ووضعها بالنسبة للفناء — ويلاحظ أن الأبواب تتوسط الجدران التى تفتح على الفناء المتوسط — وأقبية الغرف مكونة من طوبة ونصف ومبنية بدون عبوات كما هو الحال فى بناء الأقبية فى الشرق — والطوب مربع الشكل ، والعقود مدببة ووجه العقد ظاهر فيه شكل الطوب بحيث يظهر مسطحه المربع ، وتوجد دورات للمياه فى بعض الأبراج المتصلة بالحائط الخارجى .

ونظام البيت فى قصر الطوبة يتبع نظامه فى قصر المشتى ويقع قصر الطوبة فى وادى غداف على بعــد ســتين ميــلا جنــوب شرقى عمان وينسب بناؤه أيضاً الى الخليفة الأموى « الوليد الثانى » .

ويعتبر تخطيط قاعة العرش فى قصر المشتى تخطيطاً جديداً ويظهر لأول مرة فى سوريا فى هــذا القصر ، ويتبع نظام الغرف فى بيوت قصر المشتى النظام البابلى وهو النظام الذى اتبع فى سوريا قبل بنــاء قصر المشتى فقد وجد قبل ذلك فى « قسطل » على بعد أربعة أميال الى الغرب

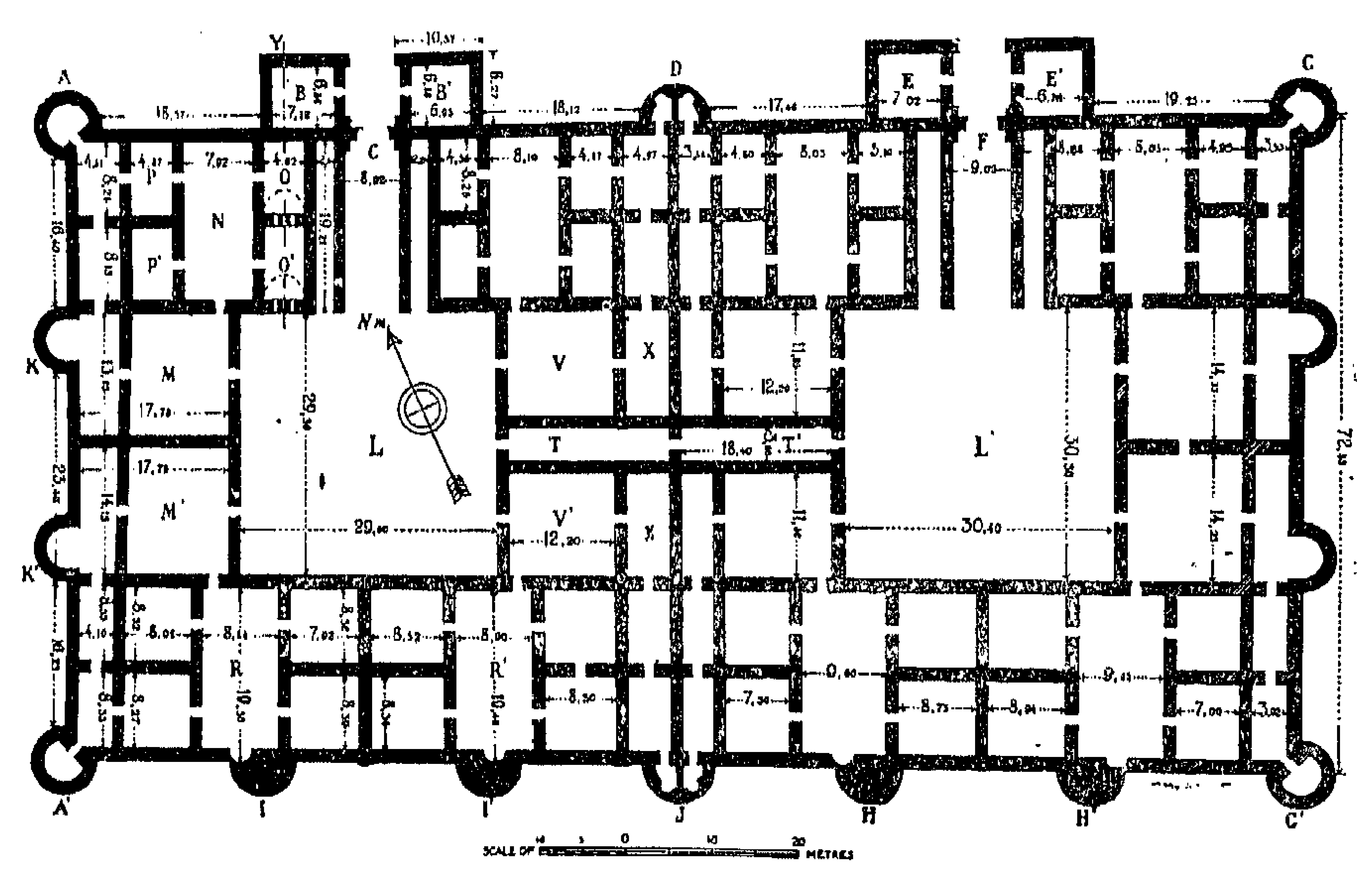
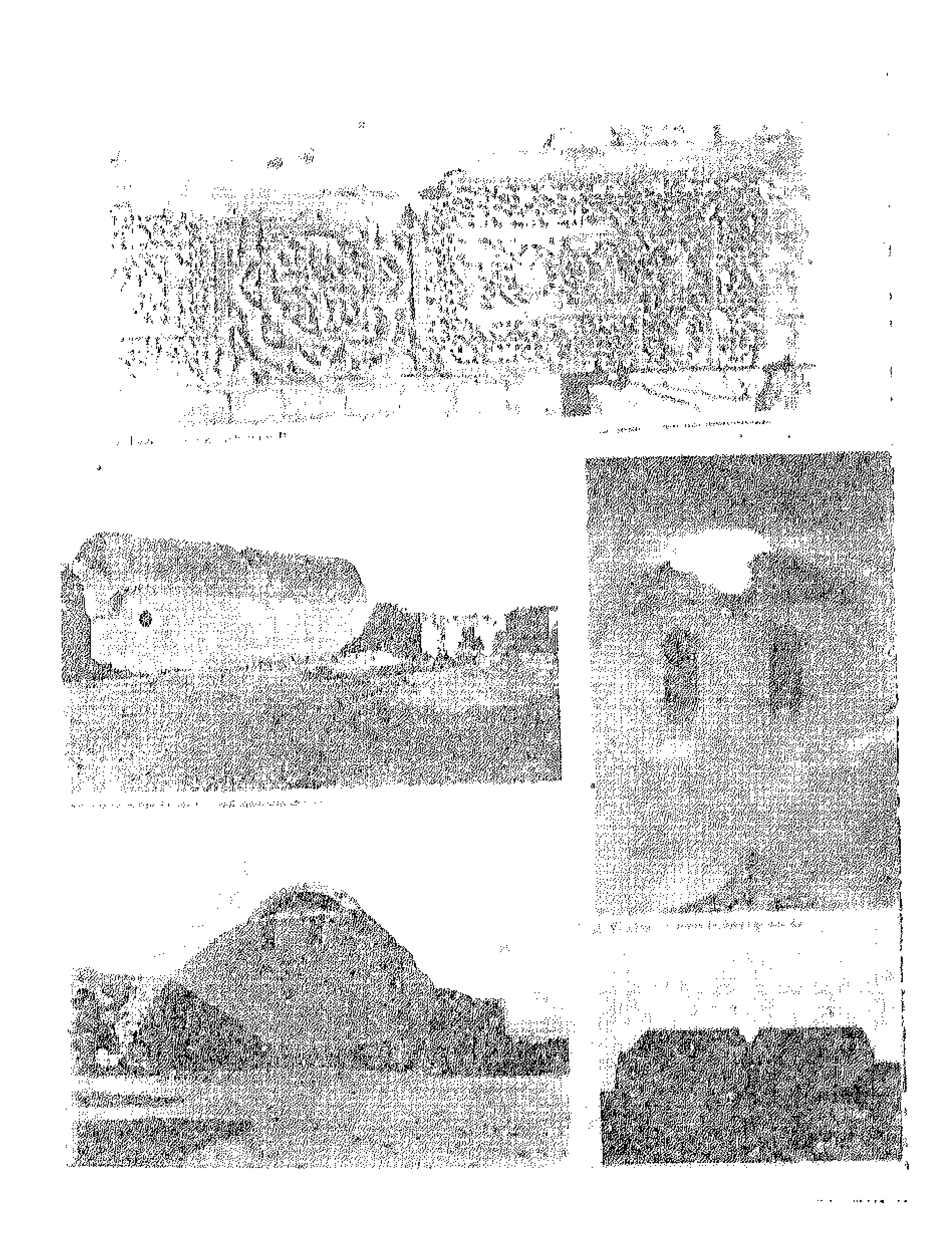


Fig. 461. Qasr at-Tuba: Plan. Scale 1 : 500. (After Jaussen and Savignac, with slight modifications.)

شكل (٢٥)
المسقط الأفقى لقصر الطوبة



شكل (٢٦)
قصر الطوبة ــ زخارف وأشكال الغرف الداخلية المغطاة بأقبية

من قصر المشتى — كما وجد مثل هذا النظام فى الطابق العلوى من قصر خَرّانه والذى يرجح الأستاذ كريزول أن تاريخ بنائه يرجع الى ما قبل الاسلام .

أما الأصل فى تخيط القاعة على شكل ثلاث حنيات نصف دائرية فقد شوهد قديماً فى الحمامات الرومانية فى تونس فى « تلبتة » ثم وجدت بعد ذلك فى الغرفة الساخنة فى الحمامات الرومانية فى « لمبسة » بالجزائر ثم فى روما بعد ذلك فى عدة أماكن — أما فى الشرق فقد وجدت فى سوريا بكنيسة يوحنا البطريرك (٤٥٠ — ٤٦٠ م) ببيت المقدس . كما وجدت أيضاً عدة أمثلة فى شمال افريقية بنيت فى النصف الثانى من القرن الخامس الميلادى وذلك فى تبسة وغيرها .

وقد استعمل هذا التخطيط لأول مرة كقاعة للعرش فى أحد القصور فى مدينة « بصرى » — ويرجح الأستاذ بتلر أن تاريخ بناء هذه القاعة يوافق تاريخ بناء كنيسة بصرى أى ما بين ٥١٢ — ٥١٣ م ثم وجدت أيضاً فى قصر بن وردان سنة ٥٦٤ م .

وقد كان انشاء تخطيط قاعة العرش على شكل ثلاث حنيات نصف دائرية تتقدمها قاعة على شكل البازليكا لأول مرة فى مصر فى مدينة « سوهاج » فى الدير الأبيض والدير الأحمر (٤٤٠ م) مما كان له أثره فى تخطيط قاعةالعرش بقصر المشتى .

أما زخارف واجهة قصر المشتى — فهناك عدة عناصر وتأثيرات بيزنطية وهلينية وساسانية تلاحظ بوضوح فى الزخارف النباتية والحيوانية ، وبعض تلك الزخارف النباتية تشبه الزخارف القبطية التى وجدت على بعض التحف فى مصر — وقصارى القول فان قصر المشتى حافل بالزخارف الحائطية المحفورة على الحجر الجيرى والتى تعتبر بحق من أهم الأمثلة لتلك الصناعة فى العصر الأموى .

العمارة الاسلامية فى العصر العباسى

مقدمة :

استمر حكم هشام بن عبد الملك فى عهد الدولة الأموية تسعة عشر عاماً وتوفى عام (١٢٥ هـ ــ ٧٤٣ م) ، وقد خلفه الوليد الثانى الذى ينسب اليه القصران الأمويان : قصر المشتى وقصر الطوبة وهما أثران مهمان من ناحية العمارة الاسلامية ــ ثم خلفه يزيد الثالث ثم الخليفة مروان الثانى الذى كان عهده عهد اضطراب وقلق واتخذ حرّان مقراً له .

وفى سنة ٧٤٧ م أمر « ابراهيم » رأس البيت العباسى فعهد الى أبى مسلم برفع العلم الأسود شعار الدولة العباسية الجديدة ــ وقد حاول مروان القبض على ابراهيم الذى توفى فى السجن بعد ذلك بمدة قصيرة ــ وفى أثناء تقدم قحطبة قائد أبى مسلم نحو الكوفة ظهر أبو العباس شقيق ابراهيم ونادى به أتباعه خليفة جديداً ــ وقد هزم مروان بعد ذلك فى موقعة الزاب فى سنة (١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م) ــ ثم فر هاربا نحو الموصل فحرّان ثم حمص ودمشق وفلسطين حتى وصل الى مصر حيث لجأ الى كنيسة فى بوصير بالفيوم وهناك اعتقل وأعدم فى يوليو سنة ٧٥٠ م .

وفى دمشق فى سنة (١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م) نودى بأبى العباس أول خليفة ومؤسساً للدولة العباسية ، ولما كانت دمشق مقراً لحكم الأمويين

فقد نقل أبو العباس مقر الحكم الى الكوفة ــ وقد عرف أبو العباس بالسفاح ــ وفى هذه الأثناء فر عبد الرحمن الى الأندلس وأسس هناك امارة قرطبة ــ وقد اتخذ السفاح قصر ابن هبيرة مقراً له وقد عنى ببنائه يزيد بن عمر بن هبيرة ويقع بين الكوفة وبغداد ثم زاد فى مساحته وأطلق عليه اسم « الهاشمية » .

وقد خلف السفاح أبو جعفر المنصور فولى الخلافة فى سنة (١٣٦ هـ ــ ٧٥٤ م) وفى أول الأمر اتخذ الهاشمية بالكوفة مقراً لحكمه وهى تقع بين الكوفة والحيرة ــ ثم أخذ فى البحث عن موقع جديد لبناء عاصمة العباسيين الجديدة ــ وبعد جهد طويل استقر بهم الأمر على اختيار موقع مدينة بغداد لبناء العاصمة الجديدة ــ ويشبه اختيار موقع تلك العاصمة اختيار « ادريس » لمدينة « فاس » فى شمال افريقية وذلك فى سنة (١٩٠ ــ ١٩١ هـ) ــ (٨٠٥ ــ ٨٠٦ م) .

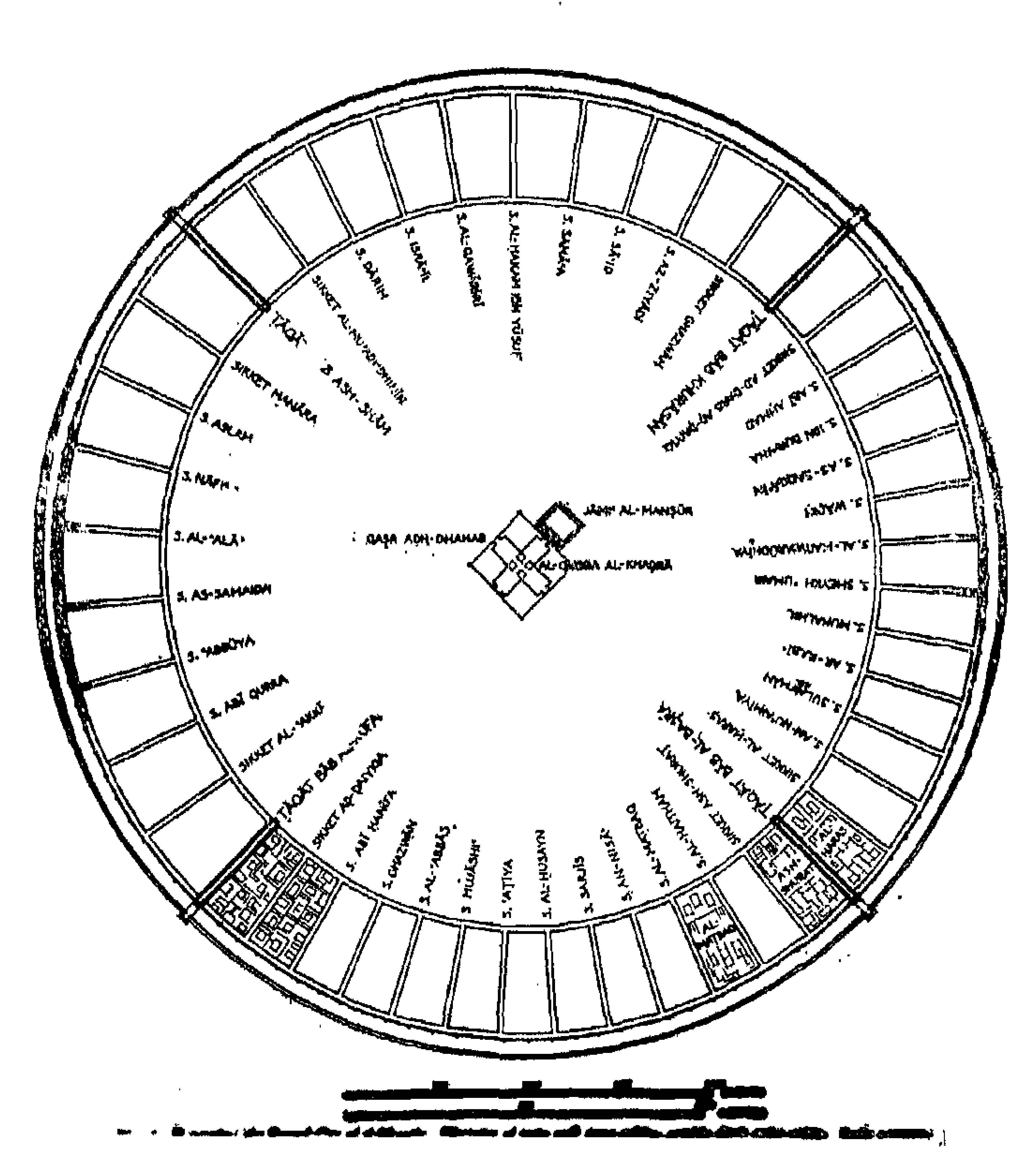
وقد أشاد كثير من المؤرخين فى حسن اختيار موقع مدينة بغداد كالمقدسى الذى أشاد بحسن جوها صيفا وشتاء وأيضاً « نولديكيه » الذى ذكر أن مدينة بغداد أصبحت مدينة عالمية ولم يزاحمها فى الأهمية ولم ينافسها سوى مدينة القسطنطينية حيث كانت التالية لها فى العواصم الكبرى . وقد أنشأ صالح بن على أول حاكم عباسى فى مصر (١٣٣ هـ ــ ٧٥٠ م) مدينة العسكر شمال الفطاط بالقرب من جبل يشكر كما أنشأ أيضاً قصراً جديداً للامارة لأن القصر الذهبى الذى كان قد أنشأه عبد العزيز أصابه الحريق على يد مروان أثناء فراره واستمر هذا القصر الجديد مسكناً رسمياً وداراً للامارة لحكام مصر حتى عهد أحمد بن طولون حيث بنى قصر الميدان (٢٥٧ هـ ــ ٨٧١ م) . وفى (١٣٢ ــ ١٣٨ هـ) ــ (٧٥٠ ــ ٧٥٥ م) أنشأ أبو مسلم الخراسانى داراً للامارة فى مدينة مرو وكانت على شكل مربع يتوسطه غرفة مربعة تعلوها قبة ارتفاعها ٥٥ ذراعا

وهذه الغرفة تفتح على أربعة ايوانات (مغطاة بأقبية) ، مساحة كل منها ٣٠ × ٦٠ ذراعاً ومنها يخرج الانسان الى فناء مكشوف مربع الشكل — ويذكر الاصطخرى أن دار امارة أبى مسلم كانت خلف المسجد أى ملاصقة لحائط القبلة — وقد اتبعت نفس الطريقة فى وضع دارة الامارة خلف المسجد فى مسجد أبى جعفر المنصور ببغداد بعد عشر سنوات ويلاحظ أن تصميم دار أبى مسلم كان له تأثيره على ما جاء بعده من عمائر اسلامية والتى شيدت فى العصر العباسى وذلك فى مجموعة الغرف المكونة لقاعتى العرش فى كل من قصر الخليفة المعتصم بسامرا (الجوسق الخاقانى) وكذا قصر بلكواره — الا أنه يوجد تعديل بسيط فى تصميم الايوانات فى قصر المعتصم بسامرا فقد صممت كل منها على طراز البازليكا .

ويرجع الفضل فى وصف مدينة بغداد الى المؤرخين اليعقوبى والخطيب — وجد الأول هو جعفر بن وهب سكرتير الأمير محمد بن صالح بن الخليفة المأمون وكان وصفه لمدينة بغداد وصفاً لتاريخ ماسبقه بنحو مائة وثلاثين عاماً وقد كتبه فى حوالى سنة ٨٩١ م . وأما المؤرخ الخطيب فهو أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادى — وقد ولد فى سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢) وتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١م) .

تأسيس مدينة بغداد :

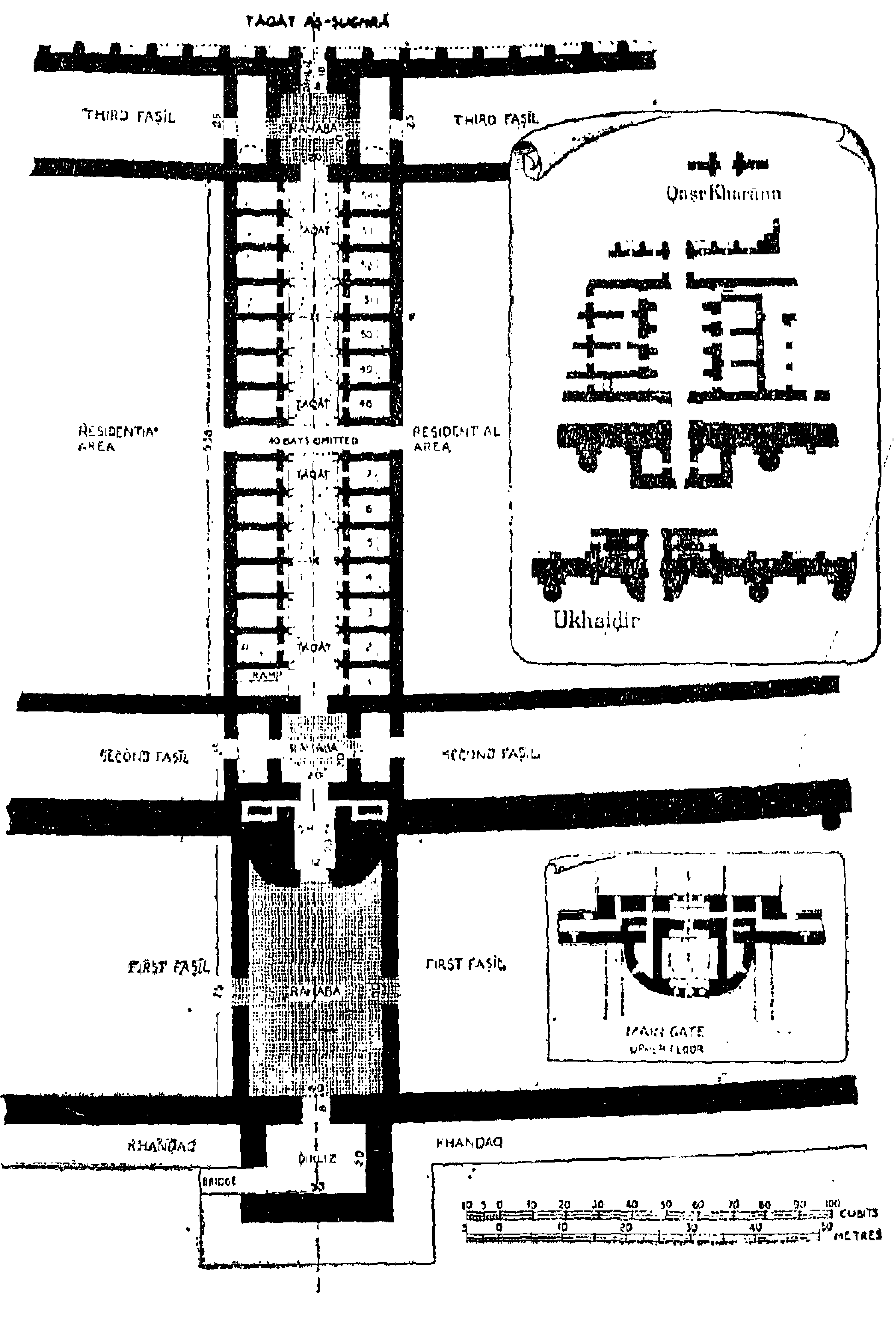
وقد وقع اختيار مكان تأسيس مدينة بغداد فى ٥ من ربيع الثانى سنة ١٤٤ هـ الموافق ١٣ من يوليو سنة ٧٦١ م — وذكر اليعقوبى أن عدد العمال الذين عملوا فى بناء المدينة كان مائة ألف عامل كما اشترط فى تصميمها خمس من المهندسين هم عبد الله بن محرز وحجاج بن عرطاط الذى عهد اليه بتخطيط المدينة وعمران بن الوداح وشهاب بن كثير وبشر بن ميمون — وقد ذكر البلاذرى عن الأخير أنه عهد اليه ببناء



شكل (٢٧)

مسقط أفقي يبين تخطيط مدينة بغداد في أيام الخليفة المنصور

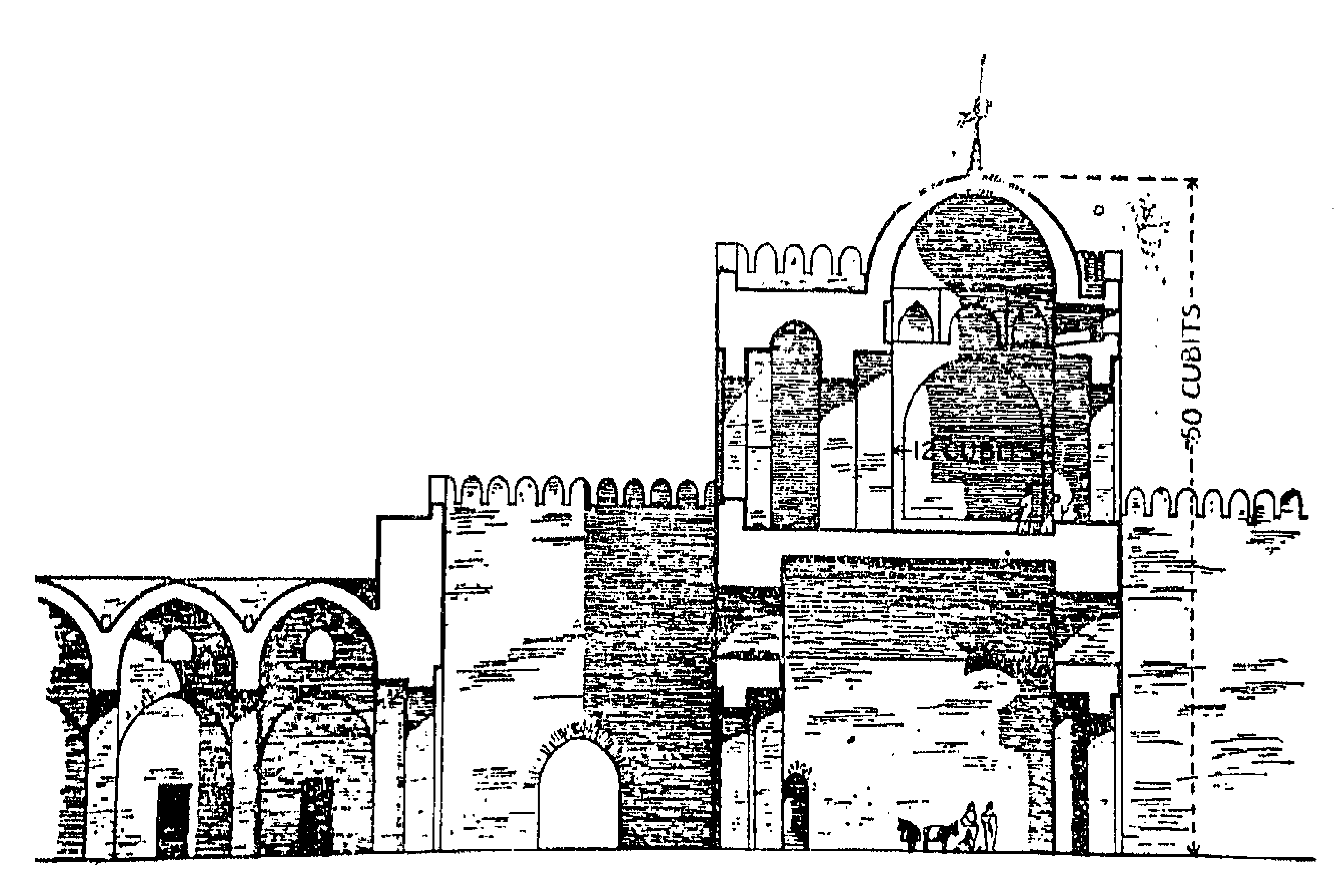
(عن كريزول)



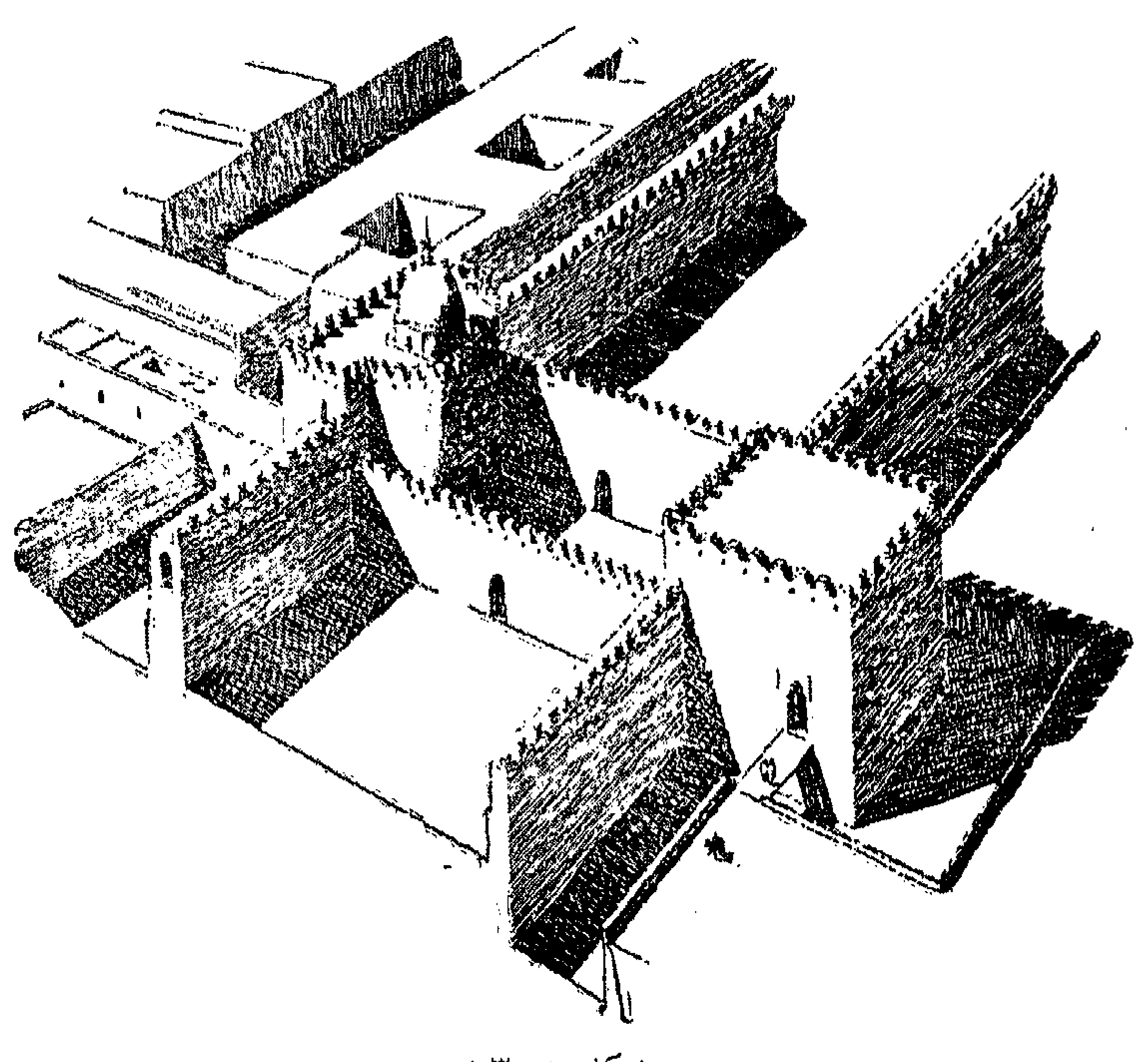
شكل (٢٨)

مسقط يبين أحد مداخل مدينة بغداد

(عن كريزول)



شكل (٢٩)
قطاع رأسى فى أحد مداخل مدينة بغداد
(عن كريزول)



شكل (٣٠)
منظور لأحد مداخل مدينة بغداد

الطاقات عند باب الشام ــ كما ذكر المؤرخون أنه اشترك أيضاً فى البناء أربعة من الملاحظين ، أحدهم أبو حنيفة صاحب أقدم مذهب من المذاهب الاسلامية الأربعة وكان يحسب الطوب بعد المداميك بواسطة مسطرة مدرجة . أما الطريقة التى اتبعت فى تشييد المدينة فهو رسم التخطيط بالرماد فى أول الأمر ثم وضع كرات من القطن مشبعة بالنفط ثم تحرق هذه الكرات تاركة آثارها حيث يحفر مكانها مكوناً أساس المدينة .

وقد بدىء فى بناء المدينة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢/٦٣ م) وتم نقل الخزانة والمكاتب الحكومية الى بغداد سنة ١٤٦ هـ وكان اتمام البناء فى سنة ١٤٧ هـ (٧٦٤ ــ ٦٥ م) وقد عرفت مدينة بغداد بعدة أسماء هى مدينة السلام ومدينة أبى جعفر نسبة لمنشئها والمدينة المدورة بالنسبة لتخطيطها المستدير ، فتخطيط مدينة بغداد دائرى الشكل ولها أربعة مداخل رئيسية محورية وهى باب خراسان فى الجهة الشمالية الشرقية وباب الشام فى الجهة الشمالية الغربية وباب البصرة فى الجنوبية الشرقية وباب الكوفة فى الجنوبية الغربية .

وقد ذكر الخطيب عن الرباح أن المسافة بين كل بوابتين (٤٠٠٠ ذراعاً) وقطرها حوالى ٢٧١٠ متراً ــ أما المادة التى استعملت فى بناء عمائر المدينة فهى الطوب بأنواعه ــ وكما نعلم أن شكل الطوب فى العراق كالبلاطة المربعة مساحتها ذراعاً مربعاً ووزنها ٢٠٠ رطلاً وهى من اللبن ــ ويذكر بعض المؤرخين أن المنصور كان قد قرر جلب الطوب من ايوان كسرى بعد هدمه ونقله ــ الا أن خالد بن برمك نصحه بالعدول عن تلك الفكرة لزيادة النفقات عن قيمة المواد نفسها ــ وقد استعمل الطين كنوع من الملاط كما استخدم البوص كرباط بين المداميك وهى طريقة بابلية قديمة استخدمت فى كثير من العمائر فى بلاد الجزيرة والعراق ــ أما الآجر فقد استعمل فى بناء الأقبية واستخدم الجص فى لحام المداميك والطوب .

وللمدينة سوران خارجيان ـ الداخلى منهما أسمك وأعلى وقطاع الحائط فيه مدرج ومقسم الى ثلاثة أقسام ، سمك السفلى منها ١٠ ذراعاً ، المتوسط ٩ ١/٤ ذراعاً ، والعلوى ٨ ١/٢ ذراعاً ـ وفى الجزء العلوى دهليز مغطى بقبو لمرور الجند للدفاع عن المدينة ـ وكان يحيط بسور المدينـة من الخارج خندق عرضه ستة أمتار .

وصف احد مداخل المدينـة الأربعة :

يجتاز الداخل الى المدينة قنطرة فوق الخندق عرضها أربعة أمتـار وهى توصل الى غرفة مستطيلة مغطاة بقبو نصف اسطوانى ومساحتهـا ٢٠×٣٠ ذراعاً ومنظر الغرفة من الخارج على شكل برج بارز عن السور الخارجى للمدينة ـ ومن داخل الغرفة ينعطف الداخل الى اليسار وهـذا النوع من المدخل يعرف فى العمارة الاسلاميـة باسم المدخل المنحنى ـ وهو يساعد على انكسار هجوم العدو وتصدعه وبذا يكون معرضـاً للسهام وغيرها من الأبراج الموجودة بالسور الداخلى ـ ويخرج الانسان من تلك الغرفة الى رحبة مستطيلة عبارة عن فناء مكشوف وبهـا بابان جانبيان يفتحان على الفاصل الأول الذى يوصل الى المداخل الأخـرى الرئيسية . وعلى محور الرحبة نجد المدخل الرئيسى للمدينة ـ وكان به باب حديدى ينزلق الى أعلى فى مجرى بالبرجين الجانبيين اللذين عـلى شكل ربعى دائرة ـ وهذا البـاب يفتح على دهليز مغطى بقبو نصف اسطوانى أبعاده ١٢×٢٠ ذراعاً ـ وارتفاع سقفه ٢٣ ذراعاً عن أرضية الداخل . وفى نهايتيه من جهة اليمين وجهة اليسار يوجد درجان يوصلان الى المجلس الذى يعلو الدهليز المقبى ـ والمجلس عبارة عن غرفة مربعـة مساحتها ١٢ ذراعاً مربعاً تعلوها قبة محمولة على أربعـة محاريب ركنيـة وهى طريقة اتبعت فى كثير من العمارة العباسية ـ وقد أخذها المسلمون عن الساسانيين وأمثلتها وجدت فى القرن الثالث الميلادى كما فى قصور

فيروزباد وسروستان وقصر شـيرين . وارتفـاع القبـة من الداخـل عن أرضية المجلس ٢٤ ذراعاً وسمك القبة من أعلى ذراع واحد أى أن ارتفاع القبة من الخارج (مستوى الرحبة) ٥٠ ذراعاً ـ وحول المجلس من الداخل كانت توجد مرتفقات ـ يجلس عليهـا الخليفة المنصور وقت الراحة ويشاهد المناظر المحيطة بكل مدخل كما كان يشاهد الوافدين من خراسان والشام والبصرة والكوفة . ويوصل المجلس الى ردهة تفتح على الجزء العلوى من السـور الداخلى الذى تكتنفه أبراج نصف دائرية بارزة عن السور ـ وتوجد بتلك الأبراج فتحات رفيعة جانبية وأماميـة (مزاغل) للدفاع عن المدينة وقد كانت تلقى منها السهام على العدو ـ وبين كل باب وآخر يوجد ٢٨ برجاً ما عدا الجزء من السور المحصور بين بابى الكوفة والبصرة فعددها ٢٩ برجاً . ويفتح الدهليز السفلى بعد ذلك على رحبة مربعة مكشوفة يكتنفها بابان جانبيان يفتحـان على غرفتـين جانبيتين كل منهما مغطاة بقبو نصف اسطوانى ويوصلان الى الفاصـل الثانى ، وعلى المحور الرئيسى للدهليز بعد الرحبة توجد الطاقات الكبرى وهى عبارة عن ٥٣ عقداً تحمل بينها ٥٤ قبواً نصف اسطوانى ـ وطريقة التسقيف هذه ، أخذها المسلمون أيضاً عن العمارة الساسانية فقد وجدت قبل ذلك فى الكرخ فى طاق ايوان واستعملت فى العصر الأموى فى قصير عمرا وحمام الصرخ وقصير الحلابات وقصر خرّانة ثم استخدمت نفس الطريقة بعـد ذلك فى بعض قصـور العبـاسيين كما فى بعض الغرف والقاعات المحيطة بقاعة العرش فى قصر الأخيضر العباسى ـ وفيهـا نرى تنوع استعمال تلك الطريقة وبديع تصميمها ـ وقد استمر استعمالها حتى شوهدت بعـد ذلك فى خان أرتما سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) . وتكتنف الطاقات الكبرى من الجانبين غرف الحرس والجنود وتتكون من ٥٤ غرفة فى الجهة اليمنى ومثلها فى الجهة اليسرى مكونة فى مجموعها ١٠٨ غرف منها مائة للجند فى كل منها ١٠ جنود وثمانى غرف للضباط . ونلاحظ أن محور تلك الغرف عرضى بالنسـبة للمحور الرئيسى الطولى للطاقات الكبرى

لكى تتحمل ضغط الأقبية والطاقات ــ وغرف الحرس والجند مغطاة بأقبية نصف اسطوانية ويلاحظ أن الغرفة الأولى من جهة اليسار كان بها ردم مائل يوصل الى الأسوار الرئيسية حيث كان يستخدم لسرعة انتقال الجند للدفاع وقت الهجوم على المدينة .

وينتهى دهليز الطاقات الكبرى بباب يفتح على رحبة مربعة أيضاً ويكتنفها من جهتيها غرفتان يعلو كل منهما قبو نصف اسطوانى ويفتحان على الفاصل الثالث ــ وعلى محور الرحبة الرئيسى يتجه الداخل الى الدائرة الوسطى وهى محاطة بسور دائرى به تجويفات مستطيلة تعلوها عقود محمولة على محاريب أو بلاطات أفقية وكل منها على شكل طاقية وتعرف فى مجموعها بالطاقات الصغرى ــ وهذه الطريقة استعملت بعد ذلك فى « فناء الشرف » بقصر الأخيضر العباسى .

أما قلب المدينة الدائرية التخطيط فهو قصر الخليفة المنصور وكان يعرف باسم قصر الذهب أو قصر باب الذهب وأهم أجزائه القبة الخضراء وارتفاعها ٨٠ ذراعاً ــ وتصميم القصر يشبه الى حد كبير تصميم دار امارة أبى مسلم بخراسان ويعلو القبة غرفة علوية عبارة عن قاعة مربعة مغطاة بقبة دائرية وكل من القبتين محمول على أربعة محاريب ركنية (الطريقة الساسانية لتحويل القبة من المربع الى الدائرة) ــ وتفتح القبة السفلية على أربعة ايوانات . ومساحة القصر ٤٠٠ ذراع مربع ويعلو القبة العلوية تمثال لفارس ممتطيا جواده وهو يتجه مع الريح ، وقد سقطت هذه القبة عام (٣٢٩ هـ ــ ٩٤١ م) . وبجوار القصر وجد المسجد ملاصقاً لحائطه الشمالى الشرقى . وحول القصر فى الدائرة الوسطى توجد قصور الأمراء والمبانى الحكومية .

وفى الأربع مساحات المحصورة بين المداخل الأربعة الرئيسية ، كانت توجد المناطق السكنية ، وفى كل قسم شوارع رئيسية عددها

يتراوح بين ثمانية واثنى عشر شارعا يتجه نحو قلب المدينة وينتهى كل شارع بباب على محوره .

وقد ذكر المؤرخون أن عدد البوابات الحديدية لمدينة بغداد ثمان يخص كل مدخل من المداخل الرئيسية الأربعة اثنتان احداهما للباب الخارجى والأخرى للباب الرئيسى أسفل المجلس . وهذه الأبواب الحديدية الثمانية ، يذكر المؤرخون أن خمسة منها أحضرها الحجاج من زندورد (المقابلة لمدينة واسط) — وواحدة من سوريا ويقال انها من صناعة فرعونية واستعملت لبوابة خراسان — والبوابة الحديدية لمدخل الكوفة قد استجلبها خالد القسرى — أما بوابة دمشق فقد صنعت خصيصاً لها .

والأصل فى التخطيط الدائرى لمدينة بغداد قد أخذ عن النقوش الآشورية البارزة التى تمثل المعسكرات الآشورية والتى سجل عليها تاريخ سلمنازار الثالث (٨٥٨ — ٨٢٤ ق.م.) . وسنكيريو فى نينوى (٧٠٥ — ٦٨٧ ق.م.) وتخطيطها مستدير وبه طريقان متقاطعان عموديان على بعضهما يجريان من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب .

على أن هناك خمس مدن قديمة على الأقل يلاحظ فيها التخطيط الدائرى وهى سنجرلى (القرن الثامن قبل الميلاد) وعَبْرَه على نحو ٦٠ كيلو متراً الى الشرق من نصيبين فى الطريق الى الموصل ويلاحظ أن لها بابا واحدا — ومدينة هجمطانه والتى كان يطلق عليها الاغريق اسم اكبطانا (النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد) ومدينة هاترا (القرن الأول بعد الميلاد) وحران وهى ترجع الى العصر البيزنطى ودارابجرد فى مقاطعة فارا الفارسية وكان بها ثمان طرق محورية بين كل منها ٤٥° وقد تأثر منها تصميم مدينة بغداد الى حد بعيد .

ويلاحظ من ناحية الاقتصاد والتوفير فى نفقات البناء ، أن محيط قطعة أرض على شكل دائرة أقل من المربع المتساوى فى المساحة بنحو

٣٧ر١١٪ ــ أما الأصل المعمارى فى المدخل المنحنى فقد أخذه مهندسو مدينة بغداد عن العمارة المصرية القديمة اذ وجد فى الفترة ما بين الأسرتين السادسة والثانية عشرة (٢٦٢٥ ــ ١٧٨٧ ق.م.) ووجد قبل ذلك فى الكوم الأحمر الواقع على الشاطىء الغربى للنيل ــ وأيضا فى شونة الزبيب ــ وتعتبر المداخل الأربعة لمدينة بغداد التى أنشأها أبو جعفر المنصور ــ الأولى فى الاسلام من حيث تخطيط المداخل المنحنية .

وقد اختفى الحائط الداخلى المحيط بقصر الذهب مبكراً لازدحام الدور حوله ولم يعش الخندق حول الحائط الخارجى طويلا بعد وفاة المنصور اذ لم توجد أية اشارة له فى وصف الحصار الأول لمدينة بغداد فى أيام الأمين . واذا استثنينا الحائط الداخلى والخندق الخارجى فان مدينة بغداد استمرت قائمة كما بناها المنصور حتى وفاة هارون الرشيد سنة ٨٠٩ م. ويرجع اصابة الحوائط المزدوجة وتعرضها للتصدع والانهيار فى أول الأمر الى الحصار الأول لمدينة بغداد سنة ٨١٤ م ، على يد جنود ابن طاهر ــ وفى سنة ٩٤١ م . تهدم القصر الذهبى ، وقد دلت محاولة المسجونين لتكسير البوابات الحديدية أثناء ثورة ٩١٩ م. أن الأسوار كانت لا تزال قائمة فى ذلك الوقت ــ ويذكر المقدسى أن فيضان سنة ٩٤٢ م. كان سبباً فى هدم الطاقات المؤدية الى بوابة الكوفة ــ وبهذا يرجح أن البوابات الأربع استمرت قائمة حتى سنة ٩٤٣ م ــ وفى سنة ٩٦١ م. أزال معز الدولة الأبواب الحديدية ــ وفى نهاية القرن العاشر فقدت بغداد شخصيتها وأصبح جزء منها أرضا قفاراً بينما كون الباقى نواة للمدينة الجديدة التى نمت خارج الأسوار .

——ooOoo——

مدينة الرقة
(١٥٥هـ ـ ٧٧٢م)

كانت تعرف قبل الاسلام باسم « نيسافوريوم » بعد تأسيسها في عهد الاسكندر الأكبر ، وبعد وقوعها في يد العرب سميت بالرقة وذلك لكثرة المستنقعات الواقعة في الجزء الشرقي منها حيث يصب نهر بلخ بالفرات ـ وتبعد هذه المدينة حالياً بنحو ١٠٠٠ متر عن نهر الفرات .

وقد ذكر البلاذري أنه في سنة (١٥٥ هـ ـ ٧٧٢ م) ـ أنشأ الخليفة المنصور المدينة الجديدة التي تقع الى الغرب من المدينة القديمة على بعد نحو ٣٠٠ ذراع . وقد عرفت أيضاً باسم « الرفيقة » وأقامت فيها فصائل جنده من القبائل الخراسانية وذلك كي يحمى الجبهة السورية من غارات الاغريق عليها وذلك بعد أن تخربت المدينة القديمة . وقد ذكر الطبري أن المدينة الجديدة قد بنيت على غرار مدينة بغداد وذلك من حيث طريقة بناء الأسوار والأبواب الحديدية والفواصل ـ كما ذكر أيضاً أنه كان من الممكن لفارسين ممتطين جواديهما السير جنبا الى جنب من فوق أسوار هذه المدينة الجديدة كما لم يكن تخطيطها مستديراً بل كان الجانب الجنوبي مستقيما والباقي يكون جزءاً يشبه الى حد كبير شكل حدوة الفرس الا أنه مدبب قليلاً .

وقد كانت أسوار المدينة مزدوجة كمدينة بغداد القديمة ومبنية من اللبن ولا يزال بعضها موجوداً ـ وبالسور الداخلي للمدينة أبراج

مستديرة على أبعاد نحو ٣٥ متراً عن بعضها البعض ، وتوجد فى الركن الجنوبى الشرقى للمدينة بقايا برج كبير مستدير ارتفاعه يصل الى حوالى ١٠ أمتار ونصف قطره حوالى ٧,٨٠ أمتـــار وهو مبنى بالطوب اللبن وتكسوه بلاطات من الآجر المربع الشكل .

أما الأســوار الخارجيـــة فأقــل ارتفاعاً من الداخلية وليس بهـــا أبراج — ويحيط بها خندق من الخارج كما كان الحال فى مدينة بغداد التى أنشأها أبو جعفر المنصور — وقد اتضح من الحفريات أن الحوائط بعكس الأبراج لم تكن مكسوة من الخارج بالآجر (الطوب المحروق) ، فى حين أن جوانب الخندق كانت مكسوة بالآجر .

وقد اتضح أن سمك السور الرئيسى الداخلى ٥,٨٥ أمتار والخارجى ٤,٥٠ أمتار وعرض الفاصل بين السورين ٢٠,٨٠ متراً — أما اتساع الخندق من أعلاه فكان ١٥,٩٠ متراً — وبالكشف عن السور أتضح أنه مكون من أسفله من مدماكين من الطوب الأبيض الجيرى فوق تربة صـــخرية وملتصقة بها بالملاط .

بوابة بغـــداد :

ويرجح أنه كان لمدينة الرقة ثلاث بوابات :

الأولى فى الركن الجنوبى الشرقى وهى المعروفة حالياً باسم بوابة بغداد وهى التى تؤدى اليها والثانية فى الركن الجنوبى الغربى وهى تطل على نهر الفرات والثالثة وهى ما يحتمل أن تكون فى الجانب الشمالى وتؤدى الى حـــرّان — وهناك رأى باحتمال وجود بوابة رابعة تقع على ضـــفة النهـــر .

وعقد بوابة بغداد ليس بالعقد المدبب المعروف بل انه من النوع الذى ينشأ بأربعة مراكز ، وقد شاع استعماله بعد ذلك وأصبح متداولاً فى كل من العراق وايران — ويعتبر هذا العقد أول نوع من العقود المدببة وقد ظهر خارج سوريا . والمدخل يؤدى الى مساحة مسطيلة التخطيط يتوسطها قبو متقاطع ، الذى يكتنفه من جهتيه قبوان نصف أسطوانيين .

أما الحشوة المعقودة الى يسار المدخل من الخارج فهى مزخرفة ومحلاة بزخارف من الطوب قوامها الصليب المعقوف وخمسة مربعات متداخلة وهذه الطريقة من الزخرفة قد أخذها العرب عن بلاد الفرس — ويمكن تقسيم الواجهة الخارجية الى قسمين السفلى ويشتمل على قبوة عظيمة للطريق ، وحشوتين مسدودتين — والعلوى وهو مكون من سلسلة من الحشوات الثلاثية الفصوص .

البوابة الداخليــة :

ويلاحــظ من التخطيط العــام للمدينــة أن من يدخــل البوابة الخارجيــة يجب عليــه أن يمر من الفاصــل تحت شرفة الحصن بحيث يكون جانبه الأيمن معرضاً للنيران من الشرافات قبل أن يتمكن من دخول البوابة الداخلية التى تتحكم فى الدفاع — كما كان الحال فى مدخل مدينة هاترا — أى بطريقة المدخل المــائل .

المسجــد الكبير :

وتخطيطه مستطيل الشــكل وضــلعاه بنسبة ٦ : ٧ وهو محــاط من الخارج بسور من اللبن به أبراج نصف أســطوانية وسمك السور حوالى ١ ٢/١ متراً وبروز الأبراج ٣ أمتار من الحائط الخارجى ويتوسط

المسجد صحن به ضريح صغير ومئذنته يرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر الميلادى ــ أما بائكات رواق القبلة فتتكون كل منها من ١١ عقداً . ورواق القبلة مكون من ثلاث بلاطات تجرى موازية لحائط القبلة فى حين أن كل رواق من الأروقة الثلاثة الأخرى يتكون من بلاطتين فقط والعقود مبنية بالآجر ــ ويرجح تغطية بلاطات رواق القبلة بثلاثة جمالونات .

وتوجد كتابة تاريخية فى وسط الواجهة الخارجية لرواق القبلة المشرفة على الصحن وهى تدل على أن الاضافات التى تمت فى عهد نور الدين فى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ ــ ٦ م) وهى تشمل العقود الاحدى عشرة وكذا الثلاثة جمالونات . ويرجح وجود باب فى حائط القبلة بالقرب من المحراب وثلاثة مداخل أخرى تفتح على الأروقة الجانبية .

الأصول المعمارية :

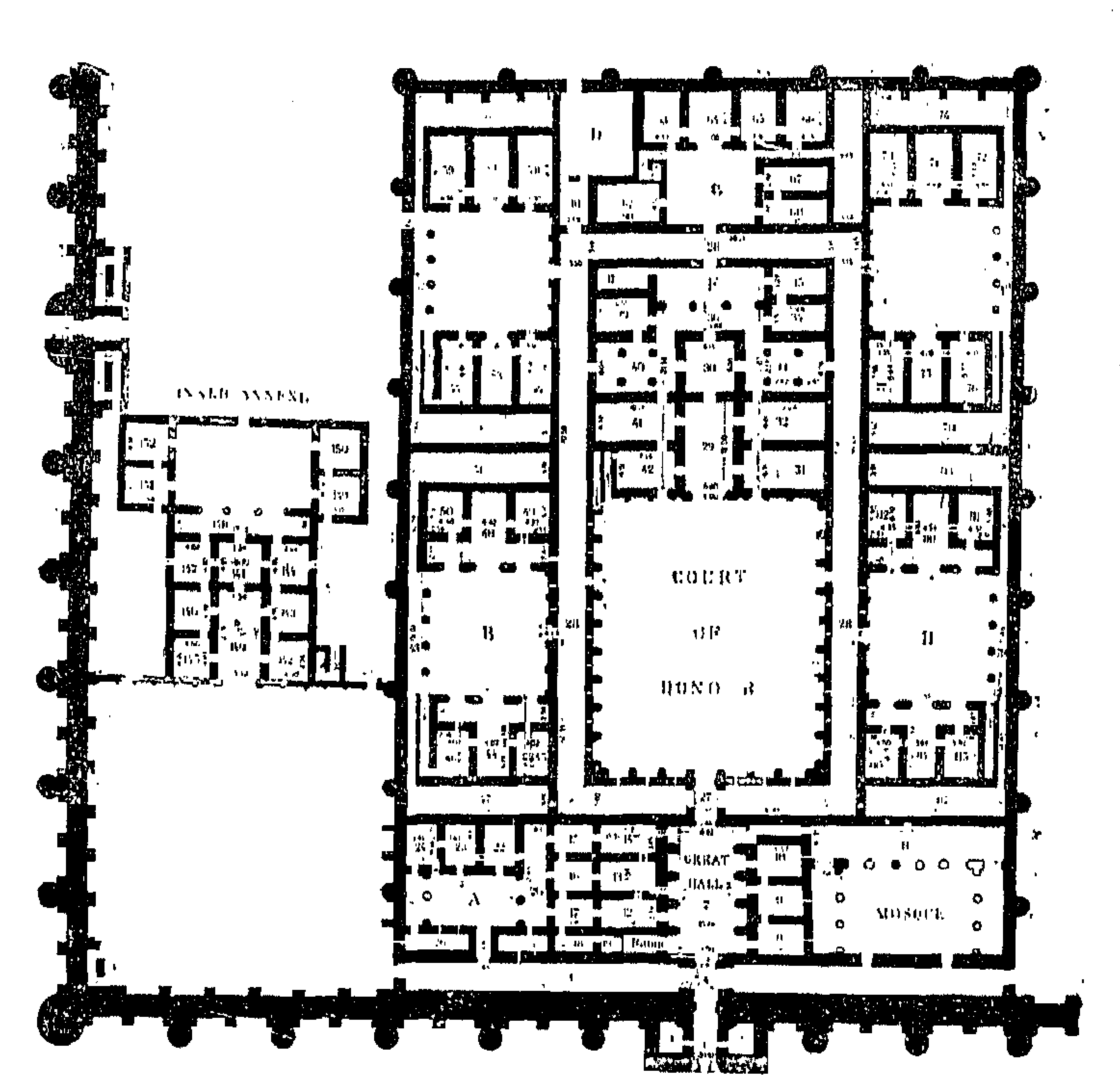
ونظراً لوقوع هذا المسجد فى الحدود بين سوريا والعراق فقد جمع بين العناصر والأصول والمميزات التى تمتاز بها كل منهما ــ فقد تأثر عن العراق فى طريقة تخطيط المسجد القريب من شكل المربع ــ وكذا الدعائم المبنية بالطوب وفى كثرة المداخل وفى المادة الانشائية للمسجد وهى الطوب ــ أما التأثيرات السورية فهى رواق القبلة من ثلاث بلاطات موازية لحائط القبلة وتغطيتها بثلاثة جمالونات كما هو الحال فى مسجدى قصر الحير ودمشق .

قصر الأخيضر العباسي بالعراق

يعتبر قصر الأخيضر من أهم وأجمل القصور التى شيدها العباسيون فى العراق – ويقع فى الصحراء فى وادى عبيد على بعد ١٢٠ كيلومترا جنوبى بغداد . وقد أسهب فى وصفه جمع كبير من علماء الآثار نذكر منهم الأستاذ كريزول وجرترود بل التى قالت عنه انه من عمل الطبيعة وليس من عمل الانسان ، وشبهه البعض بالواحة الخضراء فى وسط الصحراء . وهو قصر محصن مستطيل التخطيط وأبعاده ١٧٥ × ١٩٦ مترا وتتوسط كل واجهة من واجهاته بوابة عظيمة – وللقصر أربعة أبراج فى الأركان وبينها عشرة أبراج مستديرة فى كل ضلع من أضلاع المستطيل عدا المداخل الأربعة المذكورة .

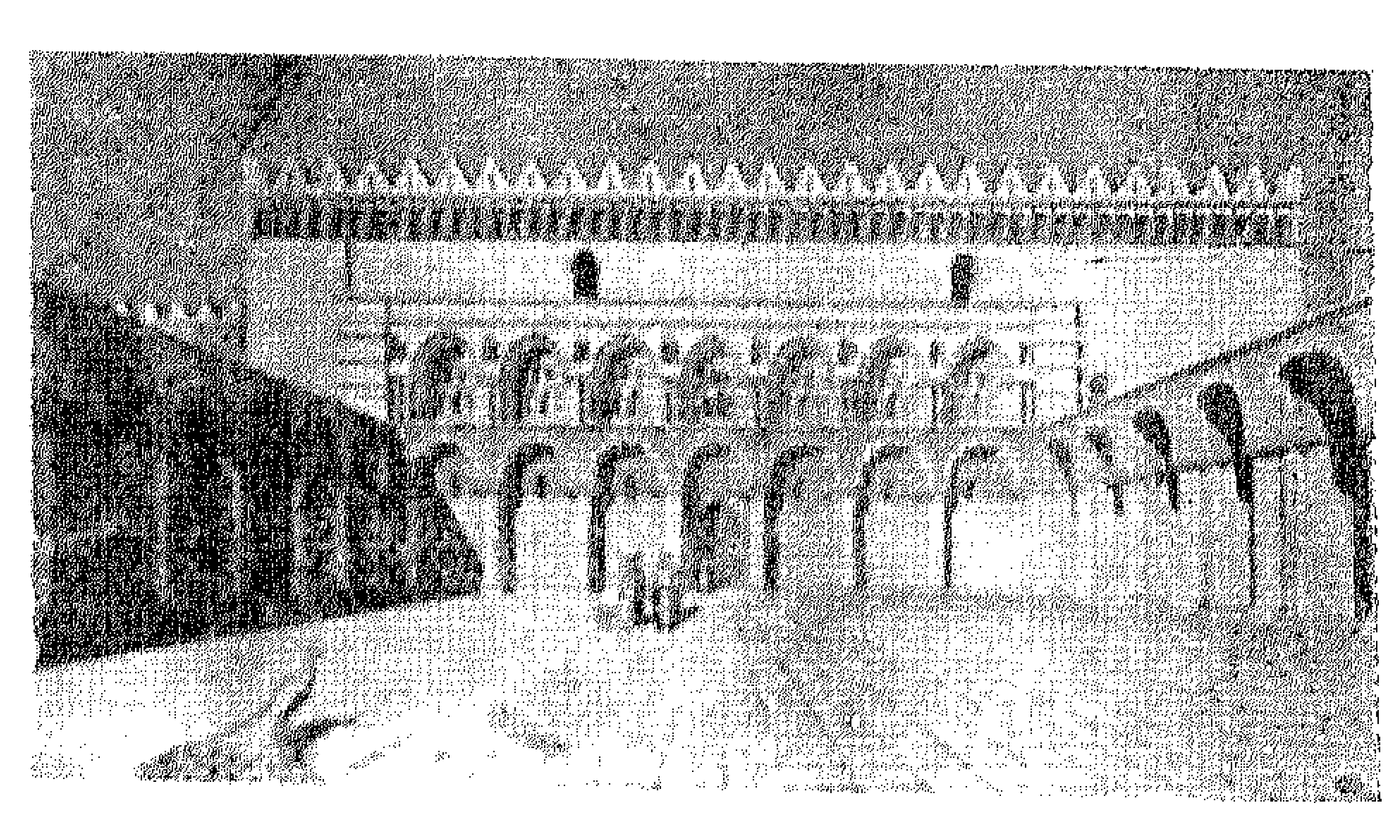
والحوائط مبنية من الحجر الجيرى على شكل بلاطات غير مستوية أو متحدة الأشكال ولحاماتها مكونة من مونة من الجبس – وقد وضعت القطع الحجرية الكبيرة الحجم من الخارج وهى ذات أشكال متعددة الأضلاع ولحاماتها كبيرة الحجم ، فى حين وضعت القطع الصغيرة الحجرية فى عرض الحائط . أما طريقة بناء العقود فى فتحات الأبواب فقد بنيت بحيث يظهر المدماكان الأولان المعقودان حول الفتحة على شكل بلاطات مربعة من الطوب ، أما بلاطات العقد الخارجى فقد وضعت على سيفها – وهذه الطريقة تشبه طريقة بناء العقود فى قصر المشتى فى العصر الأموى .

وقد بنى القصر ملاصقا لسوره الخارجى الشمالى وأبعاده ١١١,٤٠ × ٨١,٨٣ مترا وبسوره أبراج مستديرة أيضا – وقد روعى فى تصميم كل من المداخل الأربعة التحصين الكافى ضد اعتداءات العدو ، فبنيت مداخل حديدية تجرى من أسفل الى أعلى وهى عبارة عن شبكة

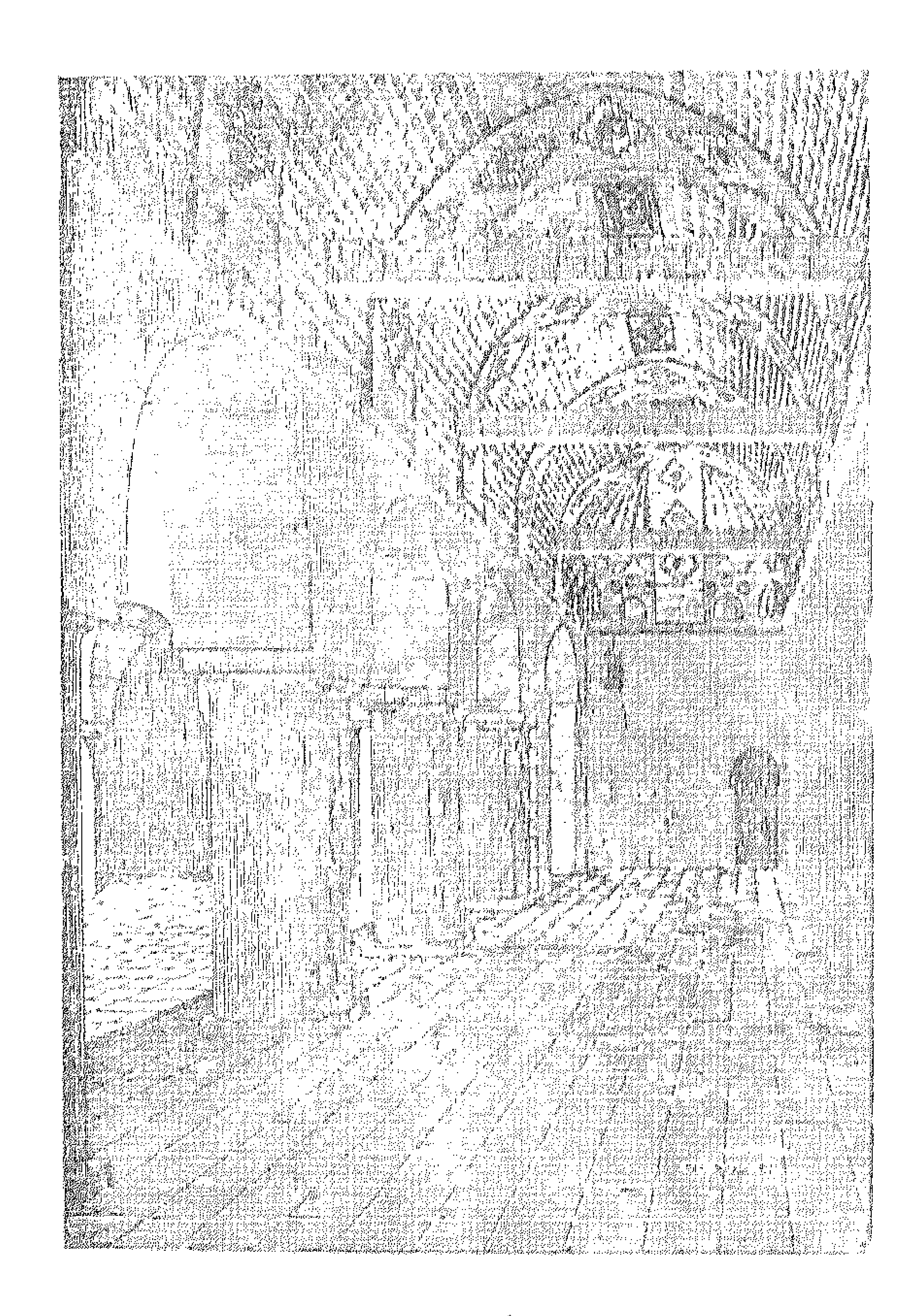


شكل (٣١)

تخطيط قصر الأخيضر العباسى



شكل (٣٢)
واجهة داخل قصر الأخيضر تشرف على فناء الشرف الداخلى للقصر



شكل (٣٣)
أحد أروقة مسجد قصر الأخيضر
(عن رويذر)

حديدية ويليها ممر مغطى بقبو وقد فتحت فى أعلاه ست فتحات لالقاء السوائل الساخنة كالزيت المغلى على كل من يحاول اقتحام الباب — ويلى دهليز المدخل المقبى مساحة مربعة يعلوها قبة ذات قنوات محمولة على أربع بلاطات أفقية فى الأركان — والى يمين ويسار القبة يوجد دهليز طويل مغطى بقبو ويلى القبة جنوباً « البهو الكبير » وهو أيضاً مغطى بقبو كبير عال ويكتنفه من جهتيه تجويفات معقودة توجد خلفها غرف غير مضاءة تستعمل كمخازن للقصر ويوجد خلفها فى الجهة الغربية أى الى يمين الداخل الى القصر — « مسجد القصر » — كما يوجد الى الشرق منها مجموعة من الغرف مغطاة بأقبية بارتفاع ثلاثة طوابق — ويلى البهو الكبير جنوباً قبة ذات قنوات تشبه الأولى وتفتح يمينا ويساراً على دهليز مغطى بقبو نصف أسطوانى وهذا الدهليز الكبير يجرى حول الفناء الأوسط أو ساحة الشرف وكذا حول مجموعة غرف قاعة العرش — وعند تقابل الأقبية النصف الاسطوانية فى الأركان الأربعة تتكون أقبية متقاطعة . وهذا الدهليز الكبير به فتحات مستطيلة فى أعلاه للاضاءة كما توجد فتحات أخرى كمزاغل تشرف على الفناء الأوسط مما يساعد على زيادة الاضاءة .

ويحيط بالفناء الأوسط (ساحة الشرف) تجويفات تنتهى فى أعلاها بحنايا معقودةومزخرفة بزخارف من الطوب موضوعة فىأشكالمختلفةتعرف باسم « هزار باف » وهى صناعة أخذها المسلمون عن بلاد الفرس . والى الجنوب من الفناء الأوسط توجد قاعة العرش (على محور المدخل) وحولها عدة غرف وقاعات معدة للاستقبال وقد صممت سقوفها وتنوعت زخرفتها فبدت فى مظهر رائع — وأجمل هذه الغرف تجده مغطى بأقبية يفصلها عدة عقود وهى طريقة ساسانية شوهدت فى طاق ايوان بالكرخ فى بلاد الفرس ونقلها المسلمون فى العصر الأموى فوجدت فى قصر من قصورهم ببادية الشام وذلك فى قاعة الاستقبال بقصير عمرا . وشوهدت بعد ذلك فى طاقات مدينة بغداد عاصمة الدولة العباسية والتى شيدها أبو جعفر

المنصور ـــ وبعض الأقبيـــة فى قصر الأخيضر تبطنها عقـــود أخرى بهـــا زخارف هندسية متداخلة فى بعضها . ويلاحظ أيضاً أن مداخـــل الغرف تقع فى نهاية الحوائط وليست فى منتصفها على غير ما كانت عليه مداخل الغرف فى العصر الأموى ، كما فى قصرى المشتى والطوبة ـــ والسبب فى ذلك يرجع الى أنه قد جرت العادة أن يجلس الأمير فى نهاية الغرفة على وسادات على الأرض وأمامه وحوله أتبـــاعه حول منضدة مستطيلة مما يستحسن استقبال الداخل الى الغرفة من نهايتها .

أما نوافذ هذه الغرف فقد أبدع فيها المهندس المعمارى بمـــا يتفق والذوق السليم فجعل نهاية الفتحات على شكل حربة أو سهم كما اتبـــع فى طريقـــة انتقال الطاقات المعقودة فوق النوافـــذ من المربع الى الدائرة بواسطة تجويفات مخروطية ، بديعة التصميم أو بواسطة بلاطات أفقية .

وبعض الغرف المحيطة بقاعة العرش بها أعمدة تحمل ثلاثة عقـــود مدببة أكبرها الأوسط وتمتاز هذه العقود والأعمدة بجمال النسب وبديع المظهر ، وواجهة قاعة العرش المطلة على الفناء الأوسط ترتفع عن الغرف الجانبية ، مما يعطى أهمية لها وهذا يدل على جمال التصميم وتعرف هذه الطريقة فى المبانى العراقية باسم « پشتاك » وقاعة العرش عبارة عن ايوان كبير مغطى بقبو وفى نهايته غرفة مربعة . .

أما واجهة البهو الكبير المشرفة على الفناء الأوسط فهى مكونة من ثلاثة طوابق : السفلى منها تصميمه تابع لتصميم الطاقات حول الفنـــاء ، والأوسط مكون من مجموعة من العقود ذات الفصوص بداخلها مجموعة مكونة من ثلاثة نوافذ وهذه العقود محمولة على أعمدة متصلة ويفصلها فتحات معقودة ، والطابق العلوى مرتد عن الطابقين السفليين ـــ ويعلو الواجهـــة صف من الشرافات المسننة الجميلة وبأسفلها صف آخـــر من التجويفات المعقودة ..

ويوجد حول الدهليز الكبير شرقاً وغرباً أربعة بيوت مستقلة وهى فى عزلة تامة عن باقى أجزاء القصر . ويحتوى كل منها على غرف مغطاة بأقبية ولها فناء مستقل ويفتح كل بيت على الدهليز الكبير بمدخل خاص به — ويلاحظ فى تصميم هذه البيوت الأربعة تشابه كل اثنين منهما من حيث النظام والترتيب فكل بيت فى الجهة الشرقية يماثله آخر فى الجهة الغربية .

تصميم البيت :

النوع الأول

أما النوع الأول من البيوت فتصميمه بأن يفتح المدخل من الدهليز على فناء أو حوش تحده من جهة الدهليز طاقات صماء ومن الجهة المقابلة سقيفة ذات خمسة عقود محمولة على أربع دعائم مستديرة ، وأما فى الشمال والى الجنوب من الفناء فتوجد مجموعة متشابهة من الغرف وتسكن المجموعة المقابلة للجهة البحرية فى الصيف والمقابلة للجهة القبلية فى الشتاء . وكل مجموعة تتقدمها سقيفة ذات ثلاثة عقود تستعمل كمقعد وهى تتقدم قاعة الاستقبال المغطاة بقبو — وهى عبارة عن ايوان كبير يتوسط غرفتين تفتحان عليه — وهاتان الغرفتان يغطيهما قبوان — وقد روعى فى تصميم الأقبية وجود فراغ بينهما على شكل أنابيب كبيرة (اسطوانات) مما يخفف الثقل على الحوائط التى تحملها .

ومن السقيفة ذات العقود الخمسة المطلة على الفناء يتجه الانسان اما الى (١) درج يصعد منه الى غرفة مستديرة هى نهاية الأبراج النصف الدائرية المحيطة بسور القصر وتستعمل هذه الغرفة كدورة للمياه — أو الى (٢) ممر ضيق ينتهى الى مساحة طويلة تقع خلف الغرفتين وقاعة الاستقبال وتشغل هذه المساحة مطبخ البيت . وتتوسطها فتحة فى أعلاها لاخراج الدخان وتهوية المكان . وقد عثر على أنابيب من الفخار تمتد

على الحوائط مما يرجح استعمالها كمداخن للمطابخ — ونظام البيت فى هذه المجموعة يشبه ماتراه فى تصميم البيوت الساسانية كما فى قصر شيرين الذى بناه خسرو باروير (٥٩٠ — ٦٢٨ م) .

النوع الثانى :

أما النوع الثانى من البيوت فى قصر الأخيضر فيختلف فى تصميمه عن النوع الأول فى عدم وجود السقيفات ذات الثلاثة عقود التى تتقدم قاعة الاستقبال فى المجموعات مما يزيد فى عمقها وفى طول الغرف الجانبية . وتصميم البيت الثانى مقتبس أيضاً عن الطريقة الساسانية فقد وجد فى فيروزباد وسروستان .

ولقد كان لتصميم هذين النوعين من البيوت أثره فى مصر الاسلامية فى عهد أحمد بن طولون الذى ولد فى بغداد سنة ٨٣٥ م — ونشأ فى سامرا (أو سرمن رأى) — وهى العاصمة الثانية للعباسيين بعد بغداد وتقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة على بعد مائة كيلو متر شمالى بغداد . فقد نقل ابن طولون الى مصر أصول الفن العراقى بعد أن ترعرع فى سامرا وبلاد العراق — كما نقل أسس التصميمات المعمارية للبيوت والمساجد — وقد كشفت « حفريات الفسطاط » التى قام بها المرحوم على « بك » بهجت والبير جبرييل وكذا « حفائر دار الآثار العربية » فى صيف عام ١٩٣٢ عن أطلال عدة بيوت طولونية نظام تصميمها لايخرج عن النوعين الذين شوهدا فى قصر الأخيضر العباسى فى العراق .

مسجد القصر :

ويوجد الى يمين الداخل من المدخل الرئيسى فى الشمال دهليز طويل ينتهى عند الجهة الغربية بمدخلين معقودين يؤديان الى مسجد القصر وهو يقع الى الغرب من البهو الكبير — ويتكون من صحن محاط بأروقة من ثلاث جهات عدا الجهة الشمالية — وهذه الأروقة مغطاة بأقبية تشرف على الصحن بواسطة عقود مدببة محمولة على دعائم مستديرة وقصيرة —

وقبو رواق القبلة مبطن بعقود وبه روابط خشبية تربط أعلى الدعائم بحائط القبلة ـ وينتهى رواق القبلة فى نهايتيه الشرقية والغربية بنصف قبة محمولة على تجويفات مخروطية .

ومحراب المسجد عبارة عن تجويف مستطيل التخطيط ـ والرواقان الجانبيان يغطيهما قبوان ويطل كل منهما على الصحن بواسطة ثلاثة عقود محمولة على دعائم مستديرة وقصيرة ـ ولا يتقاطع قبوا الرواقين الجانبيين مع قبو رواق القبلة فى الأركان مكونة ما يسمى بالقبو المتقاطع بل تقفان عنده .

السور الخارجى :

والسور الخارجى لقصر الأخيضر به أبراج مستديرة يفصل كل اثنين منها عقدان بأعلى كل منهما فتحة بين العقد والحائط وكانت تستخدم لالقاء المواد الكاوية من الدهليز (الموجود بالجزء العلوى من السور) ـ على كل من يحاول الهجوم على القصر أو تسلق السور ـ كما يوجد بالجزء العلوى لكل برج غرفة بها فتحة أمامية وفتحتان جانبيتان للدفاع عن القصر .

ويتبع القصر ملحقان أحدهما يقع فى الشمال الغربى خارج السور الخارجى والآخر الى يمين القصر داخل السور الخارجى ـ ويعتبر قصر الأخيضر من أجمل القصور العباسية المحصنة لما فيه من تصميم بديع سواء فى التخطيط أو فى دراسة الواجهات وتغطية الغرف فى البيوت أو فى القصر نفسه ـ وكذا فى تنوع تصميمها . ومما يؤسف له أن هذا القصر أصبح فى حالة سيئة ويرجع الفضل فى اعادة رسمه الى بعض علماء الآثار مثل رويذر وكريزول .

وينسب قصر الأخيضر الى عيسى بن موسى بن عبد الله العباسى ويرجع بناؤه الى عام (١٦١ هـ ـ ٧٧٨ م) وذلك بناء على المقارنات المعمارية والتاريخية .

خان عطشان بالعراق
(١٦١هـ - ٧٧٨م)

يقع هذا الأثر فى السهل الرملى الممتد من قناة الهندية فى منتصف الطريق بين قصر الأخيضر والكوفة . وهو يختلف عن باقى الخانات المعروفة فى تصميمها من حيث وجود الفناء المتوسط والمحاط بعدد من الحجرات المتشابهة .

وتخطيطه مستطيل الشكل وأبعاده من الداخل تبلغ ٢٥ر٥٧ متراً (أى ٨٤ قدماً) من الشمال الى الجنوب و ٩٠ر٢٤ متراً (أى ٨٢ قدماً) من الشرق الى الغرب . وحوائطه من الآخر مقاس ٣٣×٣٣×٧ سم (١٣×٣/٤ ٣ بوصة) وبالحوائط الخارجية أربعة أبراج ركنية وأربعة أخرى تتوسط جوانبه الأربعة ، وكلها تبرز حوالى مترين (١/٢ ٦ قدماً) فيما عدا البوابة الرئيسية الواقعة فى منتصف الواجهة الشمالية تقريباً حيث تبرز بمقدار ٤٠ر٤ متراً (١/٢ ١٤ قدماً) عن الواجهة . وتشبه فى تصميمها الى حد كبير مثيلاتها الموجودة بقصر الأخيضر العباسى فأركانها بها استدارة وعقد المدخل مرتد قليلا بين جزءى برج المدخل ومركب به باب مكون من مصبعات من الحديد تجرى فى مجراة من أعلى الى أسفل لفتح المدخل وقفله عند الحاجة ـ ويلى المدخل دهليز مستطيل فى اتجاه محور المدخل ومغطى بقبو نصف اسطوانى ـ والأخير يفتح على فناء مكشوف .

والى اليسار من الفناء توجد ثلاث غرف مغطاة بأقبية نصف اسطوانية كلها بعرض ٩٠ر٣ أمتار (١/٤ ١١ قدماً) ـ كما أنها جميعاً قد

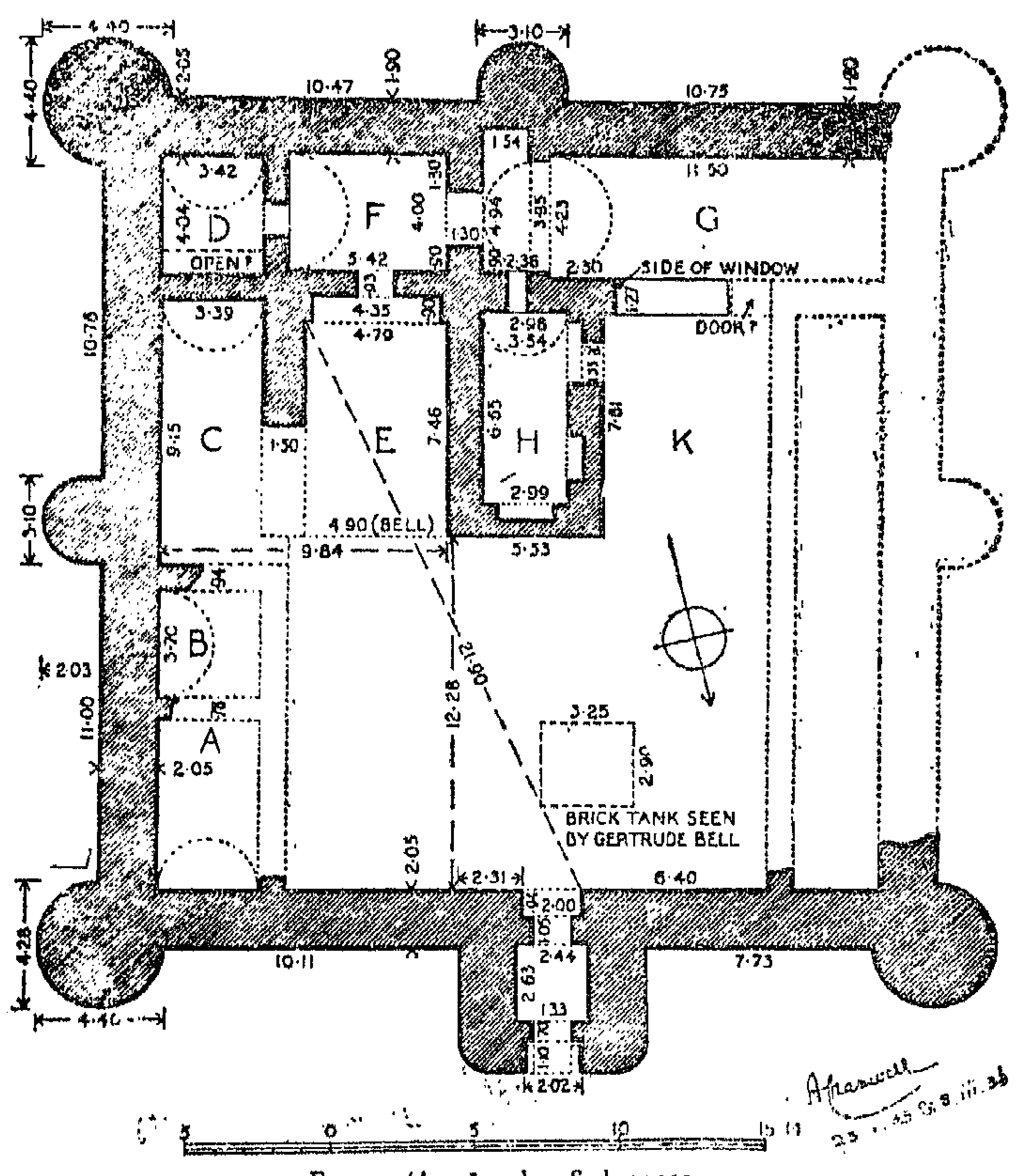


Fig. 79. ʿAṭshān: plan. Scale 1 : 200.

شكل (٣٤)

المسقط الأفقى لخان عطشان

(عن كريزول)

فقدت حوائطها الغربية المطلة على الفناء وأسقطت معها الأقبية التى كانت تغطى هذه الغرف من قبل . وفى الركن الجنوبى الشرقى توجد غرفة صغيرة مغطاة بقبو وأبعادها ٣ر٤٢×٤ر٠٤ أمتار (١١ ١/٤ × ١٣ ١/٤ قدماً) وفى أعلى هذه الغرفة من الجهة الشمالية توجد مساحة مفتوحة فى السقف بعرض ٨٠ سم (٢ ١/٢ قدماً) — وبمقارنة تصميم هذه الغرفة بمثيلتها بقصر الأخيضر يتضح أنها كانت تستخدم كمطبخ — كما توجد فى الجهة الجنوبية غرفتان يعلوهما قبوان فى اتجاه الحائط الجنوبى — وعلى محور المدخل توجد غرفة أخرى مستطيلة مغطاة بقبو نصف اسطوانى فى اتجاه محور المدخل ولها مدخل فى جدارها الغربى وحوائطها الخارجية مزخرفة بزخارف من الطوب . وتشبه طريقة انشاء الأقبية لخان عطشان الطريقة التى استعملت فى قصر الأخيضر كما أن بعض العناصر المعمارية يتشابهان فى كليهما مما يرجح أن انشاء هذا الخان يرجع الى نفس التاريخ الذى أنشىء فيه قصر الأخيضر أى فى سنة (١٦١ هـ — ٧٧٨م) وذلك فى عهد عيسى بن موسى بن عبد الله العباسى .

الطاقات الركنية

استعملت الطاقات الركنية التى تكون على شكل محاريب أو أجزاء من مخروط أو ما اليها ، فى تحويل القاعة المربعة الى مثمن يسهل ارتكاز واقامة القبة فوقها ، ويرجح البعض وعلى رأسهم الأستاذ كريزول أن هذه الطريقة قد وجدت فى بادىء الأمر فى بلاد الفرس واستخدمت فى قاعات بعض القصور الساسانية الموجودة فى فيروزباد وسرڤستان وقصر شيرين وكذا فى بعض أجزاء مبنى فراشاباد .

وقد شوهدت هذه الطريقة فى تحويل ثلاث قاعات فى قصر فيروزباد وذلك لتحويل المربع الى مثمن ثم الى دائرة — وكان شكل الطاقة جزءا من مخروط بحيث يوضع رأسه فى الركن وقاعدته مفتوحة الى أعلى — ويرجع بناء هذا الأثر الى أيام أردشير بين عامى (٢٢٦ — ٢٤٢ م) أى فى القرن الثالث الميلادى — أما فى قصر سرڤستان فشكل الطاقة أقل مخروطياً عن السابقة فى فيروزباد والجزء المحصور بينها يظهر منحنياً ويرجح انشاء الطاقة الركنية فى هذا القصر على عبّوة خاصة — ويرجع تاريخ هذا الأثر الى الثلث الأول من القرن الخامس الميلادى . وتشبه الطاقات الركنية الموجودة فى قصر شيرين — مثيلاتها فى قصر سرڤستان وهى ترجع الى عصر خسرو الثانى (٥٩٠ — ٦٢٨ م) . وبعد ذلك ظهرت الطاقات الركنية فى باميان (على بعد نحو ٩٠ ميلاً شمال غربى كابل (وهى تشبه الى حد كبير مثيلاتها فى فيروزباد الا أنها تشبه العقود المتداخلة ذات المركز الواحد وتاريخها يرجع الى عصر بهرام الثانى بقليل أى حوالى (٢٧٦ — ٩٣ م) .

وفى كابل ــ شوهدت الطاقات الركنية كعقود عرضية متــداخلة ومبنية بالطوب على النظام الفــارسى ــ ثم انتقلت هــذه الطريقــة من أفغانستان ــ عبر الپامير الى تركستان الصينية وظهرت فى ميران عــلى شكل عقود متداخلة ــ وذلك فى القرن الثالث والرابع الميلادى .

ومن بلاد الفرس انتقلت هذه الطريقة فى تحويل القبة من المربع الى الدائرة للأقاليــم الشرقيــة المكونة للأمبراطورية البيزنطيــة فظهــرت فى خوجا كاليسى على شــكل حنيَّة محمولة على أعمــدة مرتكزة عــلى كوابيل ويرجع تاريخها الى نهاية القرن الرابع الميلادى .

وفى الرصافة ظهرت الطاقة الركنية فى احدى الكنائس فى عام ٦٠٠ م وذلك فى بازليكا سرجيوس وكان شكلها كنصف كرة أو طاقية محمولة على كوابيل ــ كما ظهرت أيضاً فى كوريكوس فى نهــاية القرن السادس الميلادى .

أما الطاقات الركنية فى بلاد أرمينيا فقد ظهرت فى النصف الأول من القرن الســابع الميــلادى كما فى تالين وواغارشابات وعلمان ومرن ومسطرة ــ وكان شكل الطاقات يشبه المخاريط المحارية المشعة من رأس المخروط .

وفى ايطاليــا ظهرت الطاقات الركنية لأول مرة فى نابلى فى معمودية سان چيوڤانى فى سنة (٤٦٥ ــ ٤٨٦ م) وبعد ذلك بحوالى خمسين سنة ظهرت مرة أخرى فى راڤنَّا فى كنيسة سان ڤيتالى (٥٢٥ ــ ٥٤٠ م) .

وكان شكل الطاقة الركنية فى بادىء الأمر فى سوريا على شــكل قطع ناقص ثم شوهدت فى قلعة عمان فى نصف قبة محمولة على طاقتين ركنيتين . وشكلهما يشبه مثيلتيهما فى القصور الساسانية وربما نسبت الى خسرو ما بين عامى (٦١٤ ــ ٦٢٧ م) .

وفى قصر خرانة شوهدت الطاقات الركنية تشبه ما وجدت قبل ذلك فى فيروزباد وباميان وغيرهما وكأنها عقود ركنية بدون أنصاف قباب أو ما الى ذلك وربما كان تاريخها يرجع الى ما قبل الاسلام . أما فى مصر فقد شوهدت الطاقات الركنية فى الدير الأحمر بسوهاج وكذا فى الدير الأبيض ويرجح أنها ليست من عهد انشاء الأثرين بل هى اضافة فيما بعد ذلك .

وموجز القول فان طريقة تحويل القبة بواسطة الطاقات الركنية أصلها فارسى وهى ترجع على الأرجح الى القرن الثالث الميلادى ومن ثم انتقلت الى الأقاليم الشرقية للأمبراطورية البيزنطية فى القرن الخامس الميلادى والى أرمينيا فى القرن السابع .

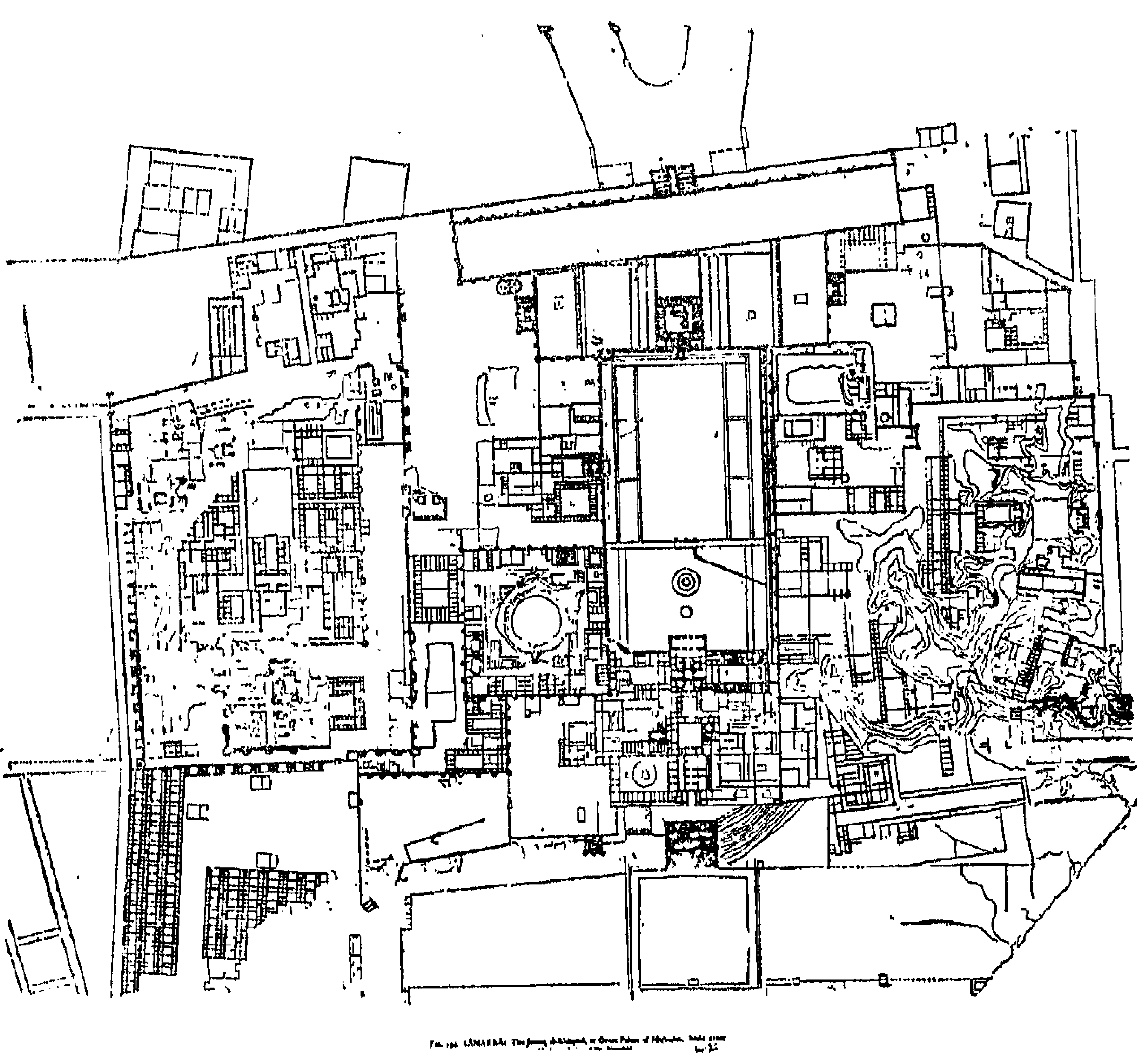
قصر الخليفة المعتصم بسامرا بالعراق
(الجوسق الخاقانى)

سامرا أو « سرمن رأى » هى المدينة الثانية لخلفاء بنى هاشم أو عاصمة الدولة العباسية الثانية بعد مدينة بغداد — وقد سكنها ثمانية من الخلفاء هم : المعتصم الذى أسسها سنة ٢٢١ هـ — والواثق هارون بن المعتصم والمتوكل جعفر بن المعتصم والمنتصر محمد بن المتوكل والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم والمعتز أبو عبد الله بن المتوكل والمهتدى محمد بن الواثق والمعتمد أحمد بن المتوكل .

« والجوسق الخاقانى » اسم يطلق على قصر الخليفة المعتصم فى سامرا — وقد كان للعالم الأثرى ڤيوليت سنة ١٩٠٧ — الفضل فى الكشف والكتابة عنه بين (١٩٠٩ — ١٩١١) — كما كان للبعثة الألمانية بعد ذلك وعلى رأسها العالمان الأثريان زره وهرتزفلد أكبر الفضل فى الكشف عن أنقاضه ويعتبر كتابهما عن حفريات سامرا من أهم المراجع فى هذا الموضوع .

مدخل القصر :

ويقع هذا القصر على ضفاف نهر الدجلة ويعتبر مدخله العظيم الذى يشرف على النهر والمعروف باسم « باب العامة » من أكثر أجزاء القصر حفظاً — وواجهته تتكون من ثلاثة عقود ارتفاعها حوالى ١٢ متراً — والعقد الأوسط مدبب الشكل ، يليه ايوان كبير مغطى بقبو — أما العقدان الجانبيان فيلى كل منهما نصف قبة محمولة على تجويفات على شكل محاريب



شكل (٣٥)

مسقط يبين تخطيط قصر الخليفة المعتصم بسامرا (الجوسق الخاقانى)

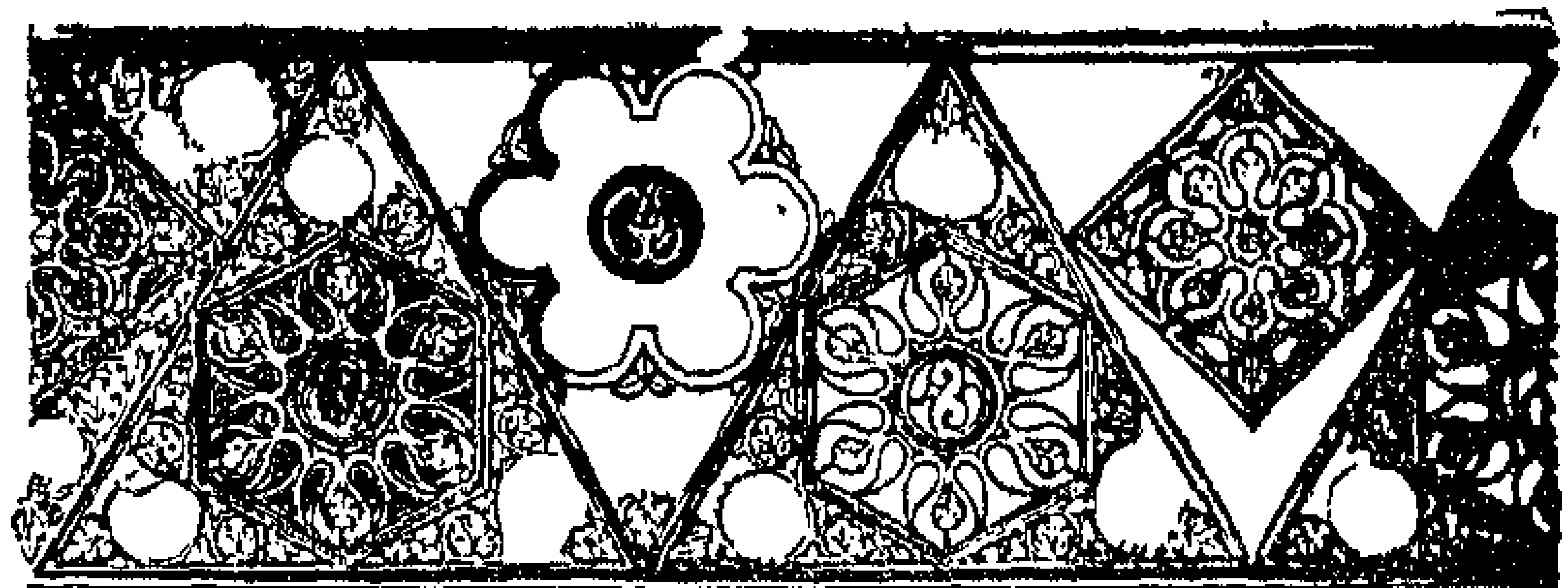


Fig. 185. Sāmarrā: Bāb al-'Āmma, Herzfeld's reconstruction of dado. (From Herzfeld, *op. cit.*)

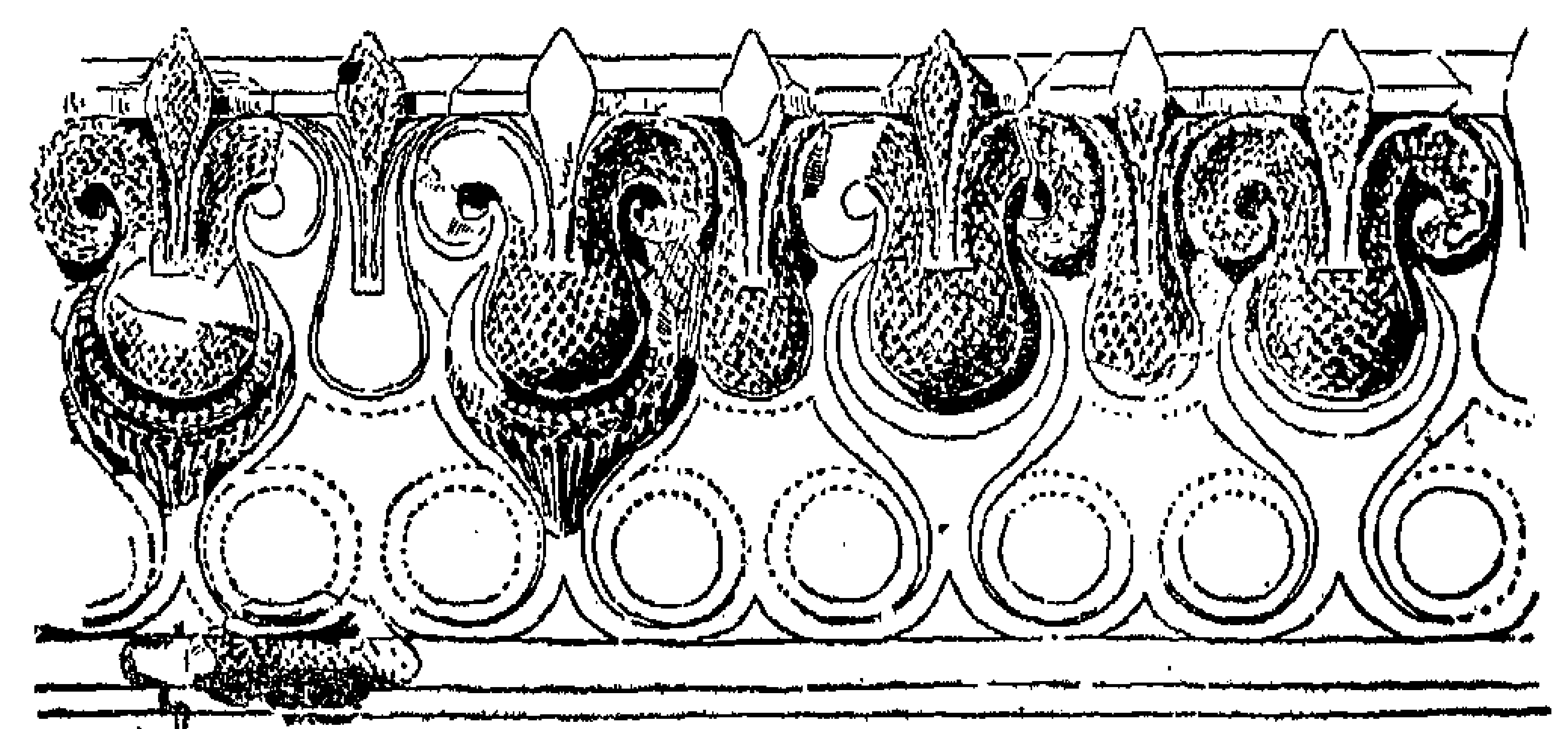
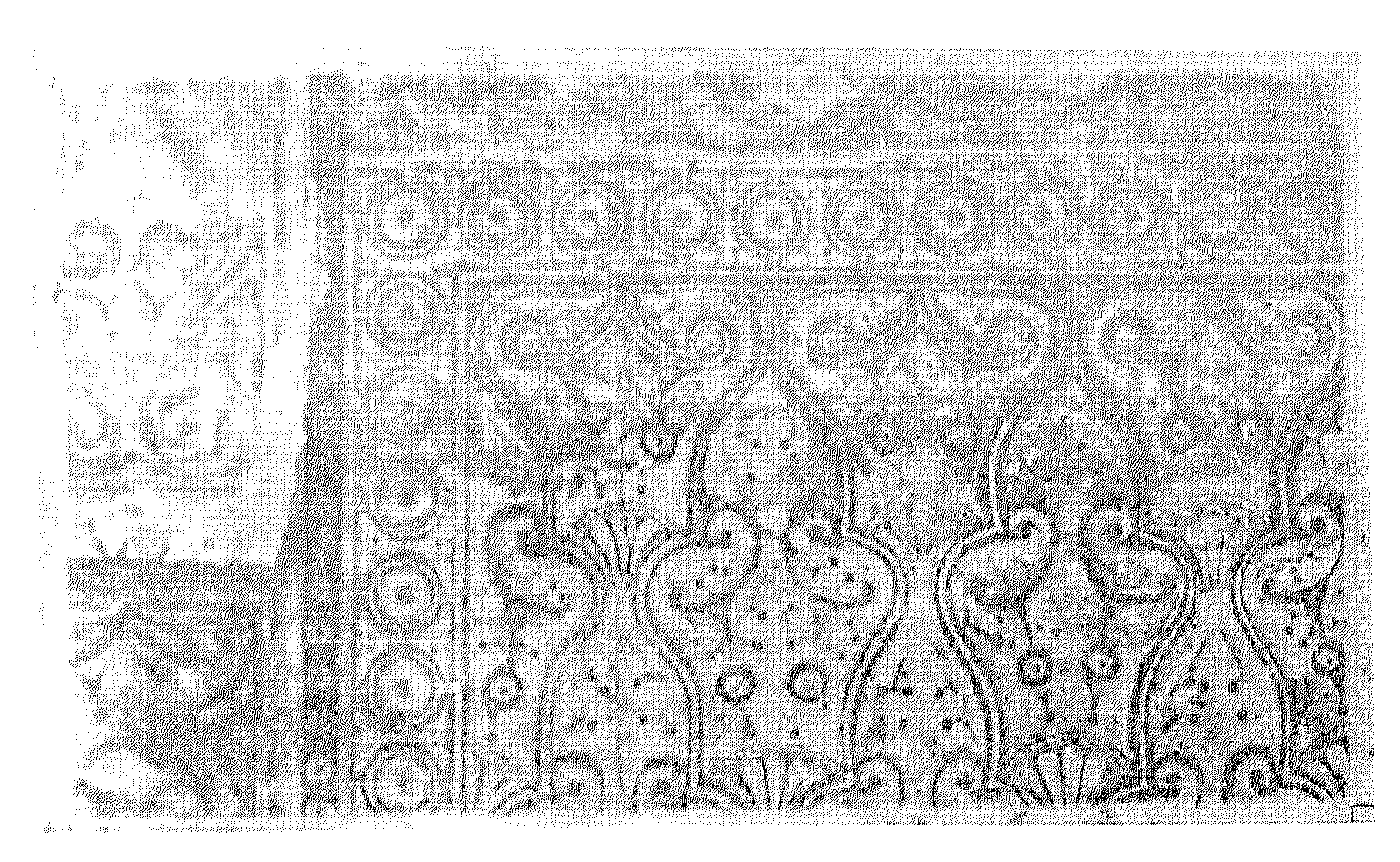


Fig. 186. Sāmarrā: Bāb al-'Āmma, frieze below springing of vault of great līwān. (From Herzfeld, *op. cit.*)

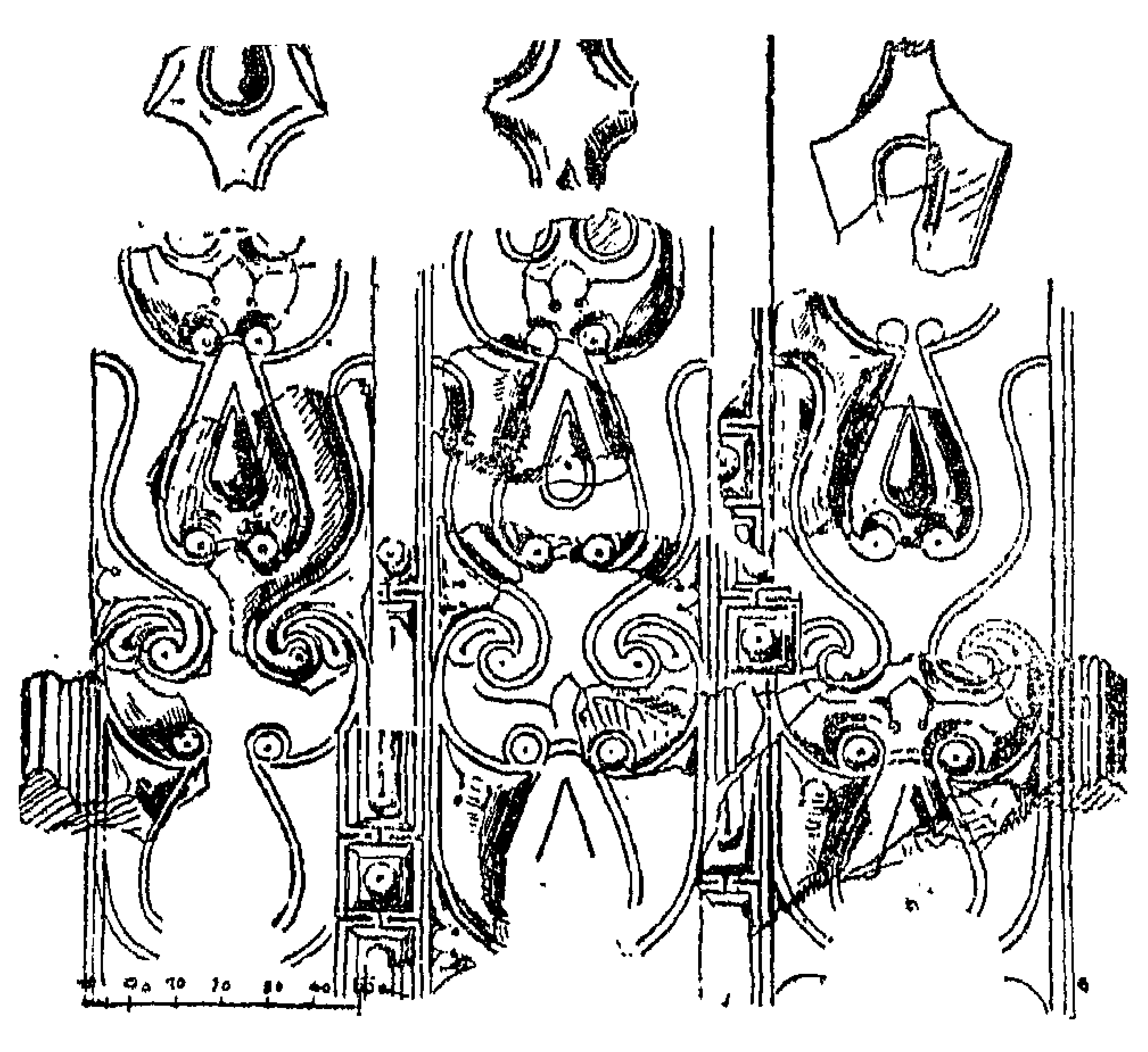
شكل (٣٦)

بعض الزخارف البارزة بمدخل قصر الخليفة المعتصم بسامرا

(عن هرتزفلد)

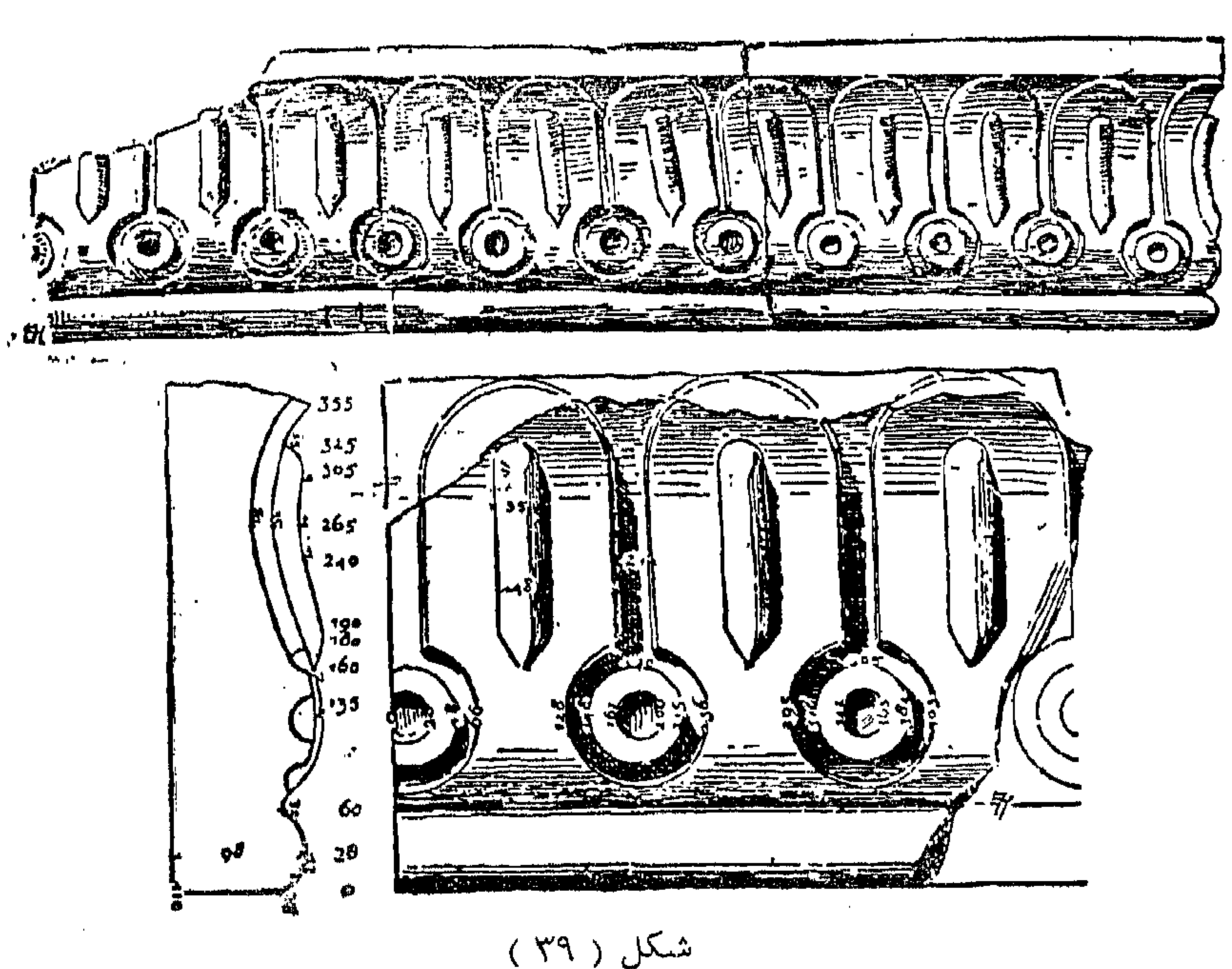


شكل (٣٧)
نقوش جصية بقصر الخليفة بسامرا



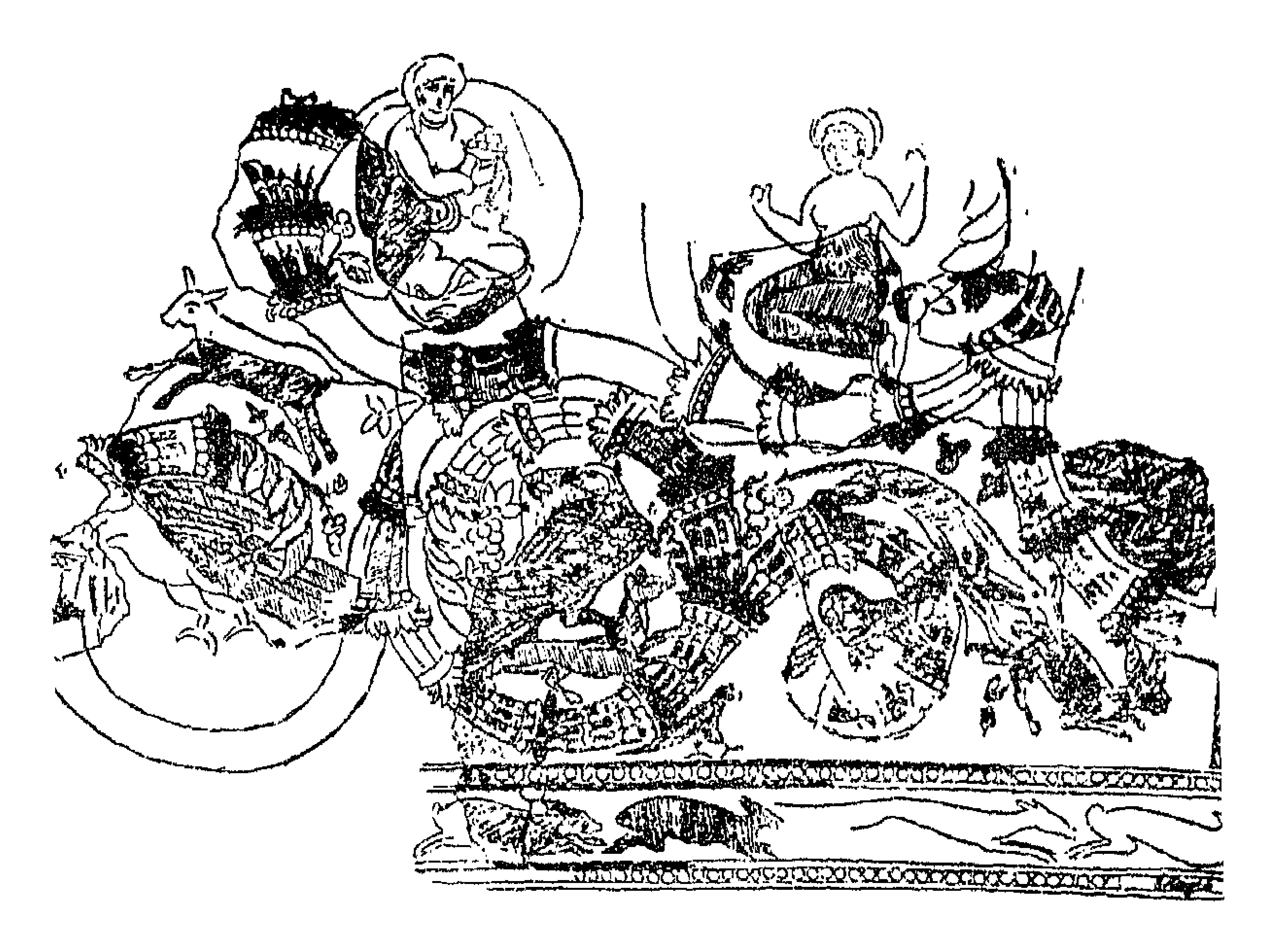
شكل (٣٨)

زخارف حائطية جصية بقصر الخليفة المعتصم بسامرا



شكل (٣٩)

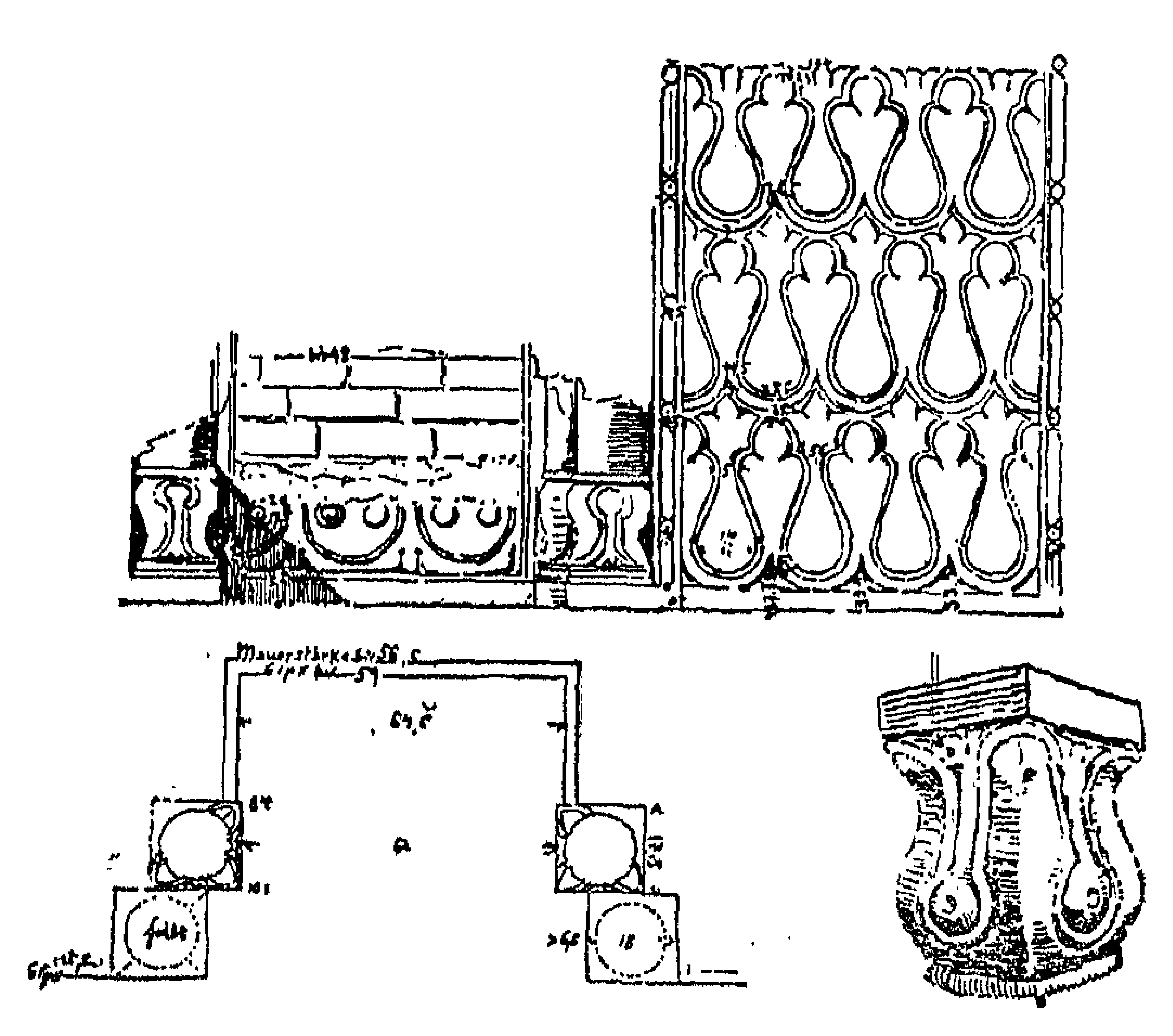
زخارف حائطية جصية بقصر الخليفة المعتصم بسامرا



شكل (٤٠)

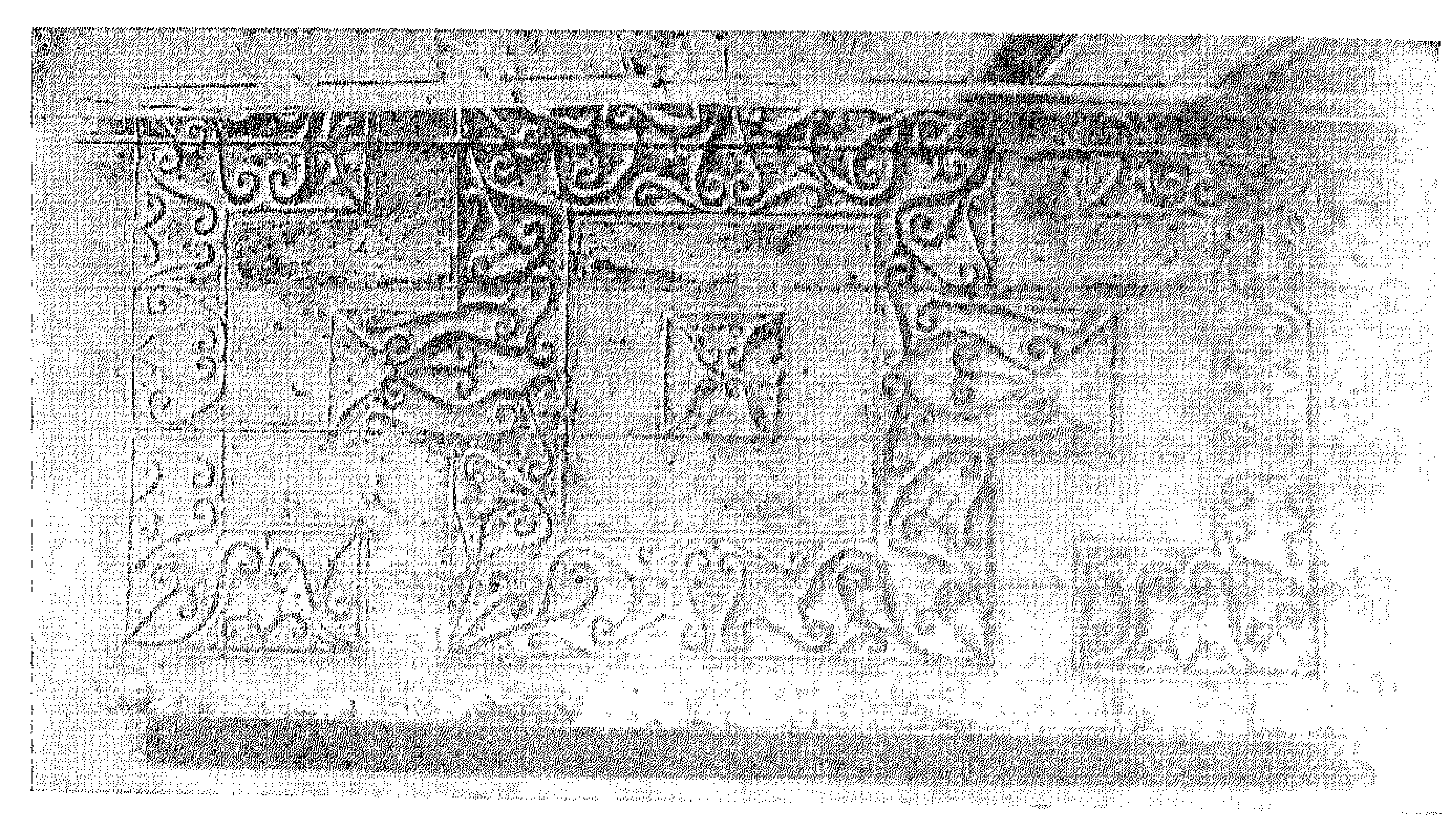
زخارف حائطية بقسم الحريم بقصر الخليفة المعتصم (الجوسق الخاقانى)

بســامرا



شكل (٤١)

محراب قصر الخليفة المعتصم بسامرا ــ وزخارفه الحائطية من الجص



شكل (٤٢)

باطن عتب أحد الأبواب بقصر المعتصم بسامرا

ثم يلى ذلك ايوان من كل جانب . ويعتبر الجزء المغطى بنصف قبة كمدخل خاص للايوان الذى يليه وكان معداً لجلوس الحرس والانتظار أثنـاء اقامة الحفلات داخل القصر ـ أما الحائط الى يسار باب العـامة فيدل على وجود طابقين بدليل العثور على مكان عروق خشبية للأرضية التى كانت تفصل الطابقين .

وفى الكوشتين التى تفصل الثلاثة عقود المكونة لباب العامة توجد حنايا صغيرة مدببة كما يوجد بداخل الايوانات وبالحد الداخلى للعقـد الكبير زخارف جصية جميلة لايزال بعضها موجوداً وتعتبر أمثلة نادرة للزخارف الجصية فى سامرا فى العهد العباسى . وفى الايوان الكبير توجد وزرة بها زخارف جصية أساسها رسوم مثلثات بداخلها زخارف نباتيـة وتشبه فى مجموعها رسوم واجهة قصر المشتى الأموى ـ كما يلاحظ أن قوام الزخرفة فى غيرهـا هى زهرة الليس وزهرة اللوتس وورق العنب وعناقيده وفروع نباتية وهى جميعاً كبيرة البروز وقريبة الشبه من الطبيعة وتعتبر من الطراز الأول للزخارف الجصية فى سامرا .

وصف القصر :

يلى المدخل دهليز يمر بين ست غرف عرضية يوجد خلفها عدة غرف ثانوية ـ وقد كشفت الحفريات فيهـا عن كثير من الزخارف الجصيـة والخشبية ، وبعد ذلك يسلك الداخل الى فناء مربع تتوسطه نافورة وحوله من كل جهة ثلاث حجرات كان يجلس فيها الزائرون والى الشمال توجد غرف الخليفة حول ثلاثة أفنية ـ والى الجنوب يوجد جناح خاص بقسم الحريم ويطل على فنائه رأساً « الحمام الكبير » ـ وبمتابعة السير على محور المدخل يجد السـالك الى الداخل قاعة تؤدى الى سـاحة شرف طويلة ، وحوائطها من الجهتين الشمالية والجنوبية ليست بها زخارف بل تبدو بسيطة المظهر فى حين تظهر فى الجهة الشرقية ثلاثة عقود هى مداخل قاعة العرش .

نفق تحت الأرض :

ويوجد هناك نفقان عبارة عن دهليزين تحت الأرض يصـــلان بين غرف الخليفة وقصر الحريم ــ وقد اتبعت هذه العادة فى أغلب القصور الاسلامية الأولى فقد وجدت فى بغداد بين قصرى الحسنى والثريا فى عهد الخليفة المعتمد كما شوهدت فى جهات عديدة بعد ذلك كما فى القصر الكبير الشرقى الفاطمى بمدينة القاهرة وبين هذا القصر وقصر اللؤلؤة فى أيام الحافظ بالله والفائز .

أما قاعة العرش : فقد كانت تحتوى على بهو مربع وحوله توجد أربع قاعات تخطيطها على شكل حرف T (تى بالانجليزية) وقـــد عثر فى هذه القاعة على نماذج جميلة من القطع الرخامية المزخرفة بزخارف بديعة كما يرجح أن قاعة العرش كانت مغطاة بقبة .

ويقع قسم الحريم الى الجنوب من قاعة العرش ويبدأ بفناء يحـــده من جهتيه الشرقية والغربية غرف للجلوس وتحتوى كذلك على دورات للمياه وغيرها ــ ويقابل قاعة العرش من الجهة الجنوبية غرفة مربعة ذات تخطيط ممتاز ولها أربعة مداخل محورية كما أن بها حوضاً للمياه بأركانه أربعة أعمدة رخامية من طراز مصرى فرعونى ــ وحوائط هذه الغـــرفة مغشاة بنقوش حائطية تحوى رسوماً آدمية لنســـاء يرقصن وحيوانات داخل مناطق دائرية وحيوانات متتابعة فى اطار حوله شريط من الحبيبات على الطريقة الساسانية .

ويلى القاعة الشرقية حول قاعة العرش ذات التخطيط على شـــكل حرف T قاعة أخرى مستطيلة تفتح على ساحة كبيرة بواسطة خمسة أبواب ــ ويقسم هذه الساحة مصرف الى قسمين : القسم الغربى مغشى

ببلاطات وبه نافورتان والشرقى يقطعه عدة مصــارف صغيرة ــ ويعلو الحوائط حول الساحة الكبيرة شرافات مسننة .

ويلى ذلك على محور المدخل سرداب صغير ــ مدخله عبــارة عن غرفة مربعــة وعلى حوائطه يوجــد افريز مزخرف بنقوش ملونة قوام زخرفته الجمل ذو السنامين وفى الأرضية يوجد حوض للمياه كما يوجد حول السرداب صفوف متوازية من الغرف كانت تستعمل كاسطبــــلات للخيل ، والسرداب عبارة عن فجوة مربعة منحوتة فى الصخر وأبعادهـــا ٢١×٢١ متراً وعمقها حوالى ثمانية أمتار .

ميـــدان الصوالجة :

ويلى السرداب بعد ذلك « ملعب البولو » أو ميدان الصوالجة وهو عبارة عن ساحة مستطيلة التخطيط ، محورها مائل بالنسبة لمحور القصر الرئيسى ــ وتوجد شرفة عالية تشرف على الملعب يجلس فيها المتفرجون . ويقابل شرفة المتفرجين شرفة أخرى عالية تطل من جهة على ملعب البولو ومن الجهة الأخرى على مكان سباق الحيوانات . ويبلغ طول المحور من مدخل القصر على نهر الدجلة الى مكان مشاهدة سباق الحيوانات حوالى ١٤٠٠ متر ــ ويقول مرسييه نقلاً عن الطبرى أن لعبــة الصــولجان (البولو) ، كانت معروفة فى بلاد الفرس قبل ذلك بأربعة قرون وذلك فى زمن الملك دارا الثالث وازدهرت هذه اللعبة أيضاً فى زمن قديم فى بلاد التبت والهند ، ولا يعرف بالضبط فى أى تلك البلاد نشأت ــ الا أننــا نرجح أن العباسيين فى العراق قد أخذوا هذه اللعبة عن بلاد الفرس ومن العراق انتقلت الى مصر على يد أحمد بن طولون الذى نشأ فى ســامرا ــ فقد أنشأ فى قصره بميدان الرميلة ميداناً كبيراً للعب الصوالجة .

السرداب الكبير :

وهناك سرداب كبير مساحته ١٨٠ متراً مربعاً ويقع جانبه الجنوبى ملاصقاً للحائط الشمالى للساحة الكبرى ــ أما السرداب فهو عبارة عن فجوة عميقة مربعة ضلعها ٨٠ متراً وفى وسطها فجوة أخرى مستديرة عمقها ٧٠ متراً وهذه الفجوة كانت فى الغالب عبارة عن حوض كبير اذ يجرى من تحتها المصرف ــ ويعلو سطح المساحة المحيطة بالسرداب عدة غرف مغطاة بأقبية متقاطعة .

كنز القصر : والى الشمال من السرداب الكبير يوجد كنز القصر وهو عبارة عن مساحة مستطيلة التخطيط ويحيطها عدة صفوف من الحوائط السميكة ــ أما معسكر جند القصر فيقع فى الزاوية الشمالية الغربية لقصر الجوسق الخاقانى والمرجح أنه كان خاصاً بالجنود الفرسان ويقع ملاصقاً للحائط الشمالى ــ أما معسكر المشاة من الجند فيفصله حائط عن معسكر الفرسان وبه ستمائة غرفة تتسع لايواء ثلاثين ألف جندى .

المساجد : وفى الفناء الكبير للمعسكر يوجد ثلاثة مساجد محاريبها منحرفة الاتجاه ويرجح أنها تتجه مع الأضلاع الرئيسية للقصر .

ونظراً لارتفاع بقعة المعسكر فهو يشرف على نهر الدجلة وحدائق القصر الفسيحة .

الزخارف الجصية :

وقد لعبت الزخارف دوراً كبيراً فى قاعات وردهات هذا القصر ولاسيما فى الأجزاء السفلية من الجدران فقد كانت هذه مغطاة بطبقة من الجص عليها رسوم بارزة وأخرى محفورة بعناية كبيرة ودقة متناهية ولكن

زخارفها اما هندسية أو نباتية ـــ فالزخارف الخطية تكاد لاتظهر فى سامرا وكثيراً ما كانت السقوف والطبقة الجصية تغطيها صور ملونة . وأقدم الزخارف الجصية فى سامرا طراز فيه رسوم لعناقيد عنب وأوراقها ، ولا تبعد أشكالها عن العناقيد والأوراق الطبيعية بالرغم من أن فيها شيئاً من التنسيق والتهذيب ويعتبر هذا النوع من الطراز الأول فى زخارف سامرا ويرجح أن مصدره ايران وبلاد المسيحيين الشرقية ـــ أما فى الطراز الثانى فان الزخارف تبعد عن الحقيقة ويزداد فيها التهذيب والتنسيق ، حتى تصبح فى الطراز الثالث وهو أحدثها جميعاً زخارف قطوعها خطية ولا تحاكى الطبيعة فى شيء وهى مصبوبة فى قالب وليست محفورة فى الجدران نفسها كما هو الحال فى الطرازين الأول والثانى .

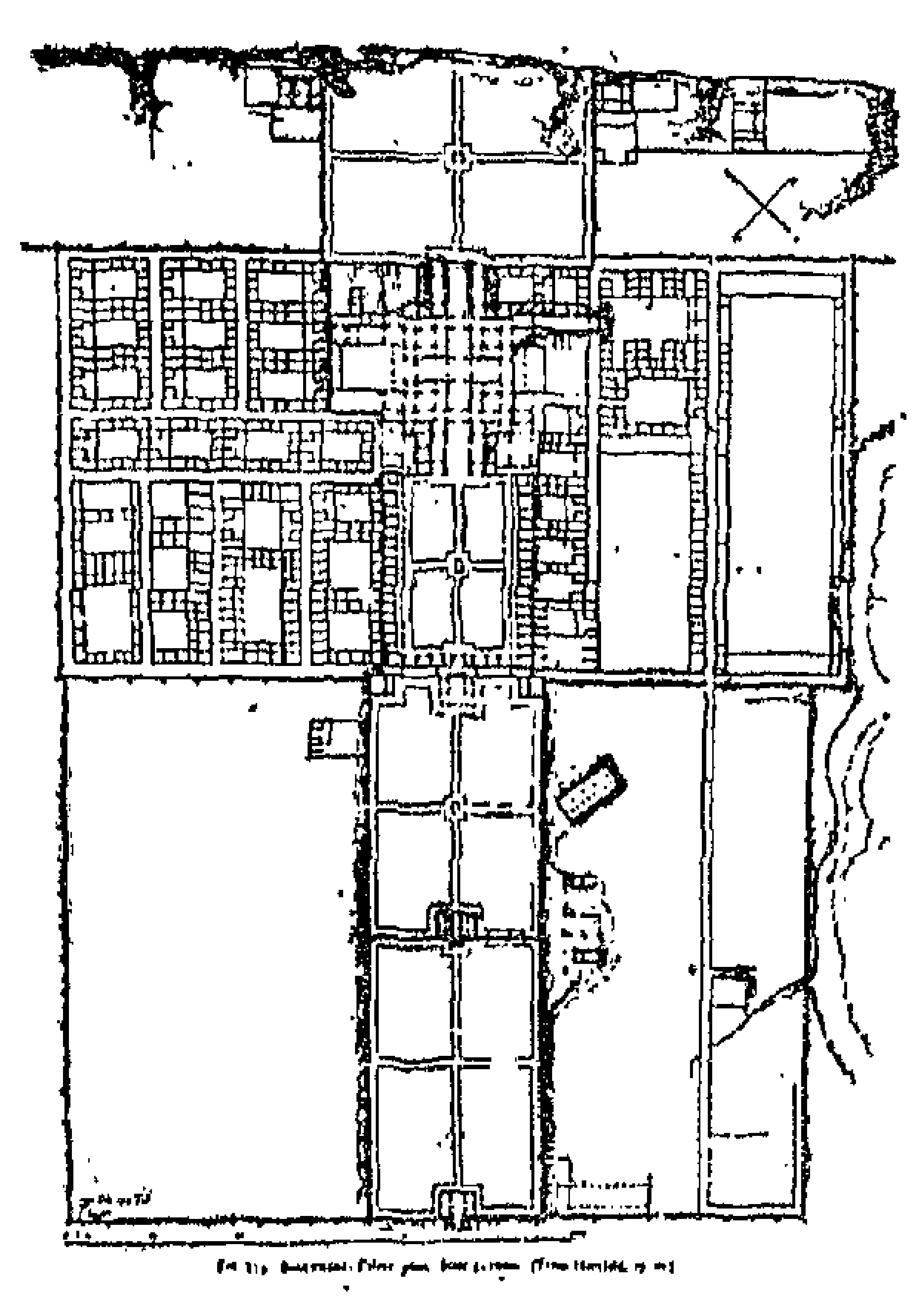
وأصل الزخارف الجصية فى سامرا قد أخذ عن البارثيين والساسانيين فقد وجدت زخارف جصية فيها رسوم مختلفة تغطى الجدران بطبقة من الجص ومحفورة فيها وهى محفوظة فى متاحف برلين وفى متحف المتروپوليتان بنيويورك ـــ وهذه تعتبر الخطوة الأولى لتكوين زخارف سامرا .

وقد كان لزخارف سامرا صدى فى مصر فقد وجدت فى مسجد بن طولون زخارف جصية فى بطون العقود وحولها ـــ وتحت شريط الكتابة بأعلى الجدران الداخلية ـــ وهذه النماذج من الزخارف الجصية البديعة التى تمثل صناعة الزخارف العباسية من الطرازين الثانى والثالث . كما يوجد بباطن أعتاب مداخل هذا المسجد نماذج أخرى من صناعة الحفر على الخشب تشبه ما عثر عليه فى قصر الجوسق الخاقانى بسامرا وهى تشبه الطراز الثالث فى الحفر على الجص . الى جانب ذلك توجد نماذج جميلة من الزخارف الجصية بالدير السريانى بوادى النطرون تشبه زخارف سامرا وهى تهم المشتغلين بدراسة الفنون الاسلامية .

قصر البلكوراه بالعراق

(٢٣٥ ـ ٤٥ هـ) (٨٤٩ ـ ٥٩م)

يعرف موقعه حاليا باسم « المنقور » وهو يبعد حوالى ستة كيلومترات جنوبى مدينة سامرا الحديثة . وللقصر مدخل وحيد يقع فى منتصف الحائط الشمالى الشرقى ـ والتخطيط العام للقصر على شكل مستطيل مقسم طولياً الى ثلاثة أجزاء متوازية كما هو الحال فى كل من قصر المشتى وقصر العاشق ويتكون الجزء الأوسط منها من المداخل التذكارية وأفنية الشرف وقاعات العرش . ويحوى القصر ثلاثة أفنية وبه تسع قاعات مجمعة على شكل متقاطع متقاعد ويلاحظ التماثل الكبير حول المحور الرئيسى للمدخل ـ وتطل قاعات العرش على الفناء الثالث وكذا تشرف على شاطىء نهر الفرات كما يوجد للقصر بطول الحديقة مرفأ على النهر ـ ويتوسط الحديقة حوض للمياه ـ ويلاحظ أن الواجهات المشرفة على الفناء وكذا على الحديقة كلها ثلاثية العقود كما هو الحال فى بيت الخليفة أو الجوسق الخاقانى (فى باب العامة) بسامرا ـ وكذا عند مدخل البهو المؤدى الى قاعة العرش بقصر المشتى . ويلاحظ فى هذه الواجهات المعقودة بثلاثة عقود أن العقد الأوسط أكبر وأعلى من الآخرين الجانبيين وهو تصميم أخذه العرب عن مداخل الشوارع الهلينستية وكذا أقواس النصر الرومانية . وتصميم القاعتين العرضيتين فى مجموعة قاعات العرش على شكل حرف تى (بالانجليزية) كما كان الحال فى سامرا ـ وسقف القاعات الكبرى من الخشب القريب من شكل القبو فى حين أن الغرف الصغيرة مغطاة بأقبية من الطوب وبها مربعات متداخلة زخرفية وهى الأولى من نوعها فى العمارة الاسلامية . وقد وجدت أصلاً فى الأسقف الهلينستية .



شكل (٤٣)
تخطيط أفقى لقصر بلكواره ويلاحظ أن تصميم قاعة العرش فيها يشبه تخطيط دار اماره أبى مسلم فى مرو وقصر المنصور فى مدينة بغداد
(عن هرتزفلد)

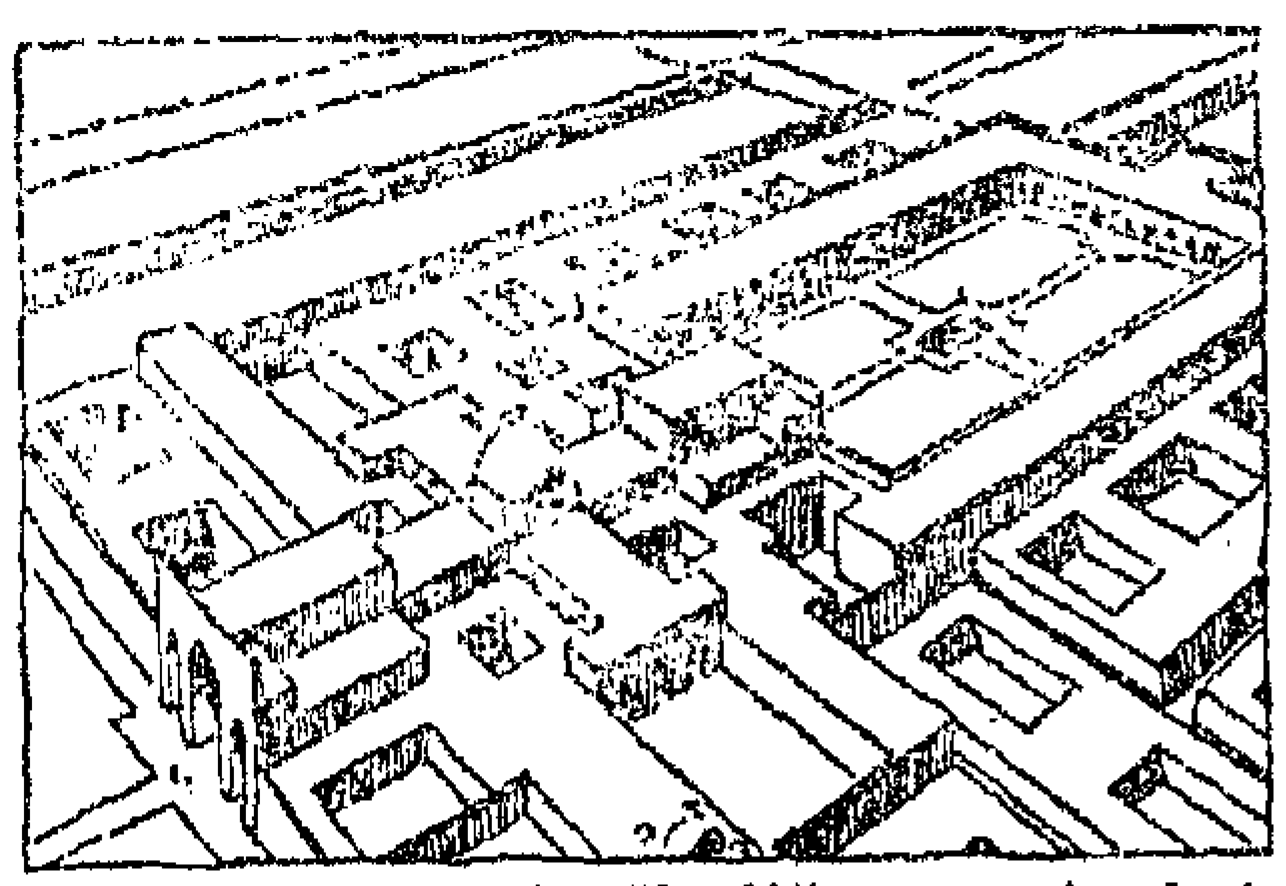


FIG. 215. BALKUWĀRĀ: Palace, Herzfeld's reconstruction of main part. (From his *Mshattâ, Hîra und Bâdiya.*)

شكل (٤٤)
منظور لقصر بلكواره ويلاحظ فى الشكل قبة قاعة العرش وحولها الأربعة ايوانات كما فى تصميم دار اماره أبى مسلم فى مرو وقصر المنصور فى بغداد
(عن هرتزفلد)

ويوجد على المحور العرضي فى مواجهة القاعات المصممة على شكل حرف « تى » ــ قاعات المعيشة ــ وبعضها يحوى حمامات مترفة يغشى حوائطها بلاطات من الرخام . أما النقوش الحائطيــة الجصيــة الموجودة ببعض القاعات فتشبه بعض ما شوهد فى قصر الخليفة المعتصم بســامرا ولو أنها تختلف من ناحيــة التصميم وتنوع الأشكال كما أن فى بعض الغرف الأخرى صــوراً ملونة بالفرسكو وبعضها مذهب وهــذه القاعات هى المشرفة على النهر ــ وقد اتضح أن بعض المداخل الثلاثية العقود كانت مزخرفة بالفسيفساء الزجاجية على أرضيات مذهبة ، وعنــاصر الزخرفة فيها الأفرع النباتية ــ وقد شيدت الأبواب من الخشب وطليت بالدهانات الملونة وذهبت واستعملت بهــا المســامير النحاســية البراقة فى حين ملئت النوافذ بالزجاج الملون وكانت تحوى نظارات علوية .

ويحتوى الجزءان الجانبيــان للقصر على مجموعات من المســاكن المفردة ــ كما يكتنف الفنــاءين الأولين من الجهتين أرض فضــاء ــ ويعتبر تصميم البيوت المنفردة النموذج الخاص ببيوت ســامرا وهــو يتكون من ١٦ غرفة مجمعة حول فناء مستطيل أوسط نسبة ضلعية ٣ : ٢ وبأحد الجوانب توجد القــاعة الكبرى التى على شكل حرف « تى » . وقد أقيمت هذه المساكن اما لسكن أهل البيت أو لسكن حريم الأمير .

وتختلف احدى القطع فى أجزاء القسم الشمالى اذ خصصت كسوق للقصر كما توجد مساحات واسعة استعملت كمعسكرات للحرس بعضها للمشاة والأخرى للفرسان . وقد ذكر اليعقوبى أنه كان بقصر البلكوراه ميدان للصوالجة كما وجد مثله بعد ذلك بقطائع بن طولون ، كما احتوى القصر أيضاً على بعض المساجد الصغيرة على غرار ما وجــد فى قصرى المشتى والأخيضر ــ ويقــع المسجد فى البلكوراه الى اليمين من الفنــاء الثانى وأبعاده حوالى ١٥ × ٣٥ متراً ويتكون من صفين من الأعمــدة

بشكل ثمانية أعمدة من خشب الساج أو الرخام حيث أن الأطلال الباقية منها هى الأساسات فقط ـ كما يوجد مسجد آخر أصغر من الأول ويقع فى مقابل المنطقة الجنوبية وأبعاده ٧٫٧٦ × ١٠٫٣٥ م . أى (١٥ × ٢٠ ذراعاً) وهو مبنى بالطوب اللبن وله ثلاثة مداخل معقودة فى حائطه الشمالى ، ومحرابه على شكل حنيّة دائرية يكتنفها أنصاف أعمدة ويحده من أعلاه اطار مستطيل الشكل .

تاريخ انشاء القصر :

وقد ذكر اليعقوبى فى الكلام عن المتوكل أن ابنه محمد المنتصر قد أقام فى قصر المعتصم المعروف بالجوسق وابنه ابراهيم المؤيد فى المطيرة وابنه المعتز فى البلكواره وعلى ذلك يكون تشييد هذا القصر فى عصر الخليفة المتوكل أى مابين (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) (٨٤٧ ـ ٦١ م) . وقد عثر العالم الألمانى الأثرى هرتزفلد على عدة روابط خشبية عليها كتابات مؤرخة بالخط الكوفى وبها اسم الأمير المعتز بالله بن أمير المؤمنين ـ وهو لقب الامام بن المتوكل أبو عبد الله طلحة الذى أطلق عليه فى عام (٢٤٠ هـ ـ ٨٥٤ م) .

وعلى ذلك يكون تاريخ قصر البلكواره ما بين (٢٤٠ ـ ٢٤٥ هـ) قبل سنة ٢٤٥ هـ ـ وهو تاريخ اهتمام المتوكل بانشاء مدينته الجديدة «الجعفرية» (٨٥٤ ـ ٩ م) ـ وقد أقنع الأستاذ كريزول أحد علماء الآثار وهو روفون جست بتعديله الى (٢٣٥ ـ ٢٤٥ هـ) (٨٤٩ ـ ٥٩ م) .

الأصول المعمارية :

١ ـ يتشابه التخطيط العام للقصر بتصميم كل من قصرى المشتى والأخيضر .

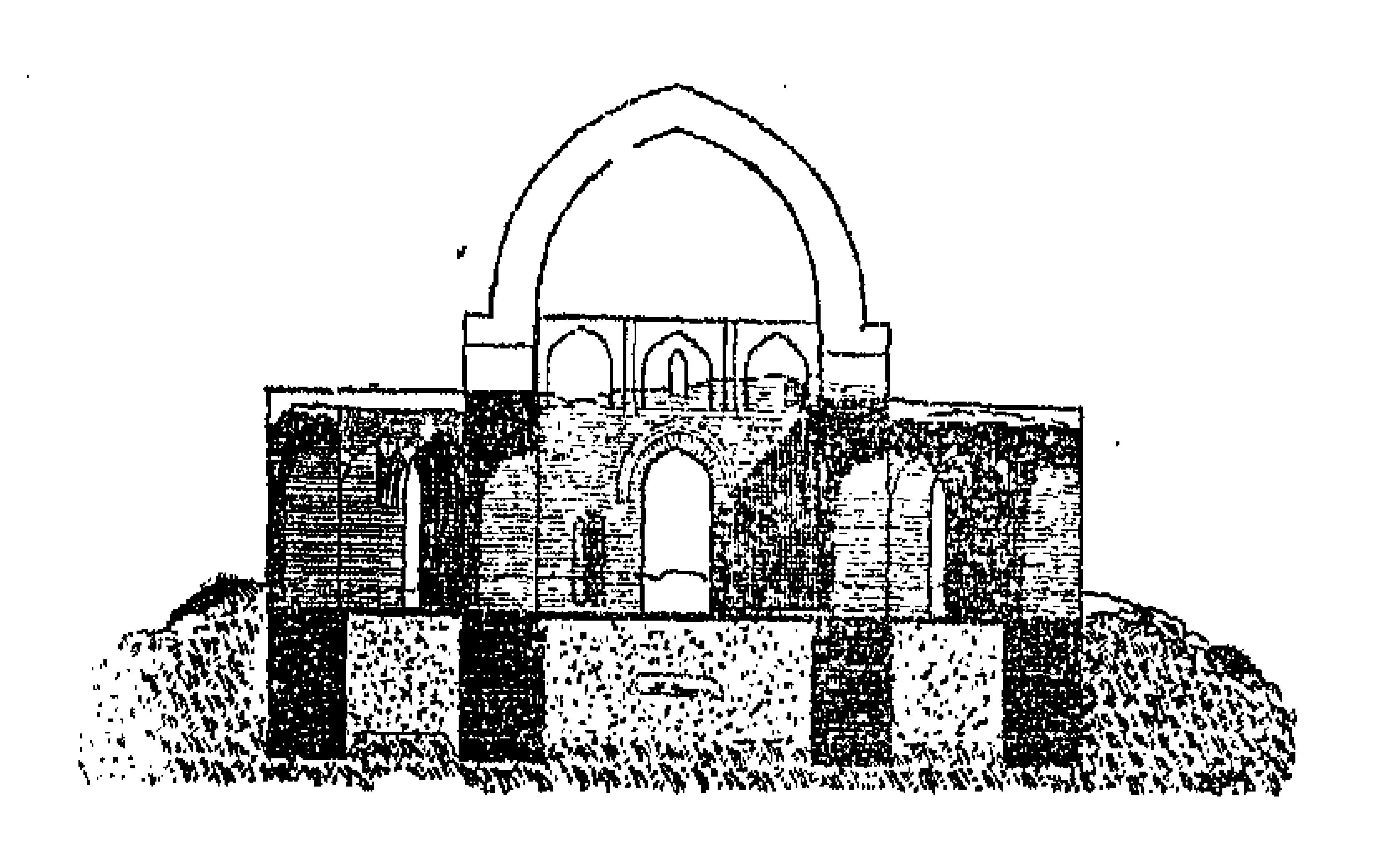
٢ ـ يرجع أصول تخطيط قاعة العرش الى تصميم دار الامارة لأبى مسلم فى مدينة مرو وربما الى ما قبل ذلك .

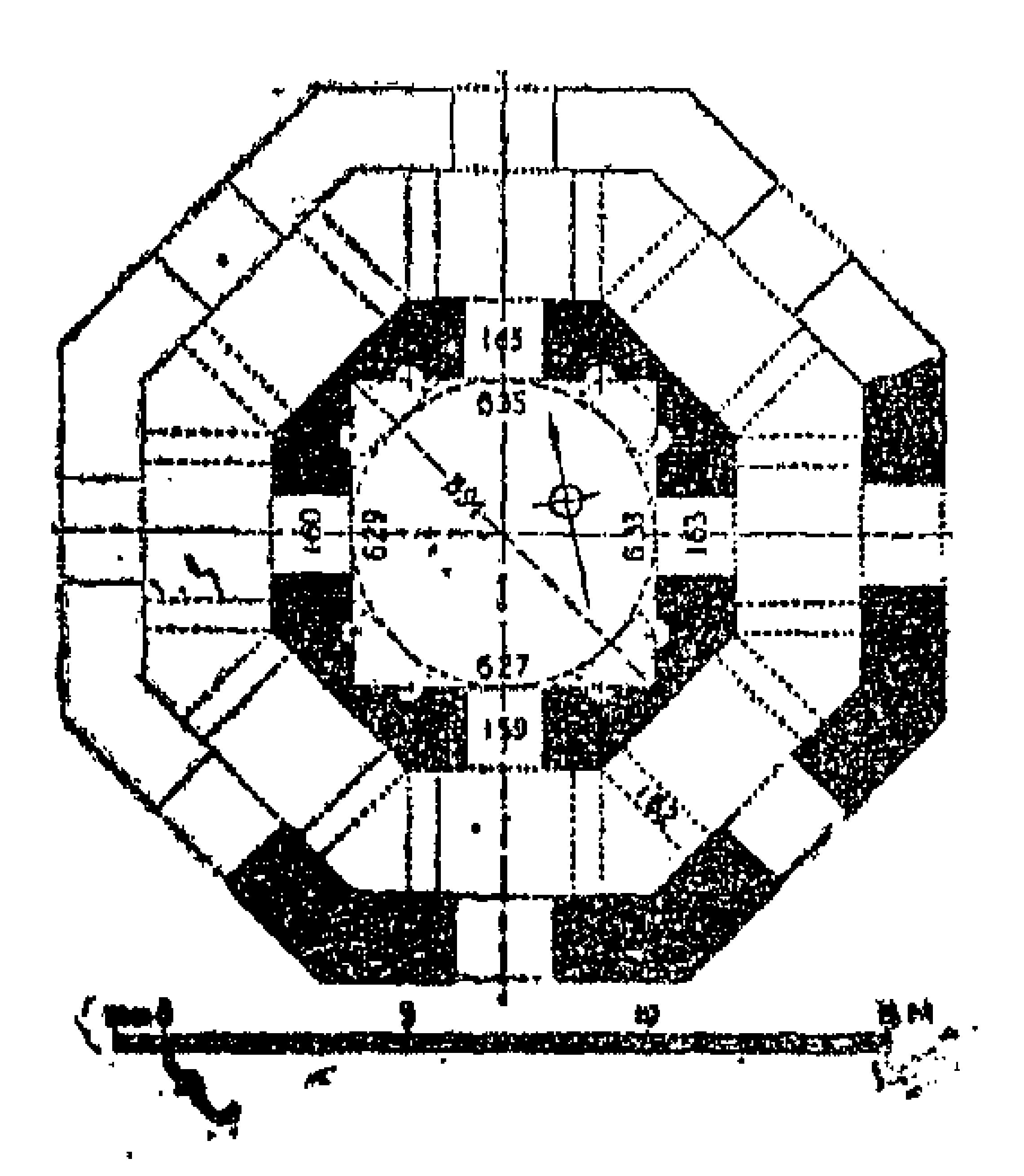
قبة الصليبية بالعراق

على الضفة الغربية لنهر الدجلة ، فوق هضبة تبعد حوالى ميل جنوبى قصر العاشق — توجد أطلال بناء مثمن الشكل هو « قبة الصليبية » بسامرا . ويتكون هذا البناء من مثمن خارجى داخله مثمن آخر متكامل البناء ويفصلهما ممر مغطى بقبو نصف اسطوانى — وبكل ضلع من أضلاع المثمن الخارجى فتحة معقودة — أما المثمن الداخلى فله أربعة مداخل فقط تقع على محاور الجهات الأصلية الأربعة . والقاعة الوسطى مربعة التخطيط وتفتح عليها الأبواب الأربعة للمثمن الداخلى وكل باب يكتنفه من الداخل حنية نصف دائرية من كل من الجهتين — ومنطقة الانتقال للقاعة الوسطى من المربع الى المثمن بواسطة الطاقات الركنية المفردة وهى تؤكد التغطية العلوية بالقبة ويرجح أنها كانت مبنية بالطوب المربع المعروف فى العراق فى ذلك الوقت .

ويذكر هرتزفلد أن الخلفاء الذين عاشوا فى سامرا قد دفنوا على النحو التالى : المعتصم فى الجوسق الخاقانى — والواثق فى القصر الهارونى وأم المتوكل فى المسجد الكبير بالجعفرية (أى مسجد أبى دلف بسامرا) أما المتوكل فقد دفن فى قصر الجعفرية .

ويعتبر الخليفة المنتصر أول من عرفت مقبرته فقد طلبت اليه والدته الاغريقية الأصل — انشاء ضريح خاص به ويرجح أن الخليفتين المعتز والمهتدى قد دفنا معه فى هذا الضريح بعد ذلك .





شكل (٤٥)

قبة الصليبية بسامرا

(عن كريزول)

وعلى ذلك تكون قبة الصليبية هى ضريح ثلاثة خلفاء هم المنتصر والمهتدى والمعتز .

والأصل فى تصميم قبة الصليبية يرجع الى التصميم الهندسى الذى أقيمت على أساسه قبة الصخرة ـ ولو أنه يختلف عنها فى الجزء الأوسط الذى أقيم على مربع بدلا من الدائرة وفوقه أقيمت القبة . وقد شوهد مثل هذا التخطيط قبل ذلك فى القرن السادس الميلادى فى كنيسة سان چورچ بعزرا ـ ويرجح أن قطاع قبة الصليبية على شكل عقد مدبب وقد سقطت هذه القبة ، كما كان لتخطيط هذا الضريح أثره بعد ذلك فى تصميم الأضرحة التى بنيت فى الشرق الأوسط وفى الهند .

المسجد الكبير بسامرا بالعراق

(٢٣٤-٢٣٧هـ) (٨٤٨/٩-٨٥٢م)

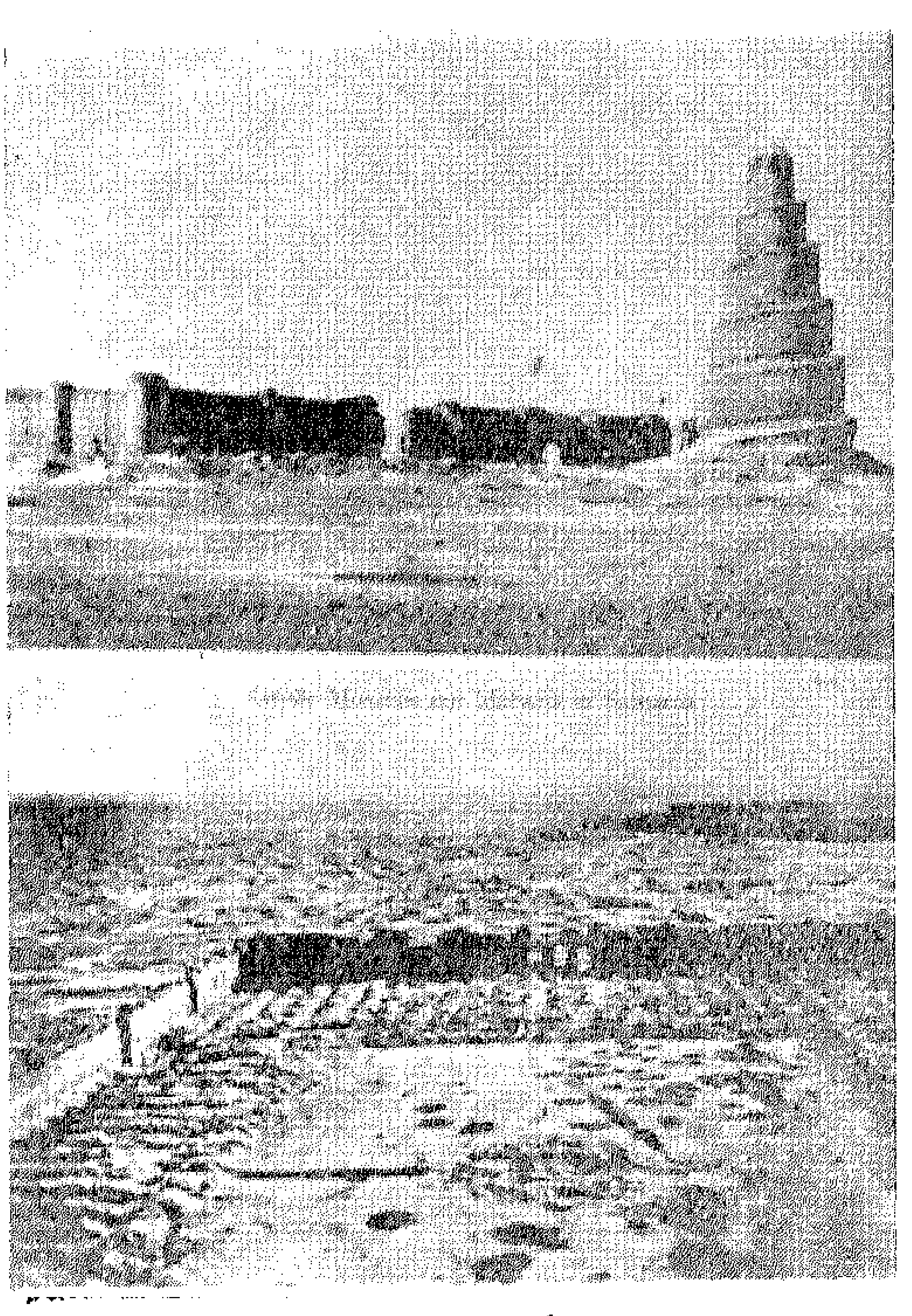
يعتبر المسجد الكبير بسامرا أكبر المساجد فى العالم الاسلامى على وجه الاطلاق — اذ أن مساحته بدون الزيادات تعادل مرة ونصف مساحة الجامع الطولونى بمصر الاسلامية وتقدر بحوالى ٣٨٫٠٠٠ متر مربع . وهو يشغل مساحة مستطيلة — وأبعاد المسجد من الداخل حوالى ٢٤٠ × ١٥٦ متراً — أى أن أطوال أضلاعه بنسبة ٣ : ٢ وهو مبنى بالطوب اللبن وكذا أبراجه المستديرة — ويتجه محوره الرئيسى نحو ١٢° غربى الاتجاه الجنوبى بينما اتجاه القبلة الحقيقى يجب أن يكون ٣٠َ ١٣° فيكون الخطأ فى الاتجاه هو ٣٠َ ١° فقط .

ولا تزال الحوائط الخارجية للمسجد هى الباقية وسمكها ٢٫٦٥متراً وهى مبنية من الطوب الأحمر الفاتح ، وقطر الأبراج الدائرية حوالى ٣٫٦٠ متراً وبروزها ٢٫١٥ متراً والمسافة بين الأبراج حوالى ١٥ متراً ، كما توجد أربعة أبراج ركنية وعشرة أبراج فى كل من الحائطين الشرقى والغربى وثمانية أبراج فى كل من الحائطين الشمالى والجنوبى — وجملة الأبواب — يبلغ عددها — ١٧ باباً منها ثلاثة فى الحائط الشمالى وسبعة فى الجنوبى وخمسة فى الشرقى واثنان فقط فى الحائط القبلى وهما يكتنفان محراب المسجد .

وتظهر نوافذ المسجد على شكل مستطيلات من الخارج بينما تعلوها من الداخل عقود ذات خمسة فصوص كل منها محمولة على عمودين



شكل (٤٦)
منارة الملوية بالمسجد الكبير بسامرا
(عن كريزول)



شكل (٤٧)

فوق ـ مئذنة الملوية بسامرا

تحت ـ منظور من الجو لأطلال مسجد سامرا

متصلين ويحيط بالعقد اطار مستطيل الشكل — وقد كان يغشى هـذه النوافذ فى وقت ما بلاطات من الزجاج كما كان الحـال فى الطـراز الرومانى .

وقد دلت حفريات الأساسات داخل المسجد على أن رواق القبلة كان به ٢٤ صفاً مكوناً لخمسة وعشرين بلاطة تتعامد مع حائط القبلة — وكل منها بعرض ٤ر٢٠ متراً بينما كانت البلاطة الوسطى بعرض حوالى ٥ أمتار — ويرتكز السقف فوق الدعامات مباشرة دون استعمال العقود اذ لاتوجد آثار للأخيرة فى الحوائط الداخلية . ويحتوى الرواق الشمالى المواجه لرواق القبلة على نفس عدد البلاطات الموجودة فى الأخيرة بينما يحتـوى الرواقان الشرقى والغـربى على ثلاث وعشرين بلاطة ، تجرى عمودية على الحائطين الجانبيين — ويبلغ مجموع عدد الدعامات الحـاملة للسقف ٤٦٤ دعامة .

وأساسات المسجد متصلة ومرتكزة على الصخر بينما ملئت مابينهامن فراغات بالحصى والرمل — وقد كسيت أرضية فنـاء المسجد بالطوب — وقطاعات الدعامات مثمنة الشكل وفى أركانهـا أعمـدة مستديرة من الرخام ، كل منهـا مكون من ثلاثة أجزاء ومتصلة ببعضهـا بحلقـات معدنية ، وقد استعمل الرصاص المصهور فى اللحامات ، ويبلغ ارتفـاع السقف من الداخل ٣٥ر١٠ أمتار وقد كانت الأعمدة من الرخام الملون .

أما محراب المسجد فمستطيل التخطيط بعرض ٥٩ر٢ متراً وبارتداد فى الحائط ٧٥ر١ متراً ، ويكتنفه زوجان من الأعمدة الرخاميـة الوردية اللون ولها تيجان وقواعد رمانية الشكل — والمحراب موضوع داخـل اطار مستطيل الشكل وهو يتوسط مدخلين كبيرين يفتحان على غرفتين متصلتين بالمسجد . وكانت حوائط المسجد مغطاة بالفسيفساء الزجاجية على أرضية ذهبيـة اللون كما جاء فى وصف العـالم الأثرى الألمـانى

هرتزفلد — ولاتزال هناك آثار نافورة كانت تتوسط صحن المسجد وكانت تعرف باسم « كأس فرعون » .

وللمسجد زيادتان بينما لمسجد بن طولون بالقاهرة زيادة واحدة وتبلغ مساحة المسجد بالزيادتين أكثر من ٤١ فدانا — أما المئذنة فتقع على محور المسجد فى منتصف الزيادة الأولى على بعد ٢٧٫٢٥ متراً من حائط المسجد الشمالى وتعرف هذه المئذنة بالملوية — وتتصل قاعدتها بحائط المسجد بواسطة منحدر مائل بعرض متر — وتشبه المئذنة الى حد كبير الزيجورات البابلية غير أن الأخيرة مربعة القطاع ، ويبلغ ارتفاع القاعدة ثلاثة أمتار وهى مزخرفة من الخارج بفتحات مستطيلة تعلوها طواقى دائرية محمولة على كوابيل أفقية فى الأركان .

ويبلغ عرض المنحدر الصاعد الى قمة المئذنة ٢٫٣٠ متراً ويجرى حولها فى اتجاه عكس عقرب الساعة الى أن يتم خمس لفات كاملة . ولكى يحتفظ بارتفاع كل منطقة كالتى تعلوها ، يزداد الانحدار كلما ارتفعنا — ويوجد بأعلى المئذنة طابق اسطوانى الشكل به ثمانية تجويفات مدببة متماثلة وكل منها موضوع داخل اطار مدبب معقود ومرتكز على عمودين من الطوب — والحنية الجنوبية تؤدى الى مدخل لدرج يصعد الى جوسق صغير مرتكز على ثمانية أعمدة من الخشب .

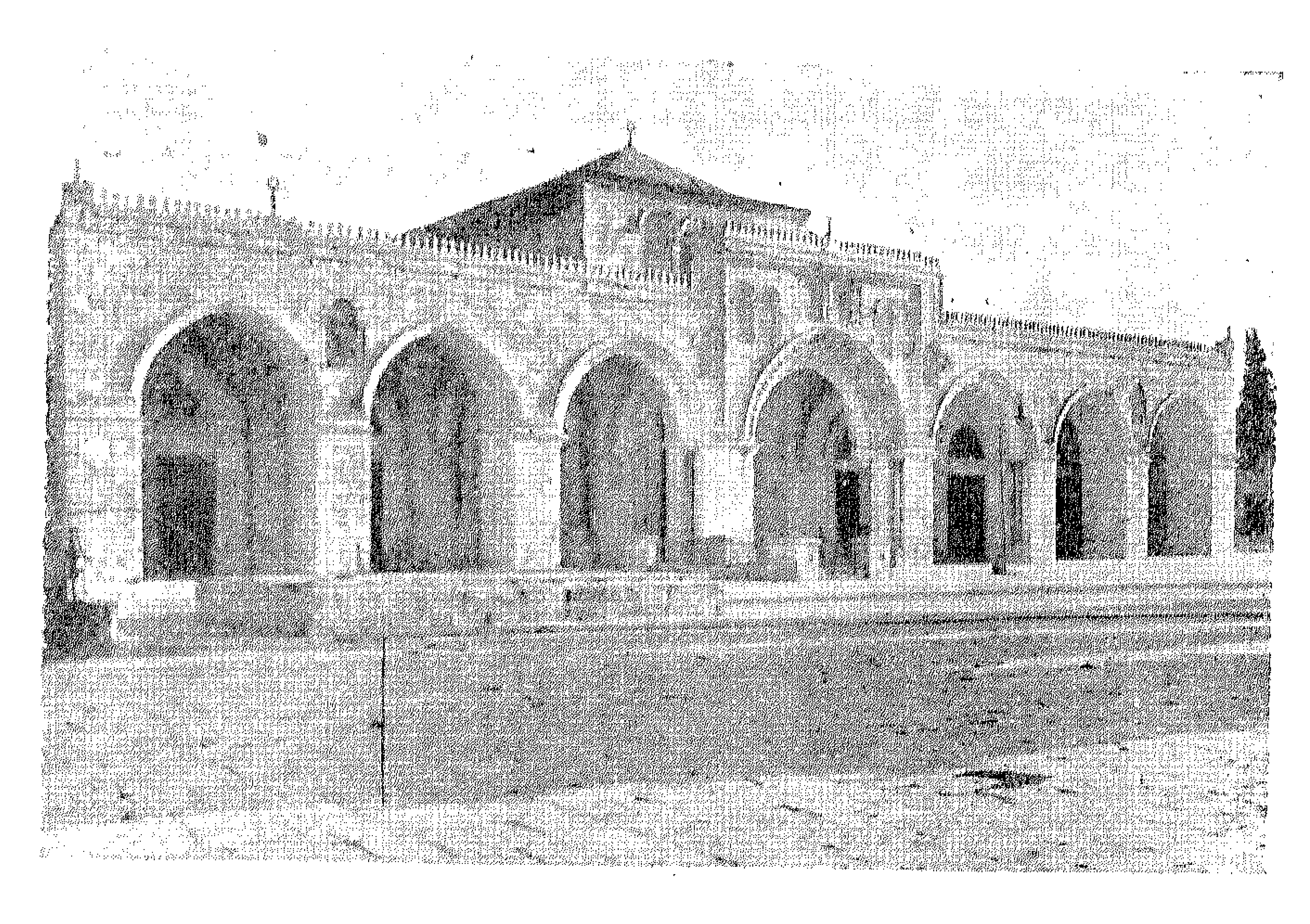
وقد قدرت تكاليف انشاء هذا المسجد كما ذكر ياقوت بنحو ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ خمسة عشر مليوناً من الدراهم أى حوالى ٤٠٠٫٠٠٠ جنيه — أما تاريخ انشاء هذا الأثر كما ذكر سبط بن الجوزى فيرجع الى عهد المتوكل فقد بدىء فى بنائه فى عام ٢٣٤ هـ (٨٤٨/٩ م) — وتم بناؤه فى عام ٢٣٧ هـ (٨٥٢ م) .

المسجد الأقصى
(بالحرم الشريف ببيت المقدس)

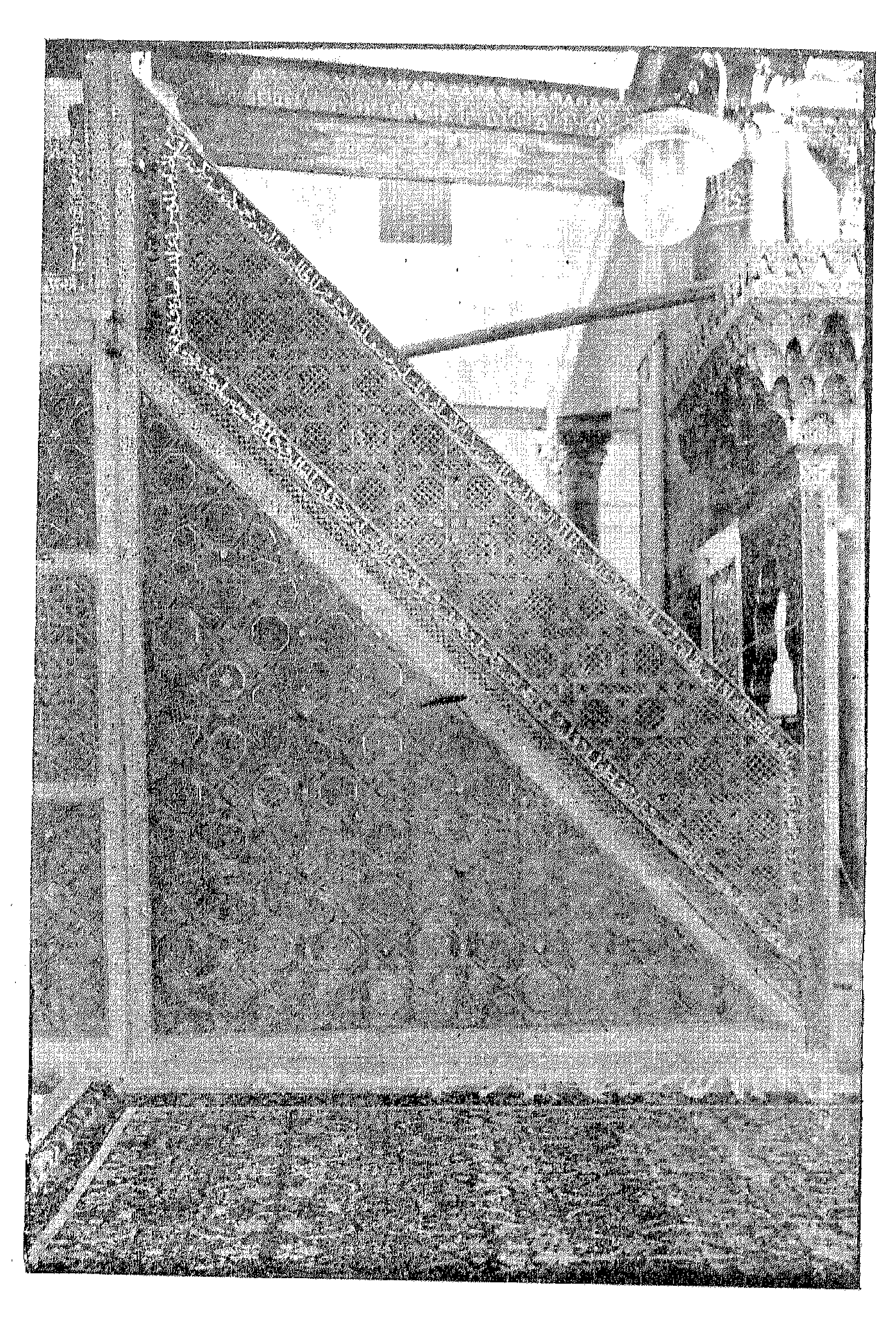
يرجع تاريخ انشاء المسجد الأقصى الأول الى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب (١٧ هـ ــ ٦٣٨ م) ، كما ينسب تشييد المسجد الأقصى الثانى الى الخليفة الوليد بن عبد الملك حوالى عام (٩٠ هـ ــ ٧٠٩ م) بينما ينسب المسجد الثالث الى الخليفة أبى جعفر المنصور سنة (١٤١ هـ ــ ٧٥٨ م (والمسجد الرابع الى الخليفة المهدى سنة (١٦٣ هـ ــ ٧٨٠ م) والمسجد الخامس الى الخليفة الفاطمى الظاهر سنة (٤٢٦ هـ ــ ١٠٣٥م) .

المسجد الثالث : وقد كان الزلزال الذى حدث فى عام ١٣٠ هـ (٧٤٧/٤٨ م) سبباً فى سقوط الجزأين الشرقى والغربى للمسجد الأقصى الثانى الذى بناه الوليد ، ثم أعاد بناءه أبو جعفر المنصور من ثمن الألواح الذهبية والفضية التى كانت تكسى بها بوابات المسجد وكان ذلك فى عام ١٤١ هـ (٧٥٨/٥٩ م) بعد زيارة المنصور لبيت المقدس فى ذلك العام وصلاته فى نفس المسجد بعد اعادة انشائه .

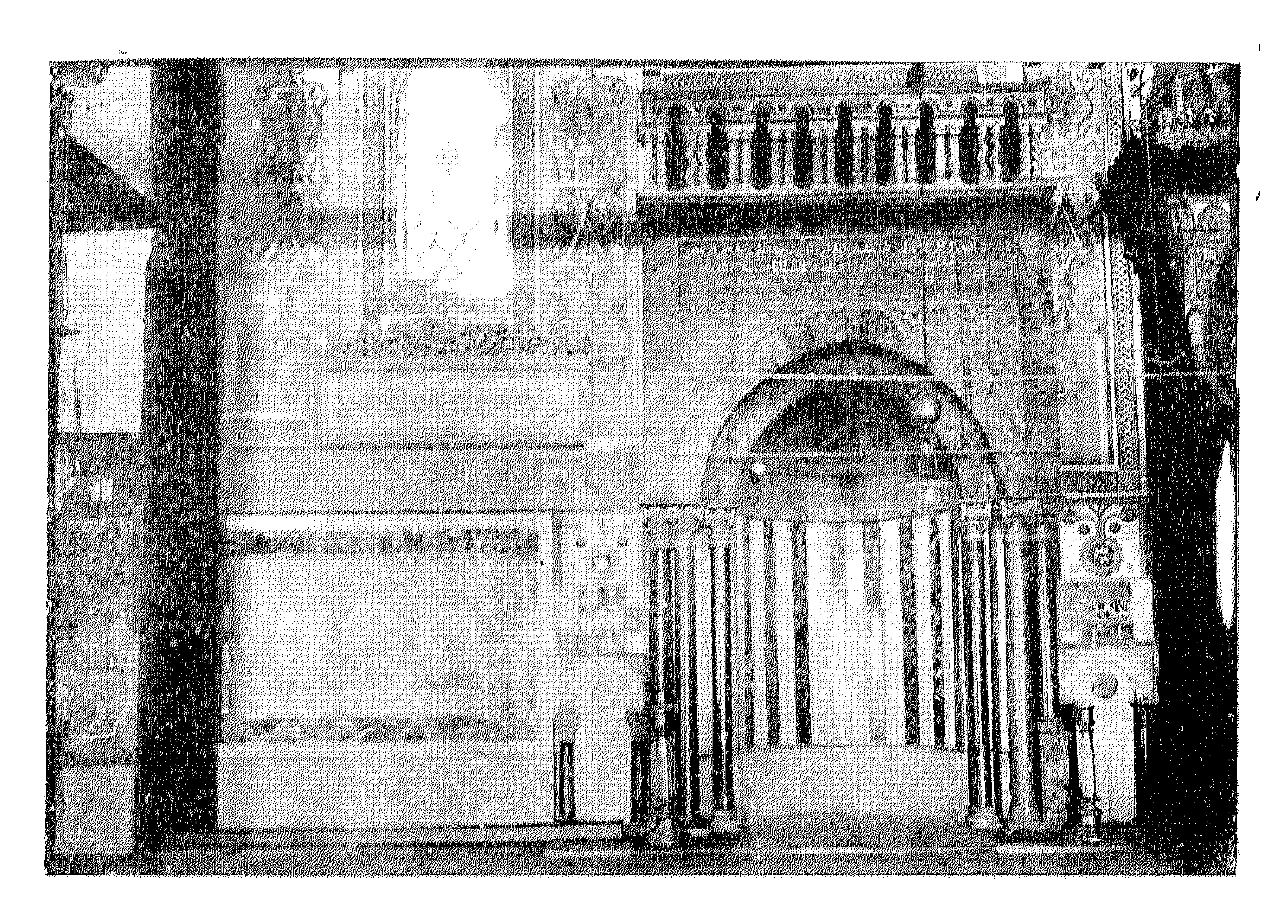
المسجد الرابع : وقد حدث زلزال آخر تسبب فى تدمير رواق القبلة فيما عدا الجزء المحيط بالمحراب وقد أعيد بناؤه بفضل معاونة حكام الأقاليم وغيرهم من القادة فى اعادة تشييد المسجد ــ فقد أخذ كل منهم على عهده اقامة صف من العقود ، ولايزال أقدم جزء منه باقياً الى اليوم ــ وكان ذلك فى أيام المهدى فى سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) ــ كما جاء فى وصف لوسترانج الذى ذكر أن رواق القبلة كان به ستة وعشرون باباً بينما كان المدخل المقابل للمحراب مغطى بصفائح من



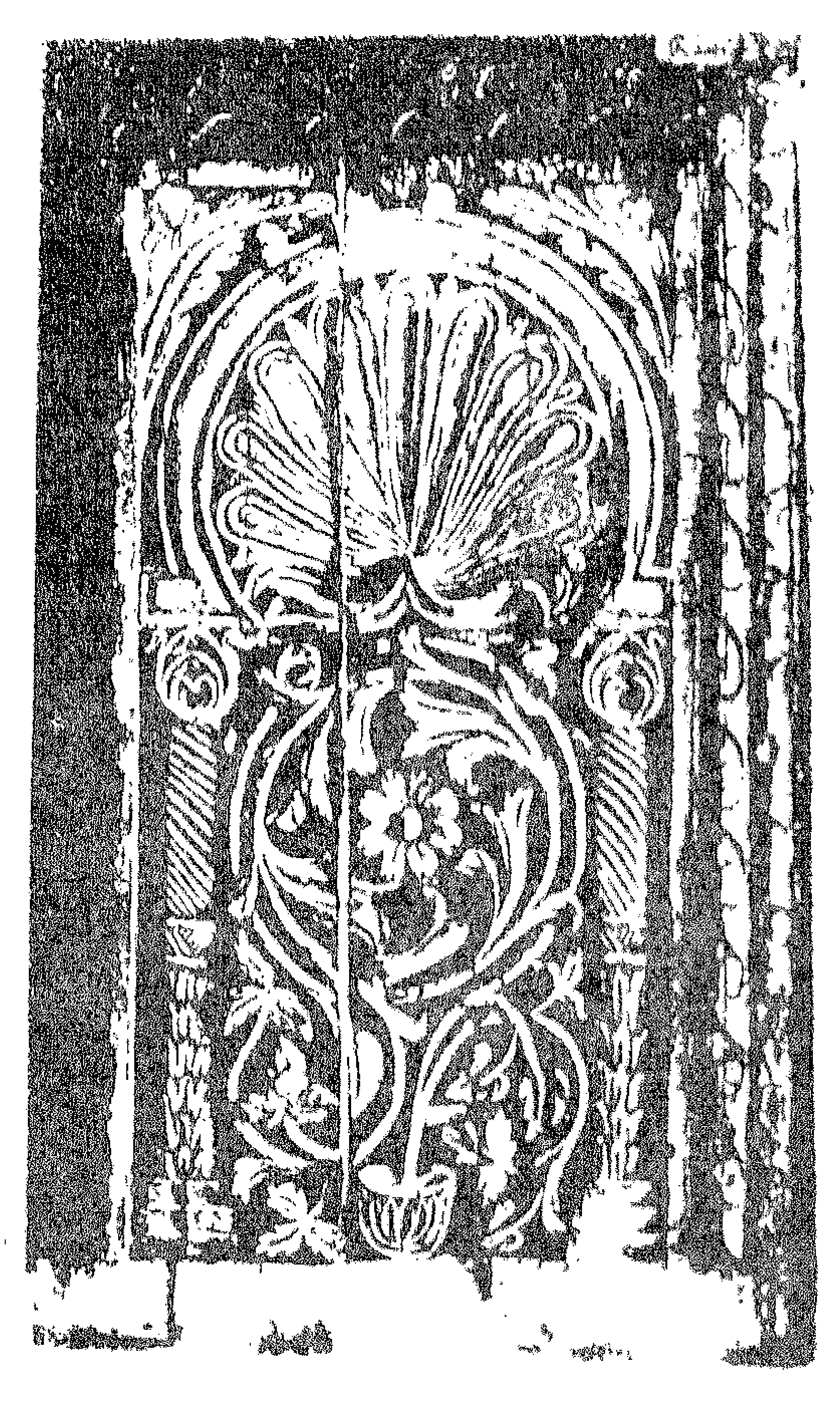
شكل (٤٨)
المسجد الأقصى ببيت المقدس ـ الواجهة الرئيسية
(عن كريزول)



شكل (٤٩)
منبر المسجد الأقصى ببيت المقدس
(عن كريزول)



شكل (٥٠)
محراب المسجد الأقصى ببيت المقدس
(عن كريزول)



شكل (٥١)
حشوة خشبية بالمسجد الأقصى من العصر العباسى

النحاس البراق وكان ثقيل الوزن وقد عرف باسم باب النحاس الأعظم — ومما قاله أيضاً أن صف الأعمدة الذى أقامه والى مصر وسوريا عبد الله بن طاهر العباسى (٢٠٦ — ٢١٣ هـ) (٨٢١ — ٨٢٨ م) كان مقاماً من الرخام ، وكان يعلو الممر الأوسط لرواق القبلة سقف جمالونى تعلوه قبة نفيسة فوق المحراب ، والسقف مغطى بصفائح من الرصاص .

المسجد الخامس : وقد حدث زلزال ثالث فى عام (٤٢٥هـ—١٠٣٣)— وقد أعيد بناء المسجد فى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر فى سنة (٤٢٦ هـ — ١٠٣٥ م) ، كما شاهده الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى عام ١٠٤٥ م ووصفه بأنه كان مقاماً على رقعة من الأرض أبعادها ١٥٠×٤٢٠ ذراعاً ، وصحة الرقم الأخير ١٢٠ فقط ، اذ لو كان كذلك لوصلت واجهة المسجد الأقصى حتى قبة الصخرة — ولا يحق لنا الاستمرار مع ناصر خسرو فى متابعة باقى وصف المسجد — اذ أنه ذكر أن عدد الأعمدة ٢٨٠ عموداً وهذا غير صحيح — كما ذكر أنه بشكله الحالى ينسب أغلبه الى عهد الصليبيين وصلاح الدين ، وهذا خطأ كذلك فالحقيقة أن بعض الأجزاء الشرقية والغربية للممر الأوسط من أعمال الصليبيين بينما يوجد جزء كبير لا يزال قائماً ينسب الى الخليفة الظاهر الفاطمى — فقد كان فضل الكشف عنه للمهندس التركى « كمال الدين » الذى أوفده المجلس الأعلى الاسلامى لاصلاح المسجد وبالكشف عن بعض أجزائه ثبت ماتقدم ذكره اذ توجد كتابة تاريخية بالخط الكوفى أعلى العقد الشمالى الكبير الذى يحمل القبة وهذه الكتابة تثبت أنه من عمل الظاهر سنة ١٠٣٣ م .

وبالكشف عن الغطاء الرصاصى المغطى للقبة الخشبية من الداخل ظهرت بعض زخارف فاطمية الطراز أيضاً — ومن ذلك يتضح أن رقبة القبة لايمكن أن يكون انشاؤها بعد عهد الظاهر الفاطمى — وعلى هذا فتكون الأربعة عقود الحاملة للقبة من العهد الفاطمى — كما توجد

حوالى عشرة الى اثنى عشر رباطا خشبيـــا بالقرب من القبة تنسب الى الخليفة الظاهر أيضاً ــ هذا بالاضافة الى أن الرباط الذى يقع الى يسار المحراب يحمل اسم الظاهر ــ ويرجح أن الممر الأوسط وهو أكبر الممرات بما فيه من كوابيل وزخارف من أعمال الخليفة الظاهر الفاطمى .

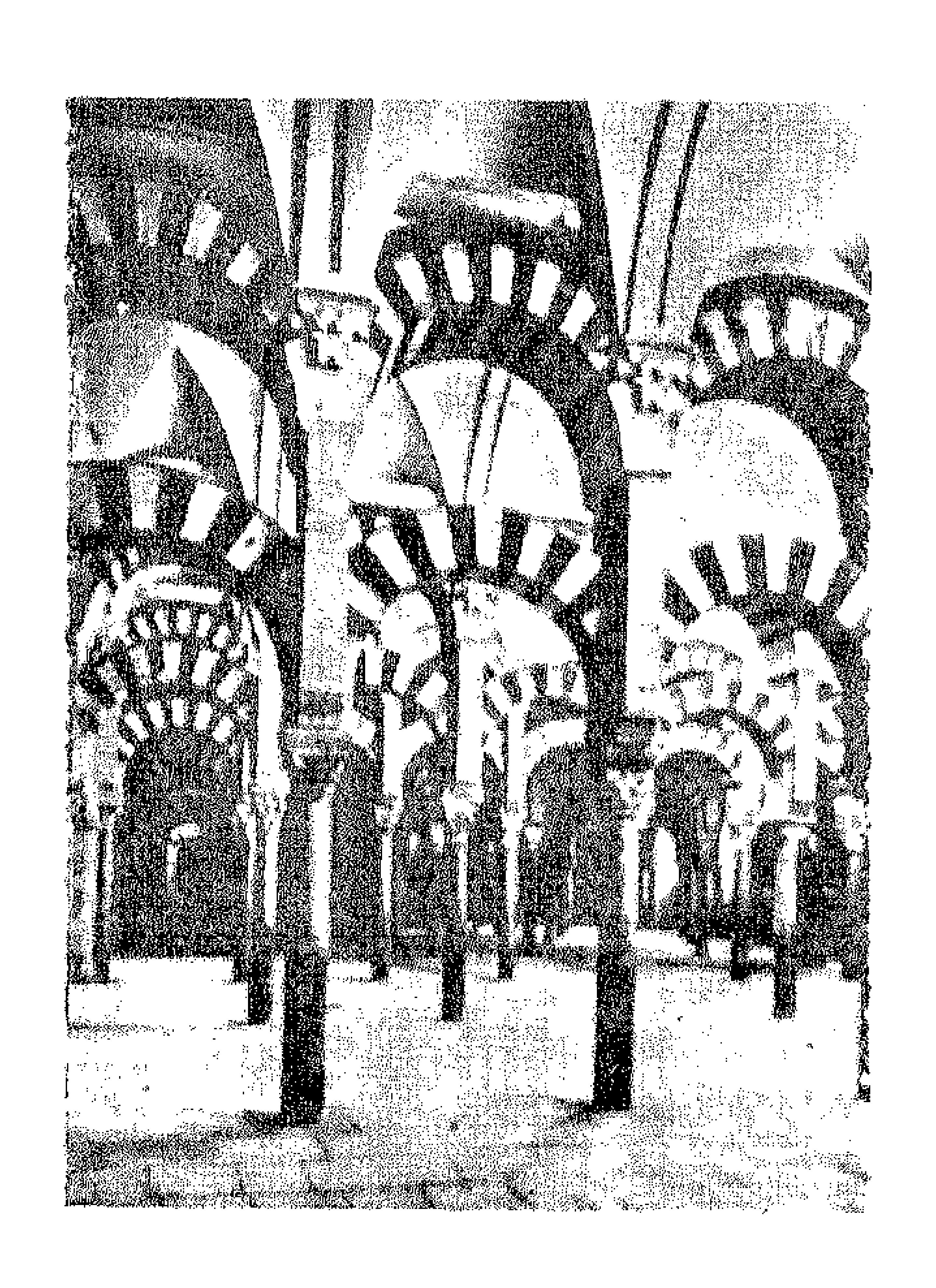
والسقف الحالى للمسجد الأقصى يتكون من جمالون مرتفع يغطى الممر الأوسط ويتعامد عليه جمالون عرضى ومنخفض عن الأول ويســد بعض الفتحات الجانبية لمنور السقف وهذا يثبت أنه ليس بالسقف الأصلى للمسجــد اذ أنه يجب أن يكون مكوناً من جمالونات تجــرى موازية للجمالون الأوسط بعدد البلاطات المكونة للمسجد بحيث تتعاقد مع حائط القبلة ولا تسد فتحات منور السقف الجانبية .

المسجد الكبير بقرطبة (الأندلس)

فتح العرب الأندلس سنة (٩٢ هـ ـ ٧١١ م) وبقيت خاضعة لحكم الأمويين فى دمشق مدة تسعة وثلاثين عاماً وكانت كمصر محكومة طول هذه المدة بعده ولاة يبلغ عددهم اثنين وعشرين والياً ـ اثنان منهم فقط مكثا فى الحكم أكثر من ثلاث سنوات . ويعتبر المشروع العام الوحيد الذى تم فى هذه الفترة ووصل الينا تفصيله هو اصلاح القنطرة المقامة على الوادى الكبير فى قرطبة التى كانت ذات أهمية فى ذلك الوقت . ولم يشيد أى مسجد اذ يقول ابن الظاهرى أن المسلمين آخذوا نصف الكنيسة الكبيرة فى قرطبة واتخذوا منه مسجداً جامعاً وتركوا النصف الآخر للمسيحيين .

وقد سبب سقوط الأمويين انقساماً كبيراً فى الأندلس ـ وبعد أن قضى عبد الرحمن فترة فى شمال افريقية بدأ فى اثارة الجنود الشاميين ضد والى الأندلس ، ولما انتصر عبد الرحمن بالقرب من قرطبة وأصبح أميراً بنى لنفسه قصراً فيها سماه « الرصافة » وذلك تشبها بقصر عمه الخليفة هشام ـ ولما زاد عدد المسلمين وضاق المكان بهم عمل على شراء نصف الكنيسة الآخر من النصارى الذين كانوا يمتلكونه واتفق معهم نهائياً على الاستيلاء عليه مقابل مبلغ كبير من المال على أن يسمح لهم ببناء كنيسة أخرى لهم خارج مدينة قرطبة وهى التى خربت بعد الفتح ، وبعد ذلك أخذ فى هدم الكنيسة . وفى عام (١٦٩ هـ ـ ٧٨٥ م) تم تشييد المسجد .

ويقول المقريزى أنه كان يحتوى على ١١ بلاطة (أى عشرة صفوف



شكل (٥٢)
أعمدة تحمل العقود الحاملة لسقف رواق القبلة بمسجد قرطبة

من الأعمدة) ــ والمسجد كما تركه عبد الرحمن لم يكن له مئذنة كما ذكر أن هشام قد أضــاف مئذنة وأقام حوضــاً فخماً للوضــوء وذلك فى عام ١٧٧ هـ .

زيادة عبــد الرحمن الثــانى : سنة ٢١٨ هـ :

ويقول ابن الظاهرى ان الجزء الذى أضيف كان عمقــه ٥٠ ذراعاً واتساعه ١٥٠ ذراعاً وكان يحتوى على ثمانين عموداً (٢١٨ هـ) . وقد حال الموت دون عمل الحليات التى أتمها ابنه محمد حيث جــدد أشرطة الكتابات (الطرز) وأتقن النقــوش وأتم المقصــورة (٢٢٥ ذراعاً من الشمال الى الجنوب ، ١٠٥ ذراعاً من الشرق الى الغرب ــ كما أضــاف المنذر بن محمد بيتاً للمال وقام بتنظيف الخزان وطلاء الأروقة .

وقد أنشــأ عبد الله فى عام ٢٧٥ هـ ممراً مسقوفاً يؤدى من القصر الى المسجد وذلك عن طريق باب بجوار المسجد (وهو المعادل الآن لباب كنيسة سانت ميجل) وبالرغم من الملأ التقليدى والاطار القوطى فليس من شك أن العقد الفرسى الحــالى لهــذا الباب أصلى أى من عصر انشاء المسجد الأصلى ــ ويعتبر عبد الله أول أمير أموى أدخل هذا التصميم من الممرات المغطاة فى اسپانيا ، وقد اعتاد أن يجلس فيها مختفياً عن الناس .

المئذنة الجديدة : وقد بنى عبــد الرحمن الثــالث مئــذنة جديدة فى عام ٣٣٤ هـ ــ فقد أمر بهدم البرج القديم وبناء ماهو مشــيد حالياً مكانه .

زيادة الحكم : وهذه تعتبر الزيادة الثانية للمسجد ، فقد عهد الحكم على نفسه هذه الزيادة فى أيام حكمه ــ وكانت الزيادة من الناحية القبلية (من نهايته) باضــافة احــدى عشرة بلاطة (٩٥ ذراعاً من الشمال الى

الجنوب) . وبعمله هذا عطل الممر المغطى الذى أقامه عبد الله وقد كان يصل قصر الخليفة بالمقصورة مباشرة ـ واستبدله بآخر فى نهاية الحائط الغربى ـ وقد تمت هذه الزيادة فى عام (٣٥٥ هـ ـ ٩٦٦ م) .

زيادة المنصور ٣٧٧ هـ : وتعتبر هذه الزيادة ، الثالثة للمسجد ـ أما أكبر اضافة للمسجد فكانت الى الجهة الشرقية على يد هشام .

قصبة مريدا بالأندلس

(٢١٣ ــ ٢٢٠هـ)

بعد استقرار المسلمين فى بلاد الأندلس ، احتفظت مريدا بنصيب كبير من الأهمية وأصبحت مركزاً للثورات ضد الحكومة فى قرطبة ، وتظهر أهميتها فى بداية الاسلام حين أصبح الأمير هشام محافظا للمدينة وهو الوارث للعرش بعد وفاة والده .

وفى سنة (٢١٣ هـ ــ ٨٢٨ م) ، حاصر عبد الرحمن الثانى مدينة مريدا ثم هدم أسوار وتحصينات المدينة وأعقب ذلك ثورات أخرى مما دعا عبد الرحمن الى ايجاد طريقة لحمايتها وسيادتها فى المستقبل وذلك بتحصين مريدا وقنطرتها ، ولذلك فقد أمر باقامة قلعة للاحتفاظ بحامية مستديمة بها وهى تعزل فى نفس الوقت المدينة عن القنطرة وتجعل المرور اليها تحت رقابة حاكم القلعة . وقد استمر العمل فيها وتم بناؤها فى سنة (٢٢٠ هـ ــ ٨٣٥ م) . وأصبحت « القصبه » مقراً لحاكم المدينة . كما أقيم سور المدينة على ضفاف النهر ويمكن الوصول اليها عن طريق قنطرة تعبر النهر الى يمين الداخل الى المدينة .

وتتكون القصبة من مساحة مربعة التخطيط وفى كل ركن من أركان المربع يوجد برج أصم البناء ، وبين كل اثنين منها أبراج أصغر حجماً من الركنية وعلى أبعاد متساوية الا فى الجهة المحاذية للنهر وكذا فى السور الشمالى فى الجزء التالى للمدخل ــ ويوجد المدخل الأصلى للمدينة فى السور الشمالى بين برجين يبعدان عن بعضهما حوالى أربعة أمتار وقد سد هذا الباب بحائط ــ وكان ذلك الباب يفتح على فناء صغير يعتبر

المفتاح للقنطرة اذ أنه كان على الراغبين فى الوصول الى القنطرة من المدينة أن يمروا من بوابة الى الفناء الصغير ثم من بوابة أخرى مقـابلة للباب الأول الذى يفتح على الفناء من خارج المدينة وهـذه البوابة تؤدى الى القنطرة . وأبعاد هذا الفناء الصغير ١٧ × ٢٦ متراً أى أن أطواله بنسبة (٢ : ٣) وأركانه من الخارج مدعمة بأبراج ضخمة لا يزال أحدها باقياً . ويبلغ سمك الحائط ٢٫٧٠ متراً وليس بها ميل من أعلى وتعتبر هذه أكبر الحوائط الاسلامية سمكاً فى الأندلس ، اذ أن سمك حائط مدينة الزهراء التى تعتبر مسكن الخليفة فى أزهى عصور المسلمين يبلغ ٢٫٥٠ متراً فقط .

وقد تأثرت هذه القلعة فى تصميمها عن الحصـون البيزنطية التى أقيمت فى العصر البيزنطى فى شمال افريقية فى القرنين السادس والسابع الميلادى كما فى تمجاد وطبنه وستيف الا أن هناك اختلافاً فى هذه القلعة فى بعض التفاصيل الموجودة بالبوابات حيث توجد العقود التى على شكل نعل الفرس والتى تتميز بزيادة قطر العقد عن المسافة بين الجانبين الرأسيين للباب كما أن المسافة من مركز الدائرة حتى بدء العقد تتكون من مداميك أفقية ـ وقد غطيت المساحة التالية للمدخل عبر الحائط المؤدى الى المدينة بقبو نصف اسطوانى وبنيت الحجر من الجرانيت باستجلابها من أطلال المبانى الرومانية الموجودة فى المدينة .

المسجد الكبير بالقيروان بشمال افريقية

تأسيس مدينة القيروان وانشاء المسجد الأول :

عين عقبة بن نافع والياً على المغرب فى عهد معاوية فغزا افريقية على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل ثم أسس مدينة القيروان . وقد أخذ معاوية فى تخطيط المدينة على الأرض وبدأ فى بناء المسجد الكبير بها . وفى سنة (١٨٤ هـ ـ ٨٠٠ م) أزيل هذا المسجد فى عهد ابراهيم بن الأغلب وذلك عندما شرع فى تأسيس « العباسية » ـ وقد انتهى انشاء مدينة القيروان فى سنة ٥٥ هـ (٦٧٤/٥ م) ـ وفى نفس السنة عزل عقبة وخلفه أبو المحاجر الذى أهمل وخرب القيروان فأعاد الخليفة يزيد تعيين عقبة مرة ثانية فى عام ٦٢ هـ .الذى تم له القبض على أبى المحاجر وقام باعادة بناء القيروان واصلاحها .

وفى عام (٨٤ هـ ـ ٧٠٣ م) استقر حسان بن نعمان فى مدينة القيروان وقام باصلاح وتجميل المسجد ـ وقد قام بشر بن صفوان بأمر من الخليفة هشام بتوسيع المسجد وذلك باضافة حديقة كبيرة الى الشمال من المسجد ـ وكانت ملكاً لبنى فهر فاشتراها بشر وأضافها الى المسجد كما أنشأ صهريجاً فى صحن المسجد ويعرف اليوم باسم « الماجل القديم » ـ ثم أقام فوق البئر الموجودة فى الحديقة مئذنة أو صومعة وتقع على محور الحائط الشمالى للمسجد وكان ذلك بين عامى (١٠٥ ـ ١٠٩ هـ) . وقد جاء فى وصف البكرى أن يزيد بن حاتم الذى عين حاكما لافريقية فى عام ١٥٥ هـ ـ قد هدم المسجد باستثناء المنبر ثم أعاد بناءه فى عام (١٥٧ هـ ـ ٧٧٣/٤ م) .

الدولة الأغلبية : وقد اتخذ مؤسس هذه الدولة ابراهيم بن الأغلب ابن سالم بن عقال التميمى موطنه فى « مرو الروذ » ـ وأصبح حاكماً على افريقية من (١٤٨ هـ ـ ٧٦٥ م) الى ١٥٠ هـ ـ وفى عام (١٨٤ هـ ـ ٨٠٠م) عين بن مقاتل حاكماً بأمر من هارون الرشيد فأنشأ لنفسه عاصمة جديدة على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى مدينة القيروان ـ وهذه المدينة الجديدة هى مدينة « العباسية » ثم هدم دار الامارة وكانت تعرف باسم القصر الأبيض ـ وكانت مقاسات الطوب الذى بنيت به المدينة ٤٢×٢١×٥ر١٠سم موضوعة فى مداميك آدية وشناوى على التبادل ـ وفى هذه المدينة الجديدة « العباسية » أقام ابراهيم مسجداً جامعاً من الطوب وبه أعمدة من الرخام حاملة لسقف من الخشب وأبعاد المسجد ٢٠٠×٢٠٠ ذراعاً ـ وقد جاء فى وصف البكرى أن مئذنة المسجد كانت أسطوانية الشكل ومبنية بالطوب ومزخرفة بالأعمدة من سبعة أدوار .

وخلف ابراهيم بن الأغلب عدد من أسرته التى كانت شبه مستقلة بالحكم ومن أعضائها :

١ ـ ابراهيم بن الأغلب (١٨٤ هـ ـ ٨٠٠ م) .
٢ ـ أبو العباس عبد الله الأول (١٩٦ هـ ـ ٨١٢ م) .
٣ ـ زيادة الله الأول (٢٠١ هـ ـ ٨١٧ م) .
٤ ـ أبو العقال الأغلب بن ابراهيم (٢٢٣ هـ ـ ٨٣٨ م) .
٥ ـ أبو العباس محمد الأول (٢٢٦ هـ ـ ٨٤١ م) .
٦ ـ أبو ابراهيم أحمد (٢٤٢ هـ ـ ٨٥٦ م) .
٧ ـ أبو محمد زيادة الله الثانى (٢٤٩ هـ ـ ٨٦٣ م) .
٨ ـ أبو عبد الله محمد الثانى (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م) .
٩ ـ أبو اسحاق ابراهيم الثانى ـ ابن أحمد ـ (٢٦١هـ ـ ٨٧٥م).
١٠ ـ أبو العباس عبد الله الثانى (٢٨٩ هـ ـ ٩٠٢ م) .

١١ ــ أبو مضر زيادة الله الثالث (٢٩٠ هـ ــ ٩٠٣ م) .
وفى سنة (٢٩٦ هـ ــ ٩٠٩ م) تم الغزو الفاطمى لشمال افريقية .

أعمال زيادة الله : (٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م) :

قام زيادة الله ــ الحاكم الأغلبى الثالث بعد نضال ثلاثة عشر عاماً فى حرب أهلية بهدم المسجد واعادة بنائه فى عام (٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م) ــ كما أمر بهدم المحراب القديم ــ ولكن القوم نصحوه بعدم التعرض للمحراب القديم الذى بناه عقبة بن نافع ــ فأشاروا عليه بحفظ المحراب القديم بين حائطين بحيث لا يرى من داخل المسجد وقد تم تنفيذ ذلك .

المحراب : وينسب المحراب الحالى لزيادة الله بما يحتويه من بلاطات من رخام أبيض اللون وهو مثقوب وعليه نقوش وبعض أجزائه المزخرفة عليه كتابات تاريخية والبعض الآخر به زخارف متنوعة من الأرابسك ، ويكتنف المحراب عمودان لونهما أحمر ويحملان نصف القبة التى تعلو المحراب .

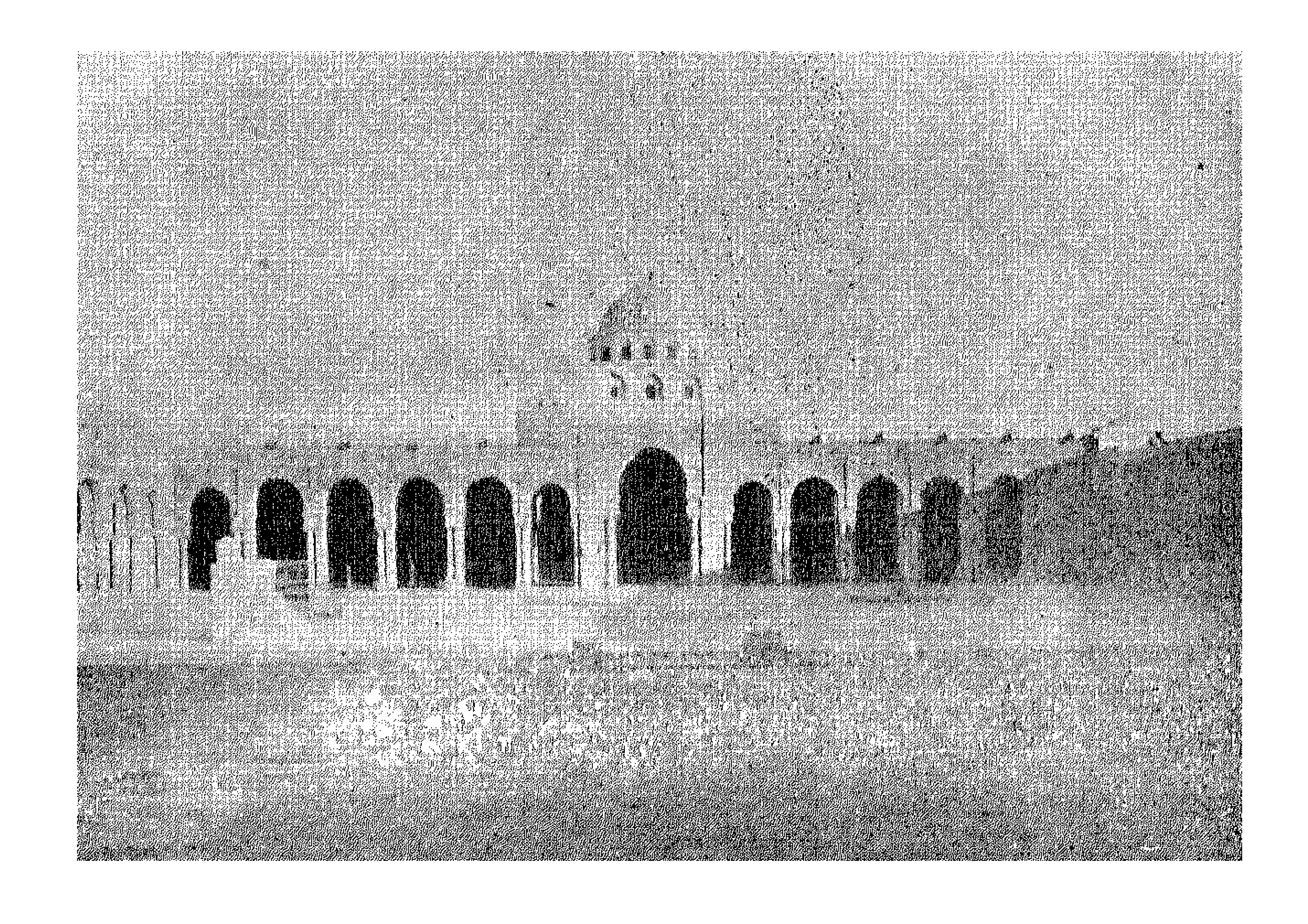
وبالمسجد ٤١٤ عموداً مكونة لسبع عشرة بلاطة ومساحته ٢٢٠×١٥٠ ذراعاً ــ أما المقصورة التى كانت بداخل المسجد فهى موجودة حالياً فى منزل يقع قبلى المسجد ومدخله من سوق الفاكهة . وبجوار المحراب باب يدخل منه امام المسجد بعد دخوله الى المنزل وذلك حين قامة الصلاة ــ وقد ذكر أن تكاليف انشاء هذا المسجد كانت حوالى ٨٦٫٠٠٠ مثقال .

اضافات وأعمال أبو ابراهيم احمد : (٢٤٨ هـ ــ ٨٦٢/٣ م) :

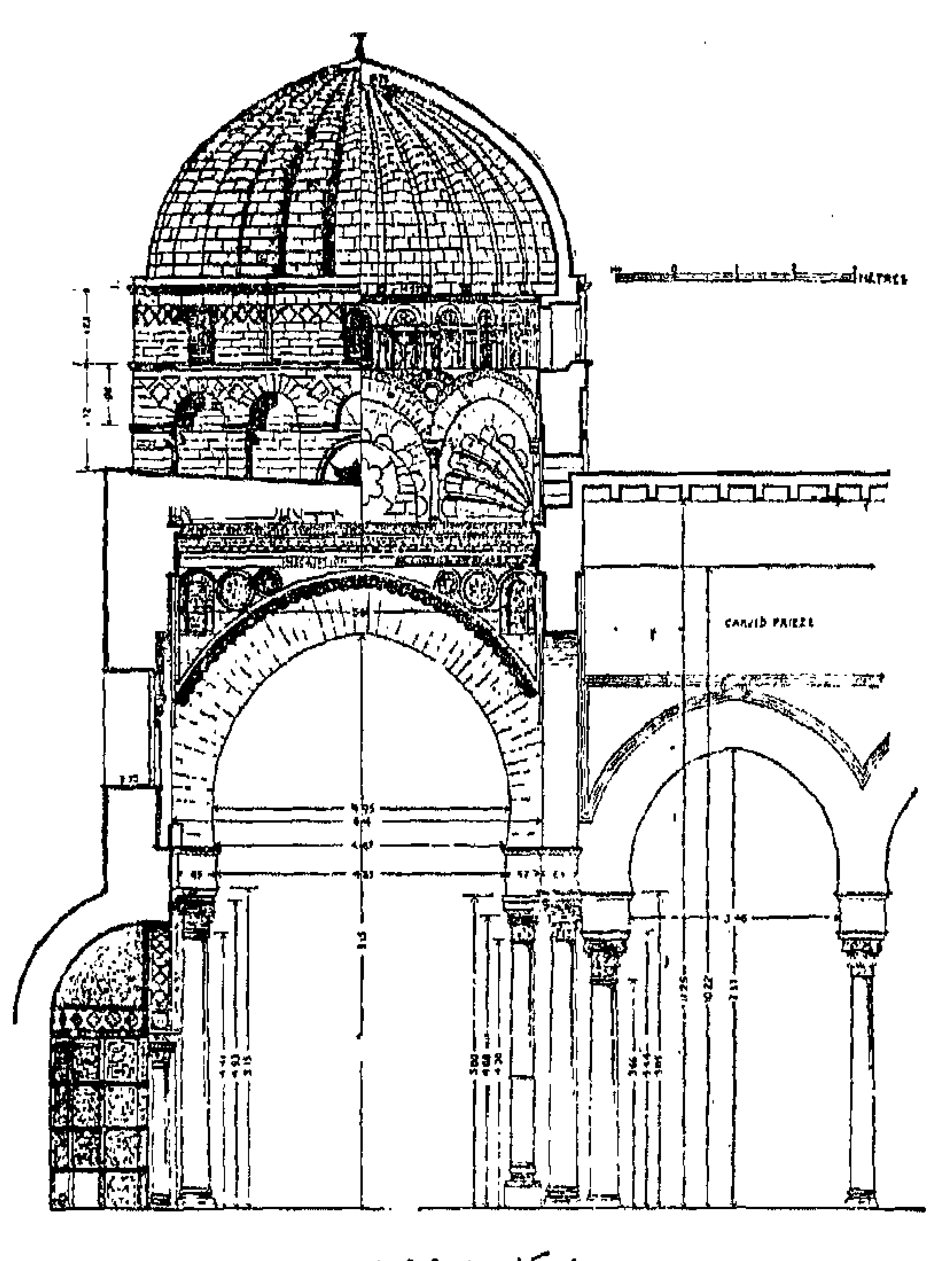
١ ــ قام بزخرفة المحراب ببلاطات من الرخام .
٢ ــ قام بوضع بلاطات من القاشانى ذى البريق المعدنى حول المحراب .



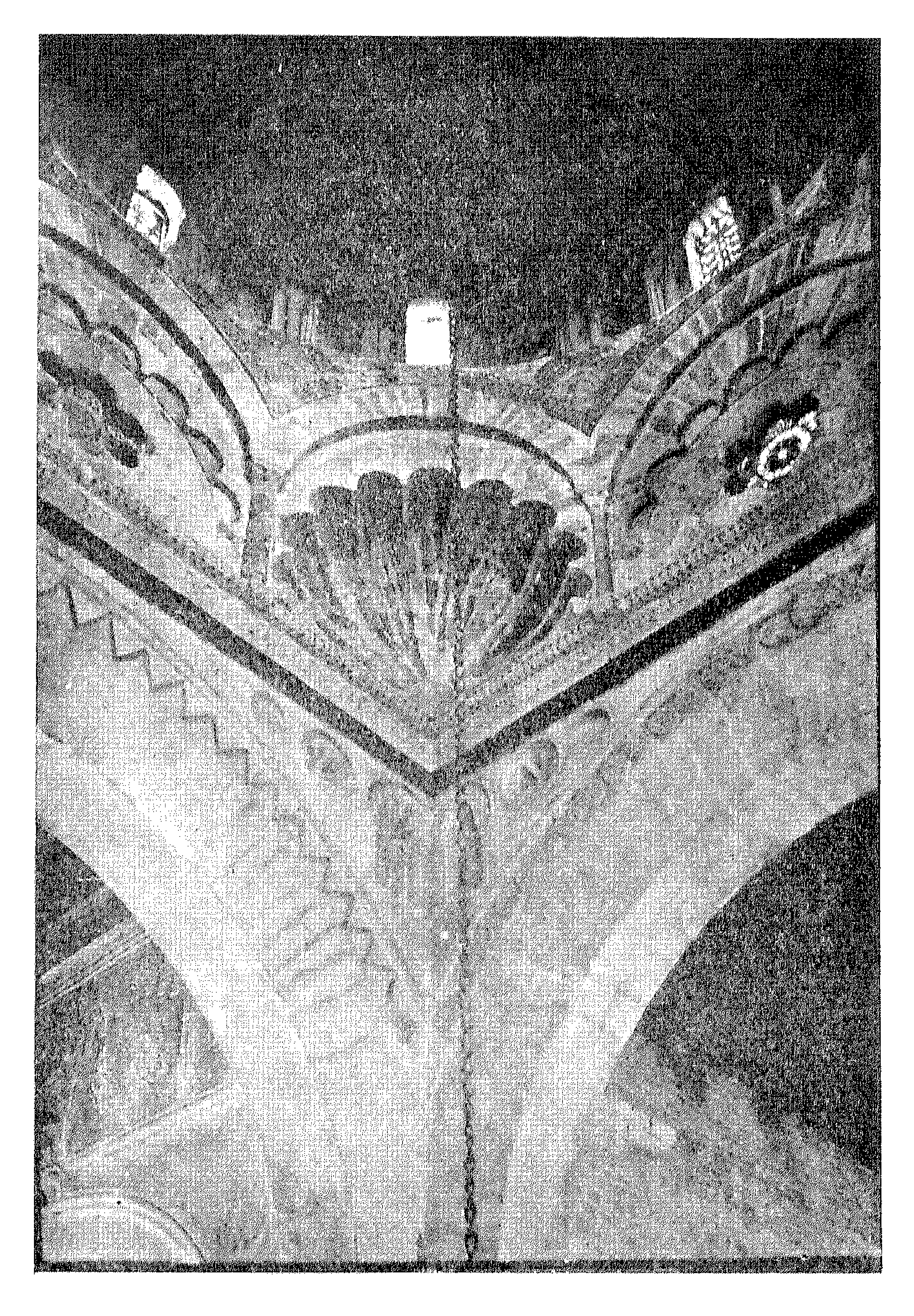
شكل (٥٣)
المسجد الكبير بالقيروان – الواجهة الشمالية الغربية



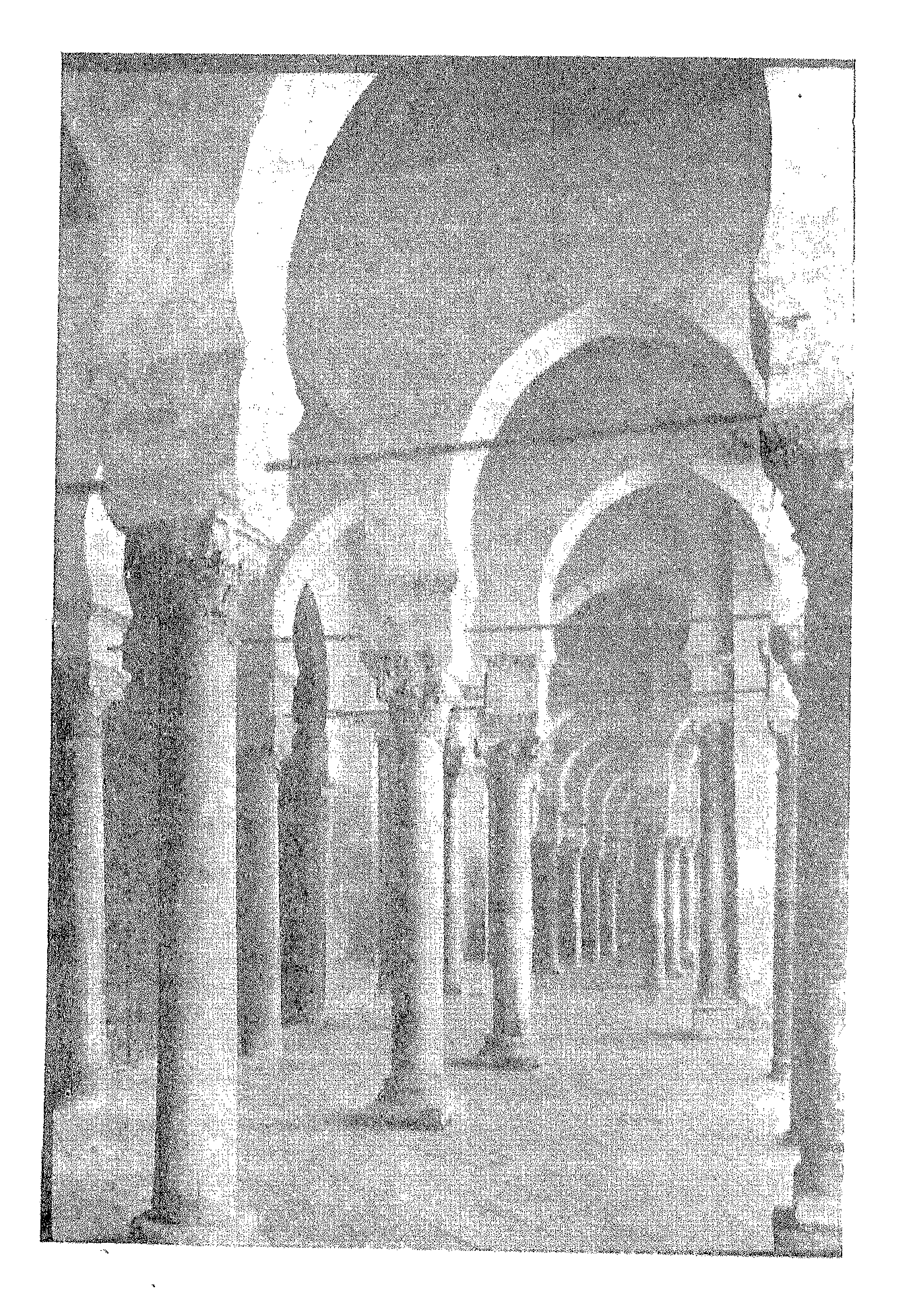
شكل (٥٤)
واجهة رواق القبلة للمسجد الكبير بالقيروان
(عن كريزول)



شكل (٥٥)
القبة التى تعلو المنطقة التى تتقدم محراب مسجد القيروان
(عن كريزول)

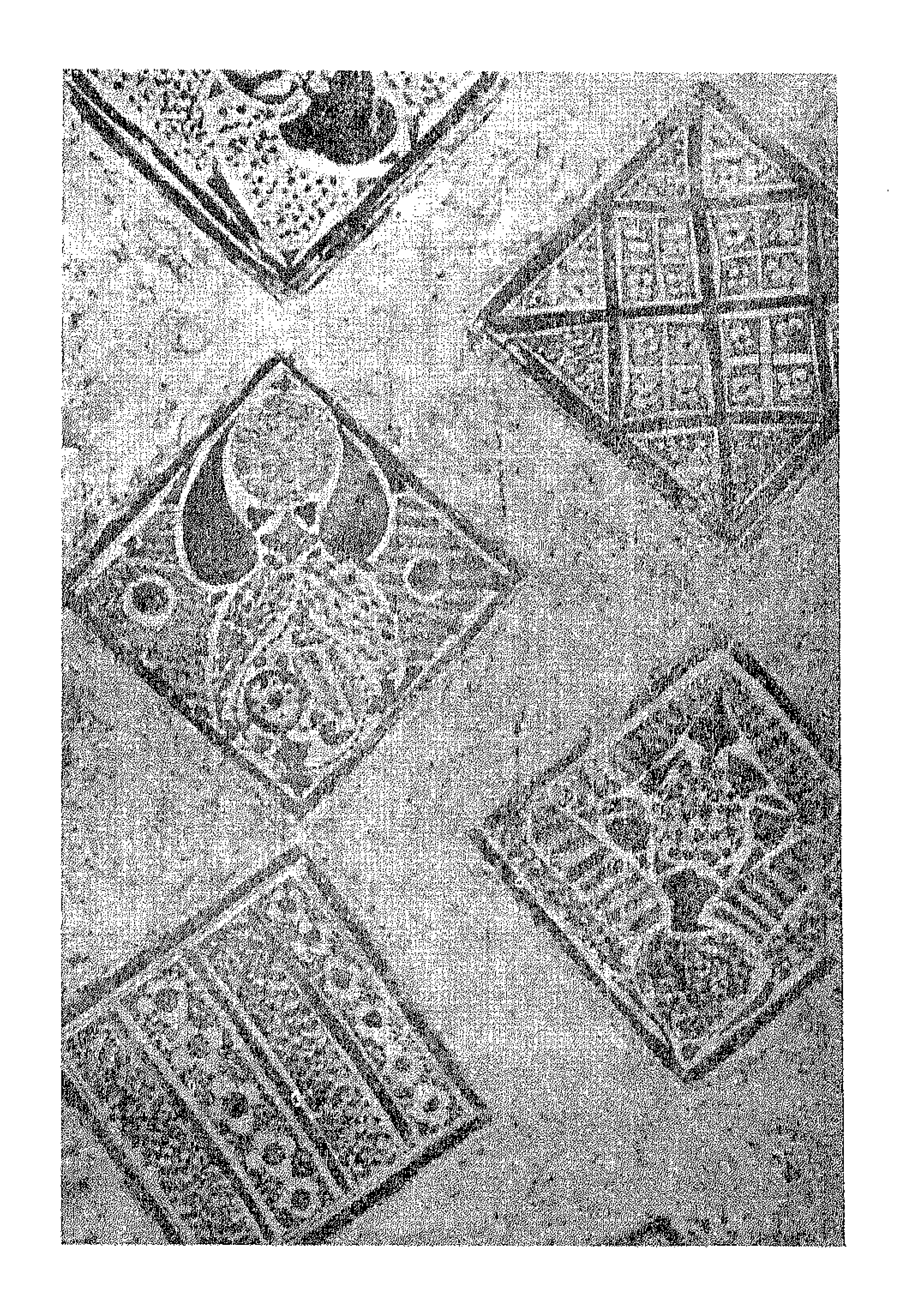


شكل (٥٦)
المسجد الكبير بالقيروان ـ منظر يبين طريقة تركيب القبة من الداخل
(عن كريزول)

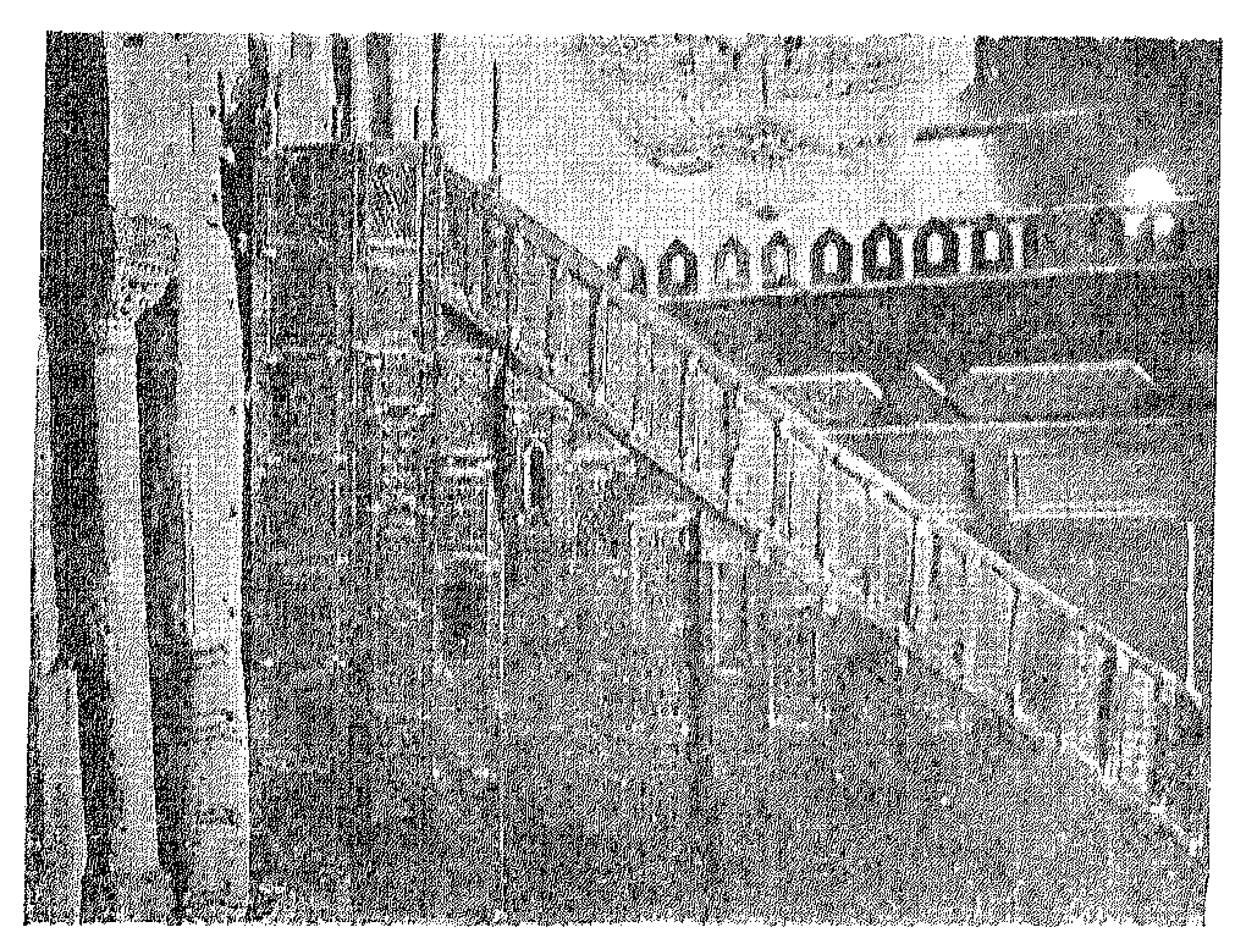


شكل (٥٧)

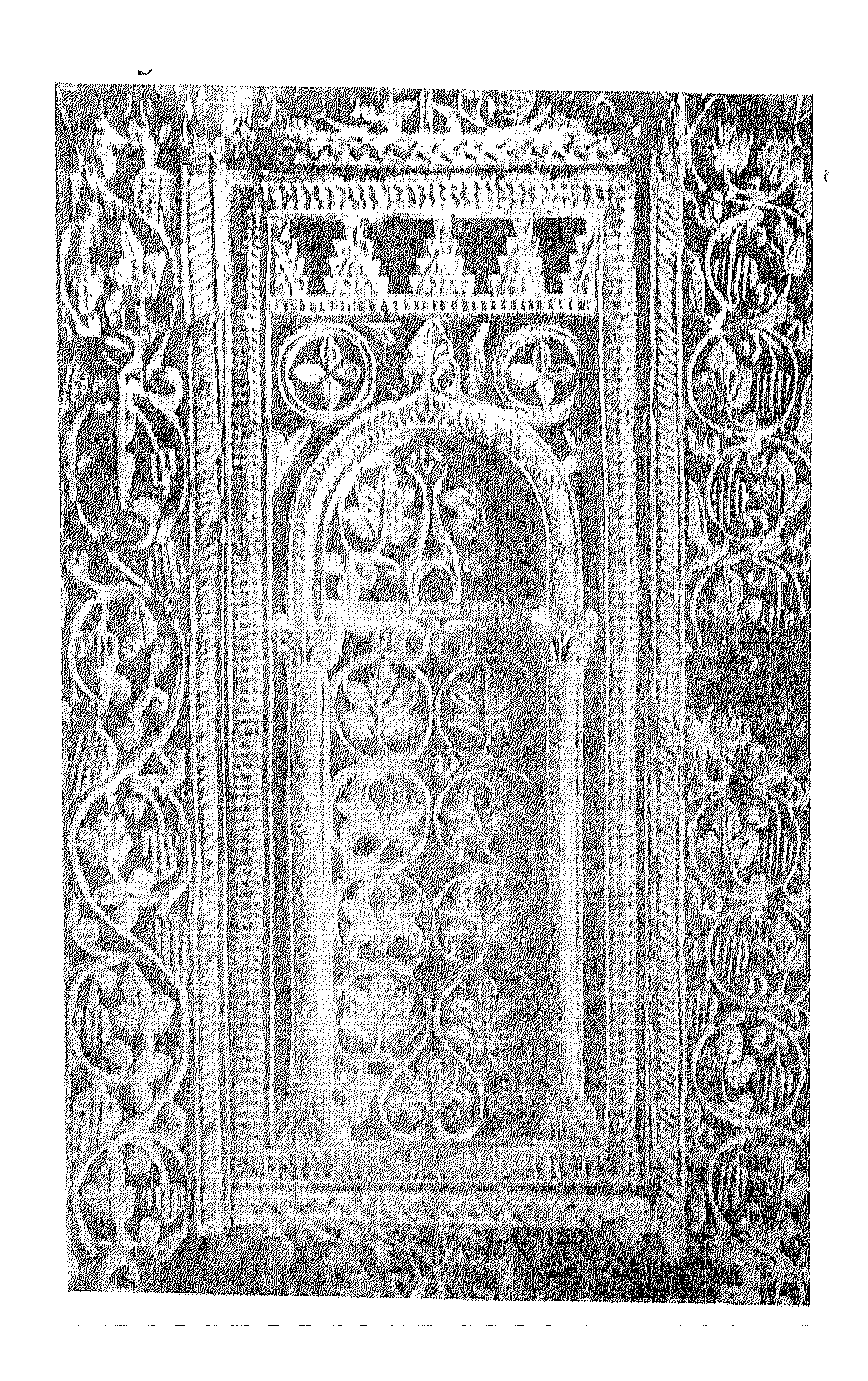
المسجد الكبير بالقيروان ــ بائكات رواق القبلة



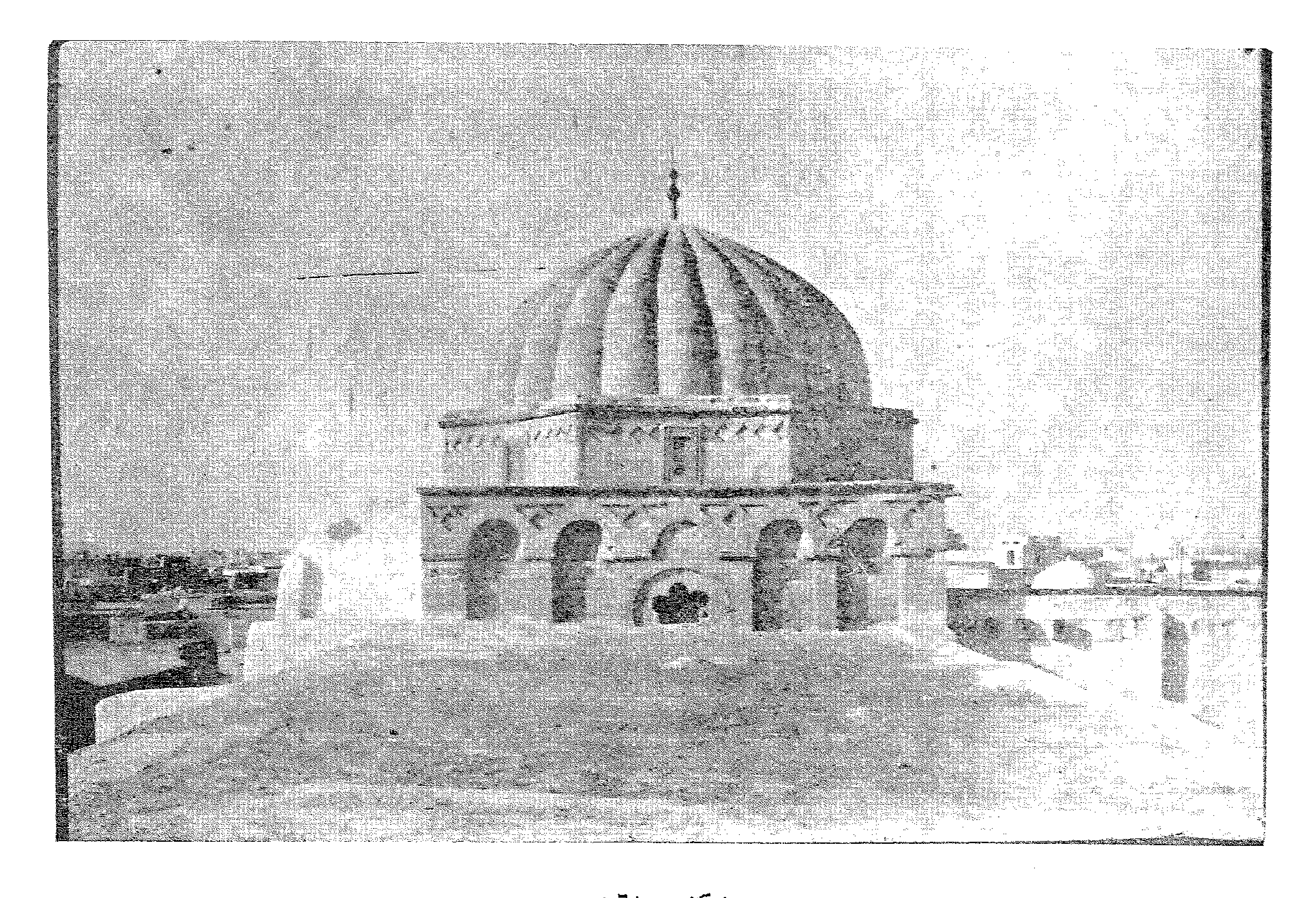
شكل (٥٨)
بلاطات من القاشانى المحيطه بمحراب جامع القيروان



شكل (٥٩)
منبر جامع القيروان وخلفه المقصورة



شكل (٦٠)
حشوة خشبية من منبر جامع القيروان



شكل (٦١)
المسجد الكبير بالقيروان ــ منظر القبة من فوق السطح

٣ ـ قام بعمل منبر جميل للمسجد .
٤ ـ قام ببناء القبة التى تعلو المحراب .

اضافات وأعمال ابراهيم الثانى (ابن أحمد) ،

بدأ حكمه فى عام (٢٦١ هـ ـ ٨٧٥ م) وانتهى فى عام (٢٨٩ هـ ـ ٩٠٢ م) ومن أعماله :

١ ـ زيادة طول البلاطات المكونة لرواق القبلة .
٢ ـ قام بانشاء القبة فى نهاية الممر الأوسط والتى تعرف بقبة باب البهو .
٣ ـ أصبح للمسجد فى عهده عشرة أبواب .
٤ ـ أقام فى الجهة الشرقية لرواق القبلة مقصورة للنساء ويفصلها عن باقى المسجد حاجز خشبى مثقوب بزخارف جميلة يعتبر تحفة فنية نادرة .

الاصلاح الذى تم فى عهد الفاطميين :

وفى سنة ٣٤٥ هـ أمر الخليفة المعز بالقيام ببعض الاصلاحات فى المسجد ـ كما أضاف حاكم افريقية فى أيامه فى سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥/٦ م) بوابات حديدية للمداخل . كما أضاف المعز بن باديس حاكم افريقية فى عهد المستنصر بالله الخليفة الفاطمى فى مصر . مقصورة نفيسة الى المسجد وهى تحمل اسمه ولا تزال موجودة فى المسجد . وقد نادى المعز بن باديس باسم الخليفة العباسى فى خطبة الجمعة بدلا من الخليفة الفاطمى وذلك من فوق جميع منابر افريقية .

وقد أثار المعز القبيلة الهلالية البدوية فأقاموا فى برقة وعبر رجالها النيل لغزو مصر ـ وأقام المعز فى المهدية وخربت مدن افريقية وقد هرب بعض سكان القيروان الى مصر والبعض الى صقلية والأندلس والأخير الى فاس .

اصلاحات أسرة بنى حفص (٦٩٣ هـ ــ ١٢٩٤ م) .

وقد قام المستنصر بالله أبو حفص فى سنة (٦٩٣ هـ ــ ١٢٩٤ م) بعدة اصلاحات لمسجد القيروان وهناك كتابتان تاريخيتان تثبتان ذلك احداهما فوق باب « لله رجانا » والأخرى الى اليمين من أحد الأبواب الجانبية .

وفى عام (١٢٤٤ هـ ــ ١٨٢٨/٩ م) قام « محمد بك مراد » باصلاح القبة عند مدخل رواق القبلة وهذا مثبت فى كتابة تاريخية أيضاً .

وصف مسجد القيروان :

يشغل المسجد مساحة مستطيلة غير منتظمة ، كبيرة الاستطالة ويتجه المحور الرئيسى للمسجد نحو الجنوب الشرقى ولا يتعامد تماماً على حائط القبلة كما أنه لا يمثل محور التماثل الحقيقى للمسقط الأفقى . أما أبعاد المسجد من الداخل فهى : للجانب الشمالى الغربى ٦٠ر٦٥ متراً وللجانب الجنوبى الشرقى ٢٨ر٧٠ متراً والشمالى الشرقى ٨٠ر١٢١ متراً والجنوبى الغربى ٥٠ر١٢٠ متراً .

ويسند الحوائط الخارجية للمسجد ساندات مختلفة الشكل والحجم وهى على أبعاد غير متساوية عن بعضها ــ كما تظهر خمس قباب تعلو سقف المسجد من الخارج وتشاهد المئذنة الضخمة المربعة فى نهاية المحور ــ ويبلغ عدد الأبواب الخارجية الحالية ثمانية أبواب ، أربعة منها فى الجانب الشرقى وأربعة أخرى فى الجانب الغربى للمسجد ويعلو آخر الأبواب الشرقية من الجهة الجنوبية قبة ويعرف هذا الباب باسم « باب لله رجانا » وهو مؤرخ بكتابة تاريخية لأبى حفص فى عام ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) بينما تشاهد الأبواب الثلاثة الأخرى فى نفس الجانب موضوعة داخل تجويف معقود ويكتنفها أعمدة متصلة بالحائط ويرجح انشاؤها فى وقت واحد . أما الأبواب فى الجانب الغربى فيتقدم كل منها بهو أوله من الجهة الشمالية

مغطى بقبة والثانى بقبو متقاطع والثالث بسقف أفقى والرابع تغطيه قبة ويعرف باسم « باب السلطان » وهو يقابل باب لله رجانا (فى الجانب الشرقى) – ويرجح أن يكون انشاؤهما فى نفس التاريخ – كما يرجح انشاء الباب الثالث فى كلا الجانبين من عهد زيادة الله فى عام ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) والغربى منهما مسدود بنافذة مثقوبة والآخر مسدود بحائط – كما يرجح أيضاً وجود باب لدخول امام المسجد فى الجهة القبلية بالقرب من المحراب – وعلى هذا يجب أن يكون عدد الأبواب ١١ باباً منها اثنان أضيفا فى عهد ابراهيم بن أحمد الأغلبى . وبذا يكون العدد تسعة أبواب أصلية فقط . أما رواق القبلة فيتكون من ١٧ بلاطة يفصلها ١٦ بائكة تحتوى كل منها على ٦ عقود مرتكزة على أعمدة من الرخام وهذه البائكات لا تصل الى حائط القبلة بل تنتهى قبلة حيث تقابل بائكة عرضية

وهناك بعض أجزاء من المسجد الحالى تنسب الى « أبى ابراهيم أحمد » فى عام ٢٤٨ هـ (٨٦٢/٣ م) وهذه الأجزاء هى :

١ – المحراب بما يحيط به من بلاطات من القاشانى .
٢ – القبة التى تعلو المحراب
٣ – المنبر الخشبى النفيس .

ومحراب المسجد بعرض ١٫٩٨ متراً وبدخول ١٫٥٨متراً داخل الحائط على شكل تجويف حدوة الفرس ويكتنف المحراب عمودان ، تيجانهما من الطراز البيزنطى – أما تربيعات الرخام الموجودة فى تجويف المحراب فتتكون من أربع مجموعات ، كل منها بها سبعة حشوات ويفصلها ستة أشرطة رأسية فيكون عدد الحشوات ثمانية وعشرين أبعاد كل منها ٤٤ × (٦١ – ٦٨ سم) ، وكلها مثقوبة بزخارف – كما يوجد خلف هذا المحراب حائط من الطوب يظن البعض أن المحراب القديم يقع خلفه . وينسبونه الى عقبة بن نافع فى سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) – ولما كان هذا

١

المحراب ذا تجويف مقعر فلا يمكن نسبته اليه لأن أول مثال من هـذا النوع يرجع تاريخه الى أيام الوليد بن عبد الملك . أما طاقيـة المحراب الحالى فبها زخارف ملونة باللون الأخضر وعليها زخارف .

البلاطات ذات البريق المعـدنى :

ويحيط بالمحراب عدد من بلاطات القاشانى ذى البريق المعـدنى ــ وذلك داخل اطار مستطيل وكل بلاطة ذات مقاس ١ر٢١ سنتيمتراً مربعاً وبسمك سنتيمتر واحد وتحتوى هذه البلاطات على ١٣٩ بلاطة كاملة وحوالى ١٦ جزءاً من بلاطات غير كاملة ــ كما أن البلاطات المكونة للاطار المستطيل موضوعة فى معينات مكونة فى مجموعها شكلا شطرنجيا مائلا ــ والبلاطات من نوعين مختلفين ، سواء فى اللون أو الزخرفة ــ الأولى منهما ذات لون واحد والأخرى متعددة الألوان .

القبـة التى تعلو المحراب :

وترتكز هذه القبة على أربعة عقود ــ ثلاثة منها ظاهرة ورابعهـا مبنى داخل حائط القبلة ــ وطريقة تحويل القبـة من المربع الى الدائرة بواسطة أربعة تجويفات محارية الشكل (سكونشات) ــ وهى تحمـل الرقبة المثقوبة بثمانى نوافذ ، وتعلو الرقبة القبة المضلعة ذات ٢٤ ضلعاً من الداخل ــ أما من الخارج فتظهر القبة على شكل « السنطاوى » ــ ويبلغ قطر القبة من الداخل ٨٠ر٥ أمتار .

الأصول المعمارية : (١) ــ القبةالمضلعة ــ أصلها رومانى وقد وجدت على بعد نحو ١٠٠ ميل من موقع المسجد وذلك فى كنيسـة « كف » والتى تعرف اليوم باسم « دار القوص » (٢) ــ طريقة وضع البلاطات على شكل معينات مائلة ــ أخذت عن العراق كما فى سامرا .

رباط سوسة - (شمال افريقية)

(٢٠٦ هـ - ٨٢١/٢م)

يعرف محلياً باسم « قصر الرباط » وهو على شكل بناء محصن مربع التخطيط مساحته حوالى ٣٩ متراً مربعاً وحوائطه بهـا ثمانية أبراج — أربعة فى الأركان وواحـد فى منتصف كل ضلع من أضلاعه الأربعـة — وكلها نصف دائرية فيما عدا برج المدخل فى الحائط الجنوبى وبرج الركن الجنوبى الشرقى فشكلهما يقرب من المستطيل والأخير استخدم كقـاعدة للمنـار .

والبناء من الحجر فى مداميك أفقية ، ارتفاع كل منها حوالى ٥١ سم كما أن ارتفاع الحوائط عن منسـوب الأرضيـة الحاليـة يبلغ حوالى ٨٫٥٠ أمتار — ويظهر من الكشف عن برج المدخل من الداخل أن بعضه اضافة متأخرة ويتضح ذلك من الكتابة التاريخية التى تعلوه وهى مؤرخة بعـام (١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨ م) ، وبهبوط درج المدخـل ويبلغ حوالى ١٤ درجة ، يصـل الداخـل الى مستوى ٢٫٨٠ مترا أقل من منسوب الطريق الخارجى — ويلاحظ أن بروز البرج القديم يقـابل بروز البرج الجنوبى الشرقى ، وعلى هذا يكون الدرج القـديم مكونا من سـبع درجات فقط .

وقد كان ارتفاع الرباط القديم من الخارج حوالى عشرة أمتـار ، والى يمين ويسار درج المدخل يوجد ارتداد فى الحائط محاط بأعمدة رخامية ملونة وبها تيجان كورنثية ويعلوها كوابيل غريبة الشكل ويخرج منهـا أربعة عقود ، اثنان منها تعلوان الارتدادين الجانبيين والآخران يعبران

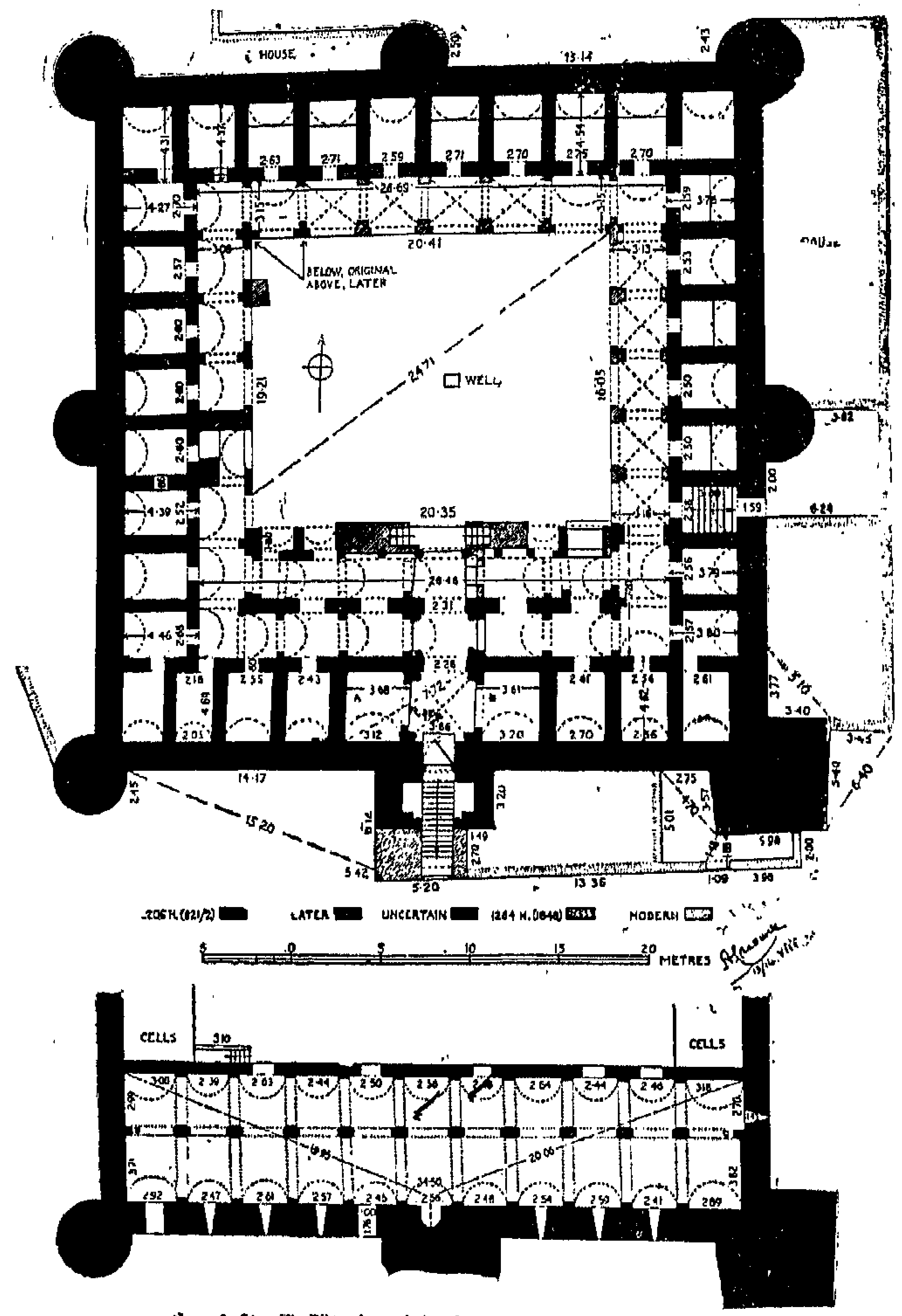


FIG. 156. Sūsa: The Ribāt, plan, and plan of mosque on first floor. Scale 1 : 100.

شكل (٦٢)

رباط سوسه

فوق : المسقط الأفقى للدور الأرضى

تحت : المسقط الأفقى للدور العلوى (المسجد)

سلم المدخل عرضياً . ويلى ذلك ممر مكون من ثلاث بائكات ، يكتنف الأولى من جهتيها غرف مغطاة بأقبية نصف اسطوانيـة للحرس بينمـا الثانية والثالثة يكتنف كل منها من الجهتين دهاليز مغطاة بأقبية .

أما الفنـاء الأوسط فيحيط به من الجهـات الثـلاث الشماليـة والشرقية والغربية سقيفات ذات عقود محمولة على دعائم وكل منها مغطاة بأقبية نصف أسطوانية فيما عدا كل من الجهتين الشمالية والشرقيـة فهما مغطيتان بأقبية متقاطعة ــ وتوجد خلف كل سقيفة غرف مستطيلة مغطاة بأقبية نصف أسطوانية وعددها ٢٦ غرفة وكلهـا عمودية على الحوائط الخارجية ، وليس لها نوافذ على الخارج بل أبواب تفتح على السقيفـات الا غرفتين فى الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى فانهما تفتحان على الغرف المجاورة .

وهناك فتحة فى الجهة الشرقية تؤدى الى درج أمكن منه حسـاب السمك الحقيقى للحـوائط الخارجيـة وهو ١ر٥٩ متراً ، ويبلغ مجموع الغرف التى بالدور السفلى ثلاث وثلاثين وعرضها يتراوح بين (٢ر١٨ ــ ٢ر٧٠ ــ ٢ر٩٠ متراً) واثنتان من هذه الغرف ــ فى الجهة الغربية ــ على اتصال ببعضهما وقد استخدمتا كميضأة ودورة للمياه ــ ويعلو هـذه الغرف فى الطابق العلوى غرف مماثلة فى كل من الجهات الشرقية والشمالية والغربية بينما أصبحت المساحة التى تعلو السقيفات شرفات للغرف ويصل اليها الانسان بدرجين يبدآن من مستوى الفناء الأوسط .

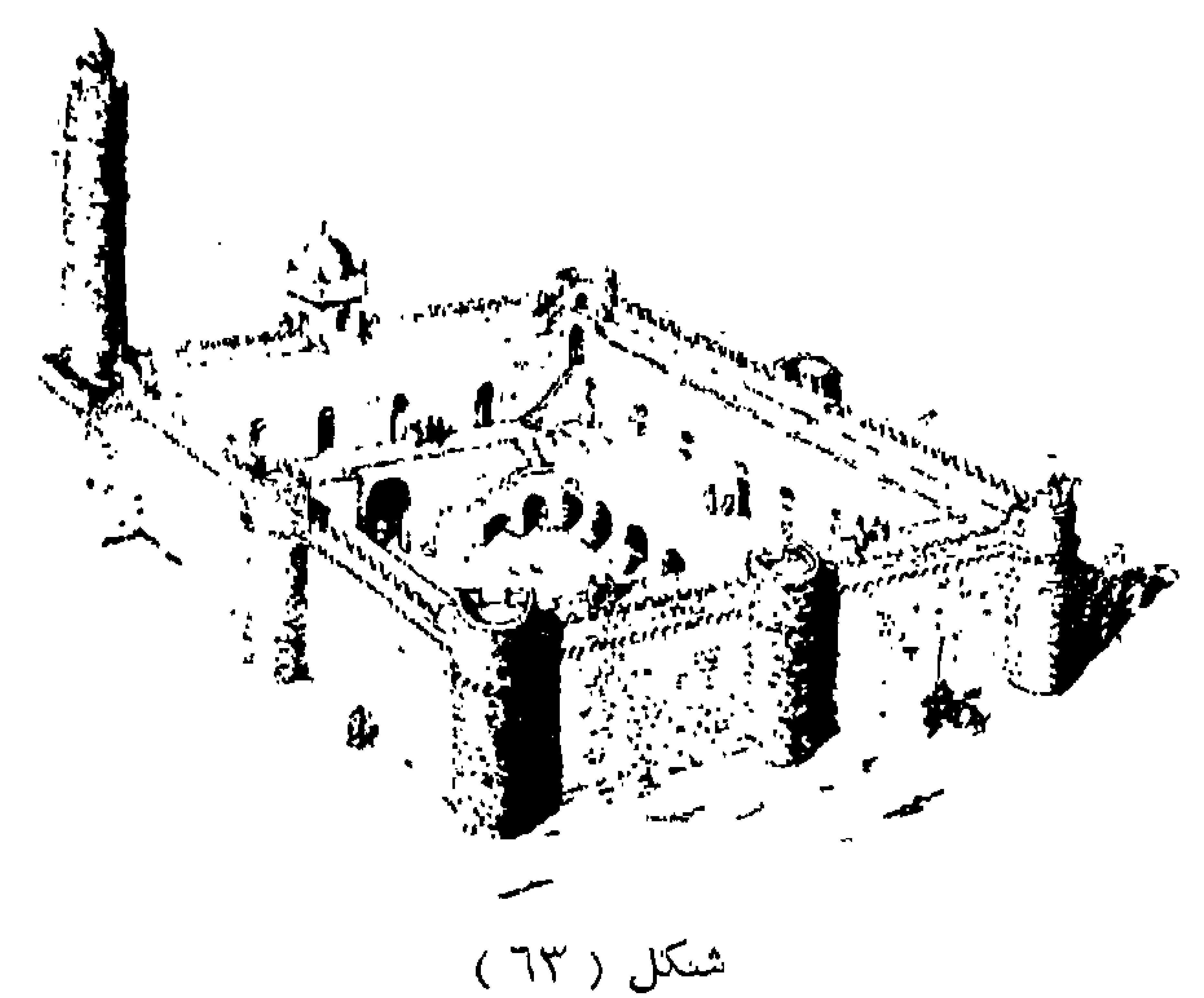
المسجد : ويعلو الغرف من الجهـة القبلية مسـاحة مستطيلة ــ اسـتخدمت كمسجد وهى مكونة من ١١ بلاطة مغطـاة بأقبيـة نصف اسطوانية متعامدة مع حائط القبلة وكل منها مقسم الى قبوين بواسطـة صف من العقود يجرى موازياً للحائط الجنوبى ــ وشـكل العقود يقرب من النصف الدائرى وتبدأ بالقـرب من الأرضيـة ــ وهى ترتكز على

دعائم غير مزخرفة ، ويبلغ ارتفاع العقود المكونة للبلاطات العمودية على حائط القبلة ٥١ر٢ متراً بينما العقود العرضية لحائط القبلة يبلغ ارتفاعها ٨٨ر٣٠ متراً .

ويعتبر تصميم هذا المسجد الأول من نوعه فى شمال افريقية وشوهد بعد ذلك فى مسجد أبى فطاطة بسوسة (٢٢٣ ــ ٦ هـ) (٨٣٨ ــ ٤١ م) ــ ويلاحظ أن المناطق المقبيةالملا صقة لحائط القبلة أطول من الشمالية المكونة للمسجد وذلك لمتابعة الحوائط التى بأسفلها .

ويقع المحراب فى البلاطة الخامسة من الجهة الشرقية وهو فى غاية البساطة ، ويكون سقف المسجد شرفة للطابق العلوى ، ولا توجد شرافات حاليا فقد استعيض عنها بدورة منخفضة ، ويعلو مستوى أرضية الأبراج النصف دائرية حوالى ١/٢١ متراً عن مستوى الشرفة العلوية ــ ويشتمل كل برج على غرفة منخفضة مغطاة بقبو ــ ولا يوجد غير درج واحد فى الجهة الجنوبية الغربية يؤدى الى الشرفة العلوية كما يوجد فى منتصف الحائط الجنوبى فوق المدخل غرفة صغيرة مغطاة بقبو نصف اسطوانى .

المنار : يقع المنار فى الركن الجنوبى الشرقى فوق أرضية تعلو بمقدار ٧٥ سم عن باقى السطح وهو متوج ببرج صغير مربع الشكل لاعطاء الشارات الضوئية ويقوم المنار بوظيفتين رئيسيتين : أولاهما الدعوة للصلاة والثانية لاعطاء الاشارات الضوئية فى المساء ــ ويلاحظ أن الدرج الحلزونى غير مغطى بقبو ويعلو مدخله بلاطة من الرخام بها كتابات تاريخية تدل على أن هذا الأثر واحد من منشئات زيادة الله ــ ابن ابراهيم ومؤرخ بسنة (٢٠٦ هـ ــ ٨٢١/٢ م) وهو ثالث حكام الدولة الأغلبية .



شكل (٦٣)
منظور لرباط سوسه

وقد أشاد البكرى برباط سوسة حيث أنشىء فى الوقت الذى لم تكن لمدينة سوسة أسوار لحمايتها ـــ ووظيفة الرباط فى بداية الاسلام كانت كقلعة محصنة يسكنها المتطوعون والفدائيون للدفاع عن الاسلام كما كان يطلق على المقيمين فيه من المسلمين « المرابطون » ـــ والواقع أن الرباط نوع من المبانى العسكرية كان يسكنـــه المجاهـــدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام بحد السيف ولمـــا زالت عن الأربطة صفاتها الحربية أصبحت بيوتاً للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

جامع أبى فطاطة بسوسة

(٢٢٣ - ٦ هـ) (٨٣٨-٤١ م)

يتوج هذا الأثر كتابة تاريخية تجرى فى شريط بأعلى الواجهة الرئيسية بين شريطين من الحليات الأفقية وهى تدل على أن هذا الجامع قد تم تشييده فى عهد الأغلب بن ابراهيم الذى خلف زيادة الله وهو رابع حكام الدولة الأغلبية التى حكمت من (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ) (٨٣٨ - ٤١ م) .

وتتكون الواجهة من ثلاثة عقود دائرية من نوع نعل الفرس ويبلغ ارتفاع الواجهة من الخارج ٨٧ر٤ أمتار . كما يغطى جزءاً من الكتابة التاريخية درج حديث البناء يؤدى الى السطح والمئذنة ، ويلاحظ أن الواجهة الخارجية غير متماثلة تماما اذ أن الدعامة الموجودة فى الجهة الشرقية أكبر من مثيلتها فى الجهة الغربية - والحائط فى الجهة الغربية أقل سمكا منه فى الجهة الشرقية كما أن العقد الأوسط لاينطبق تماما مع محور قاعة الصلاة .

ويغطى سقيفة المدخل قبو نصف اسطوانى مواز للواجهة الرئيسية وقد أقيم حائط من الحجر الى يمين الداخل لتقوية القبو فى حمل المئذنة التى تعلوه - ويعلو المدخل الرئيسى عتب وعقد عائق نصف دائرى - ويتكون مكان الصلاة من قاعة مستطيلة مقسمة الى ثلاث بلاطات تجرى من الشمال الى الجنوب عموديا على حائط القبلة ويفصلها عرضيا من الشرق الى الغرب صفان من العقود بكل ثلاثة عقود وهى ترتكز على أربع دعامات وثمانية أكتاف حائطية - وشكل العقود الطولية بها ارتداد فى بدايتها كشكل حدوة الفرس بينما العقود العرضية تستمر رأسيا بعد نهاية أقطارها وتبدو كتقوية للأقبية .

وعقد المحراب من نوع نعل الفرس المستدير ويرتكز على أعمدة متصلة بالحائط ولها تيجان فريدة فى شكلها — ولا يوجد داخل قاعة الصلاة سوى ثلاث نوافذ فقط مما جعل القاعة تبدو مظلمة الى حد كبير — وموقع النوافذ الثلاث هى : واحدة فوق المحراب والثانية فى الجهة الغربية فى البائكة الثالثة وتقع النافذة الثالثة فى البائكة الثانية فى الجهة الشرقية .

وقد أضيف جزء حديث للجامع فى نهاية الفناء الخارجى وأصبح ملحقاً بالجامع وهو يتكون من صفين من العقود مكونين للبلاطتين الموازيتين للحائط الجنوبى وينقص الاضافة الجديدة محراب اضافى — وقد تم فتح باب فى الحائط الشرقى الجانبى يصل ما بين قاعة الصلاة والبلاطة الأولى للاضافة الجديدة للجامع .

الأصول المعمارية :

(١) يلاحظ استخدام الأقبية فى تغطية المبانى الأولى فى الاسلام كانت بالترتيب التالى :

أولا — صهريج الرملة — (١٧٢ هـ — ٧٨٩ م) .

ثانيا — قاعة الصلاة فى الدور العلوى لرباط سوسة (٢٠٦ هـ — ٢/٨٢١ م) .

ثالثا — جامع أبى فطاطة بسوسة (٦/٢٢٣ هـ — ٤١/٨٣٨ م) .

(٢) يعتبر هذا الجامع ثانى مسجد أقيم فى شمال افريقية كما أنه يعتبر الأساس الذى أنشىء على نمطه الجامع الكبير بسوسة (٢٣٦ هـ — ١/٨٥٠ م) وذلك من حيث : (أولا) — طريقة ارتكاز العقود على دعائم

متقاطعة متعامدة (ثانيا) ـ شكل الواجهة وتتويجها بكتابة تاريخية متماثلة بالخط الكوفى ـ و (ثالثا) ـ تماثل طريقة تسقيف قاعة الصلاة .

(٣) يعتبر جامع أبى فطاطة الأول من نوعه من حيث طريقة التسقيف بالأقبية النصف الاسطوانية فى شمال افريقيا وكذا الدعائم المتقاطعة المتعامدة التى تحمل عقود منخفضة عرضياً وطولياً .

(٤) يعتبر هذا الجامع أول مثال بعد قبة الصخرة الذى يحوى كتابة تاريخية بحيث تكون عنصراً معماريا وزخرفياً متكاملاً .

(٥) يعتبر هذا المسجد الأول من نوعه أيضاً الذى يحوى السقيفة التى تتقدم المدخل ولعل الوحيد التالى له هو مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م) .

المسجد الكبير بتونس
أو جامع الزيتونة بتونس - (٢٥٠هـ-٨٦٤م)

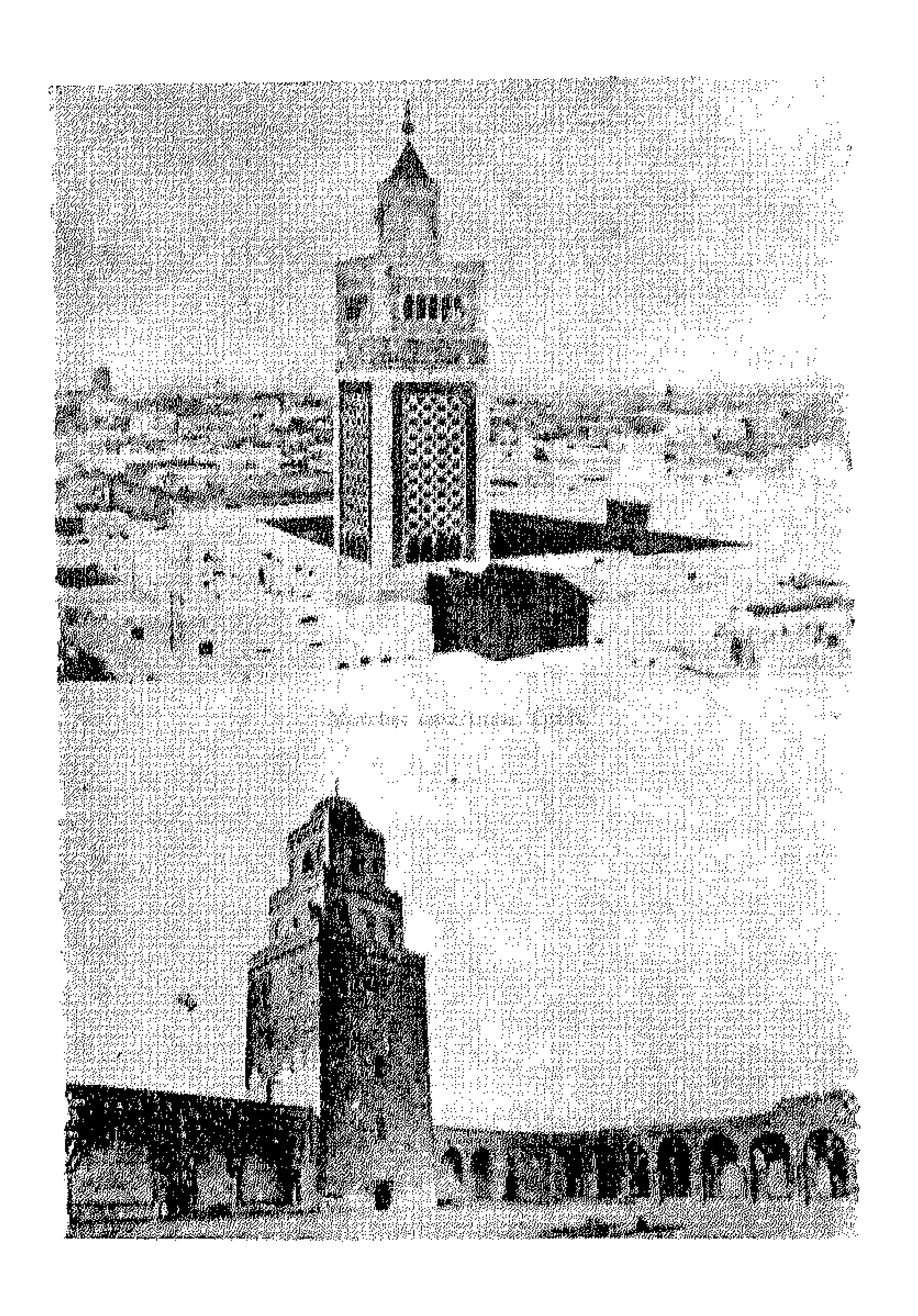
يعرف هـذا المسـجد باسم جامع الزيتونة بتونس حيث ذكر على لسان القيروانى نقلاً عن ابن الشباط وجود شـجرة زيتون فى مكانه فنسب المسجد ليها .

تأسيس المسجد الأول :

وقد ذكر « البكرى » أنه فى سـنة (١١٤ هـ ــ ٣/٧٣٢ م) ــ أنشأ عبيد الله بن الحَبْحَاب المسجد والترسانة فى مدينة تونس ــ كما ذكر أيضاً نقلا عن أبى المحاجر أن حسان بن النعمان غزا افريقية وبنى بها مسجداً ــ كما ذكر القيروانى أيضاً أن ابن الشماع قال ان مسجد تونس كان يطـل على البحـر وقد بنـاه عبيـد الله بن الحبحـاب فى سـنة (١١٤ هـ ــ ٣/٧٣٢ م) وأن حسّان بن النعمان غزا تونس فى سـنة (٨٤ هـ ــ ٧٠٣ م) وأنشأ بها مسجداً وأن بن الحبحاب وسعه ، كمـا زاد فى مساحتـه أيضـاً زيادة الله بن الأغلب وبلغ أكبر مسـاحة فى أيام بنى حفص .. الى أن قال ان حسان بن النعمان غزا تونس وبنى بهـا المسجد ــ أكبر المساجد ــ كان يسمى « جامع الزيتونة » .

وصف المسجد الحـالى :

يشغل المسجد مساحة مستطيلة ومحوره الرئيسى يتجه نحو الجنوب الشرقى ويتكون من : صحن مكشوف يحده من جهة رواق القبلة الذى



شكل (٦٤)
أعلى : مئذنة مسجد الزيتونة بتونس
أسفل : مئذنة مسجد القيروان

يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية بينما يشرف على الصحن من الجهات الثلاث الأخرى سقيفة معقودة ومحمولة على أعمدة مكونة من بلاطة واحدة — وتقع المئذنة الحديثة فى الركن الغربى للمسجد وقد بنيت فى سنة (١٣١٢ هـ — ١٨٩٤/٥ م).

ويشبه رواق القبلة فى هذا المسجد الرواق الموجود فى جامع القيروان غير أن عدد البلاطات المكونة لرواق القبلة ١٥ بلاطة بينما فى القيروان ١٧ بلاطة — والبلاطات الموجودة فى جامع الزيتونة تفصلها بائكات عددها ١٤ تتعامد مع حائط القبلة وكل منها مكونة من ستة عقود — وهذه البائكات لاتصل الى حائط القبلة بل تقف عند بائكة أخرى تجرى موازية لحائط القبلة — وبالمثل من جهة الصحن تقف عند بائكة مماثلة وموازية للأخيرة — وعلى الجهة الخارجية المقابلة للصحن توجد كتابات قرآنية بالخط الكوفى كما هو الحال فى المسجد الكبير بسوسة.

والبائكات المكون كل منها من ستة عقود تقطعها عرضياً بائكة تربطها ولا تمر فى البلاطة الوسطى الكبيرة الواقعة على محور المسجد؛ والأخيرة يكتنفها أعمدة أضخم وأعلى من الأخرى المكونة لرواق القبلة — والأعمدة من طرز مختلفة وقد أخذت من مبان قديمة وكلها من الرخام الأبيض اللون فيما عدا الموجودة بالبلاطة الوسطى فهى من الرخام الأحمر اللون — أما الأعمدة الحاملة للقبتين فهى من ألوان متعددة.

القبتان : توجد قبتان برواق القبلة :

(١) الأولى تعلو المربع أمام المحراب.

(٢) والثانية تشغل المنطقة المربعة فى نهايته البلاطة الوسطى الملاصقة لصحن المسجد وهى من تاريخ متأخر.

أما العقود التى تحمل رواق القبلة فهى من النوع المعروف بنعل الفرس الدائرى ـ وتجرى حول العقود من كلتا الجهتين كتابات تاريخية بالخط الكوفى ـ وطريقة تحويل القبة من المربع الى الدائرية بواسطة أربعة محاريب محارية تعلوها رقبة مشمنة مثقوبة بنوافذ معقودة والصنجات المكونة للعقود ملونة باللونين الأسود والأبيض بالتبادل . أما القبة نفسها فهى مضلعة وتشبه الموجودة فى جامع القيروان ـ ووجه الشبه هذا يحدد تاريخها ويثبت أنها من أعمال أبو ابراهيم احمد الأغلبى فى عام (٢٤٨ هـ ـ ٨٦٢/٣٣ م) .

وتجويف المحراب فى قطاعه الأفقى على شكل نصف دائرة مركزها مرتد عن واجهة الحائط وشكل عقد المحراب الخارجى من النوع المعروف بنعل الفرس الدائرى وهو يرتكز على زوجين من الأعمدة الرخامية ويحد عقد المحراب اطار مكون من مستطيلين مرتدين عن واجهة الحائط ـ ومنبر المسجد من الخشب يجرى على عجلات ويحفظ فى غرفة صغيرة تقع الى يمين المحراب ويجر لداخل المسجد فى مواعيد صلاة الجمعة من كل أسبوع ـ كما هو الحال فى مسجد سوسه .

وجملة أبواب المسجد عددها ١٣ باباً منها اثنان بجوار المحراب فى الجهة الجنوبية أحدهما الى يمينه ويؤدى الى الغرفة المحفوظة بداخلها المنبر ـ والآخر الى يسار المحراب ومنه يدخل الخطيب فى مواعيد صلاة الجمعة ـ أما الجانبان الغربى والشمالى فبكل منهما ثلاثة أبواب بينما يوجد بالجانب الشرقى خمسة أبواب خامسها من الجهة الجنوبية مسدود بالمبانى .

تاريخ المسجد : وأقدم الكتابات التاريخية تشاهد على مربع أسفل القبة التى تعلو المحراب وهى مؤرخة بعام (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤/٥ م) ـ ومن المصادر التاريخية يتضح أن حكم المستعين بالله كان ما بين عامى (٢٤٨ ـ

٢٥٢ هـ) (٨٦٢ ــ ٨٦٦ م) وفى أيامه ولى حكم افريقية أبو ابراهيم أحمد الأغلبى الذى توفى فى سنة٢٤٩هـ ثم خلفه زيادةالله‌الثانى الذى توفى فى‌عام (٢٥٠ هـ ــ ٨٦٤ م) . ومن ذلك يتضح أن العمل فى المسجد بدأ فى أيام أبو ابراهيم أحمد وانتهى فى عهد زيادة الله الثانى . وجملة القول أن مسجد تونس بنى على غرار مسجد القيروان ولو أنه بمقياس أصغر ويعتبر المسجد الثالث فى العالم الاسلامى الغربى . وبذا تكون المساجد الثلاثة الكبيرة هى على الترتيب :

١ ــ مسجد قرطبه (١٧٠ هـ ــ ٧/٧٨٦ م) .
٢ ــ « القيروان (٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م) .
٣ ــ « تونس (٢٥٠ هـ ــ ٨٦٤ م) .

——ooOoo——

المسجد الكبير بسوسه
(٢٣٦ هـ ــ ٨٥٠/١ م)

يقع هذا المسجـــد فى جزيرة بالقرب من « باب البحر » فى الركن الشمالى الشرقى لمدينة « سوسه » ــ ويكون التخطيط العام للمسجد بالزيادتين شكلا متعدد الأضلاع يبلغ حوالى ٩٠×٦٠ متراً بحيث يتجه محوره الطويل من الشرق الى الغرب . أما التخطيط الأفقى للمسجد بدون الزيادتين فهو على شكل مستطيل منتظم أبعاده ٣٩ر٤٩×١٦ر٥٧ متراً ــ ويؤدى المدخلان اللذان يستخدمان يومياً الى الزيادة الغربية للمسجـــد التى يصل اليها المصلون بهبوط عدة درجات عند المدخلين ، اذ أن مستوى الطريق الخارجى المحيط بالمسجد أعلى بمقدار متر عن منسوب المسجـــد الداخـــلى .

أما الزيادة الغربية فتتكون من فناء مستطيل يحده من الجهة الغربية سقيفة مغطاة بأقبية متقاطعة ومرتكزه على دعائم كما يوجـــد فى الجهتين الشمالية والجنوبية دورات للمياه مغطاة بأقبية متقاطعة أيضاً ــ وهنـــاك ثلاثة أبواب تؤدى من فناء الزيادة الغربية الى الرواق الغربى للمسجد ــ ويعلو هـذه الأبواب الثلاثة أعتاب وعقود عاتقة على شكل حدوة الفرس .

وصحن المسجد على شكل مستطيل ٤١×٢٥ر٢٢ متراً وتحيطه عقود مستديرة قريبة من شكل حدوة الفرس ، ومرتكزة على دعامات على شكل حرف (تى بالانجليزية) . ويبلغ عدد العقود فى كل من الجهتين الشماليـــة والجنوبية المشرفة على الصحن ١١ عقداً بينما يبلغ عددها فى كل من الجهتين

الشرقية والغربية ستة فقط . وتشبه هذه العقود مثيلاتها الموجودة فى « أبى فطاطة » بسوسه . كما يوجد أيضاً شريط فى افريز الكورنيش العلوى به كتابات من الخط الكوفى (دهنت أخيراً باللون الأسود) . وقد أضيفت سقيفة فى عام (١٠٨٦ هـ — ١٦٧٥ م) فى الجهة الجنوبية تؤدى الى رواق القبلة للمسجد . وترتكز عقود السقيفة الأخيرة على أعمدة بدلاً من الدعامات الموجودة فى باقى الصحن . ويغطى الأروقة المشرفة على الصحن سقفاً أفقياً به ميل بسيط يساعد على تصريف مياه الأمطار الى صحن المسجد داخل مواسير معدنية مغطاه بطبقة من الملاط . وهذه تؤدى الى صهاريج موجودة تحت أرضية الصحن . وهناك باب الرواق الشمالى يصعد اليه بواسطة درج ومنه الى الطريق العام ، بينما يوجد مدخلان فى الرواق الشرقى يؤديان الى الزيادة الشرقية للمسجد .

وينتهى رواق القبلة بعقود مجموعها ١٣ عقداً — منها ١١ عقداً تفتح على الصحن واثنان منها يفتحان على الرواقين الجانبيين (الشرقى والغربى) وبعض هذه العقود قد سدت بالحوائط ولم يبق منها مفتوحاً الا ٧ عقود فقط يدخل منها الى رواق القبلة . ويتكون رواق القبلة من ١٣ بلاطة يفصلها ١٢ بائكة يتكون كل منها من ٦ عقود تجرى من الشمال الى الجنوب. ويتعامد مع البائكات ستة أخرى تقطع الأولى من الشرق الى الغرب ، ويحملها جميعاً دعامات مصلبة القطاع وجميع العقود المكونة لرواق القبلة على شكل حدوة الفرس — ونصف الرواق المجاور للصحن مغطى بأقبية نصف اسطوانية بينما النصف الآخر من جهة حائط القبلة مغطى بأقبية متقاطعة . كما تنتهى البلاطة الوسطى (المجاز) فى النصف الأول من رواق القبلة بقبة تظهر من الخارج على شكل منطقة مربعة تعلوها رقبة مثمنة ثم قبة نصف كروية ، ومن الداخل قد سدت بسقف خشبي مزخرف بزخارف هندسية ويحيط به شريط من الكتابة تحمل اسم الحاكم العثمانى وهو مطعم بالصدف .

وسقف الأقبية المتقاطعة فى النصف الثانى من رواق القبلة أعلى من النصف الأول ، وتنتهى البلاطة الوسطى بمحراب المسجد حيث يشاهد فوق المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب ، قبة أخرى تشبه الأولى الا أنها لا تحوى الرقبة المثمنة .

والمحراب مزخرف بكتابة فاطمية الطراز مما يدل على أن هذه الاضافة الثانية لرواق القبلة قد تمت فى القرن الثانى عشر أى فى العصر الفاطمى . والى اليمين من المحراب يوجد باب يؤدى الى غرفة بها منبر يجرى على عجلات (من الطراز المغربى) ، ويوجد مثله فى مسجدى تونس والجزائر (٤٩٠ هـ — ١٠٨٢ م) ، ويوجد باب فى الزيادة الغربية للمسجد ، يفتح على رواق القبلة .

وفى الركن الشمالى للمسجد برج كبير مستدير تعلوه منطقة يصعد اليها بدرجين من فوق سطح الرواقين الشمالى والشرقى . ويعلو المثمن قبة مستديرة . ومن سطح المسجد يمكن دخول غرفة مستديرة أسفل المنطقة المثمنة (وهى بمستوى السطح) ، ومن وجه الشبه بين هذا البرج المستدير وبرج « رباط سوسه » وذكر البعض أنه كان بمثابة مئذنة للمسجد ، الا أن وجود المنطقة المثمنة ينفى هذا الزعم .

——ooOoo——

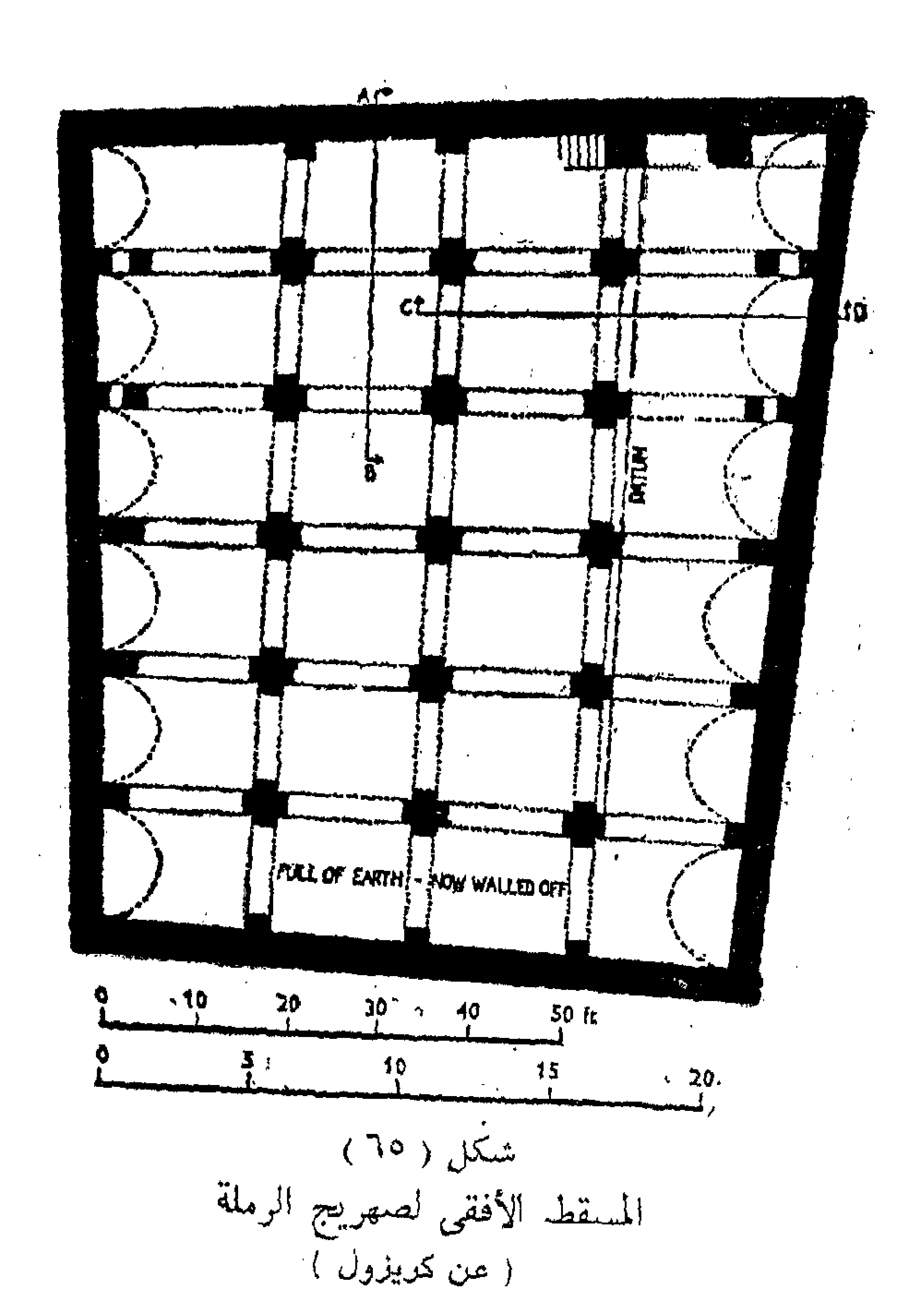
صهريج الرملة (بفلسطين)

(١٧٢ هـ - ٧٨٩م)

يعرف محليا باسم « بئر العنيزية » ويقع على بعد نحو نصف ميل جنوبى غربى مدينة الرملة بفلسطين على الطريق الموصل ما بين يافا وبيت المقدس — ويتكون من بئر محفور تحت الأرض وبه حوائط ساندة قوية . ومقسم داخلياً الى ست بلاطات بواسطة خمس بائكات كل منها مكنة من أربعة عقود تجرى من الشرق الى الغرب وترتكز على دعائم مصلبة القطاع وبذا يصبح تخطيط المسقط الأفقى على شكل الشطرنج — والتخطيط العام على شكل رباعى غير منتظم وفيه يلاحظ أن الجانبين الشمالى والجنوبى غير متوازيين ، والدعائم متوجة بحلية بسيطة .

أما العقود التى تحمل البائكات فكلها مدببة الشكل والبعد بين مركزى العقد (من $\frac{1}{7}$ الى $\frac{1}{5}$ البحر) وتحمل البائكات أقبية نصف اسطوانية تجرى من الشرق الى الغرب وتدعمها ثلاث بائكات تتجه من الشمال الى الجنوب . ويوجد درج فى الركن الشمالى الشرقى للبئر ويلاصق الجدار الشمالى ويؤدى من الخارج الى داخل البئر — ويرتكز هذا الدرج على عقدين مقوسين اقتصاداً فى المبانى — ويظهر أحدهما على شكل دعامة طائرة .

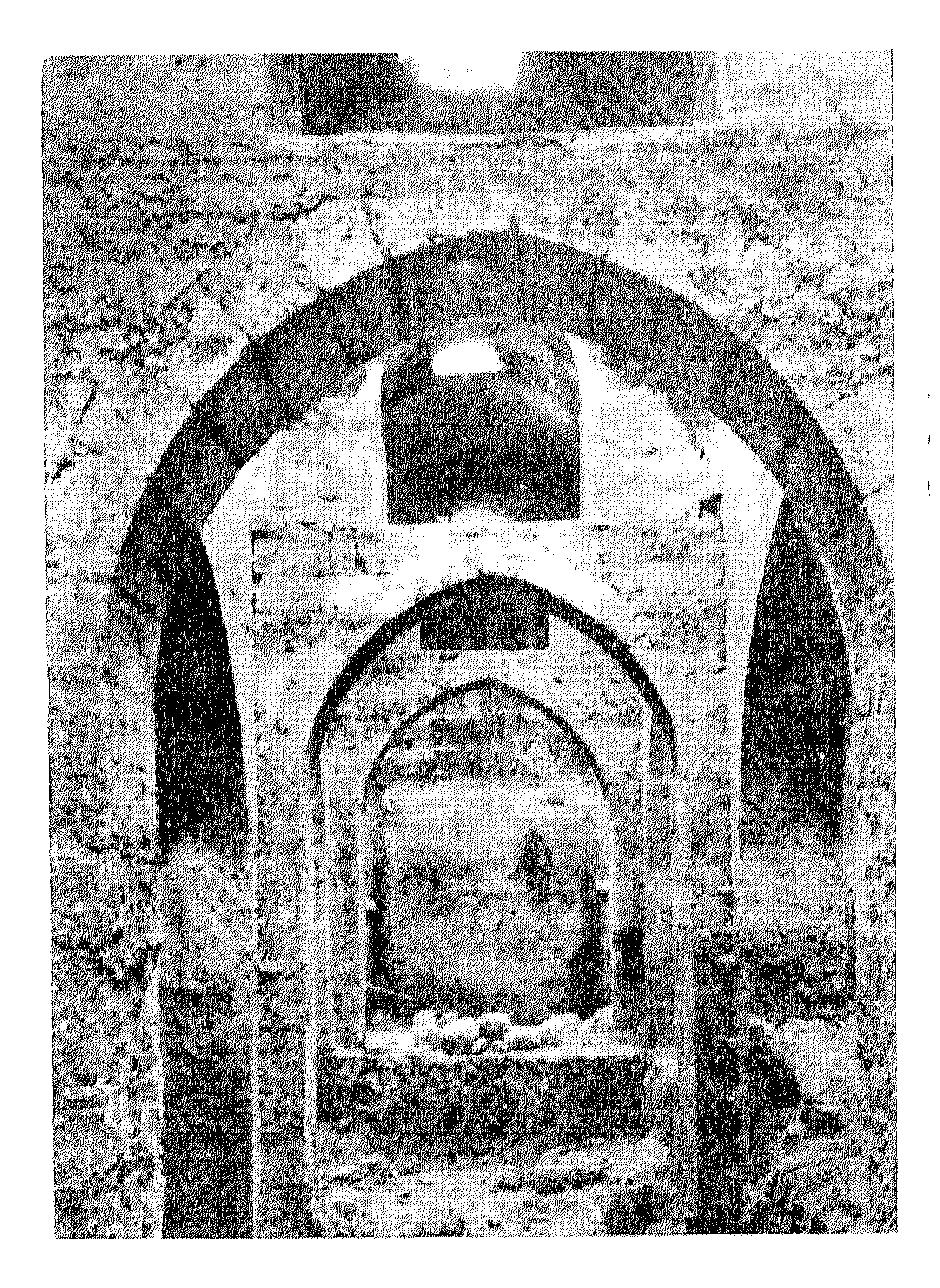
وقد كان من الممكن سحب الماء الى الخارج عن طريق هذا الدرج ، غير أنه توجد فتحات علوية مشقوبة فى الأقبية أبعاد كل منها ٥٥ سم×٥٥سم وعددها أربعة وعشرون تمكن لعدد مماثل من العمال سحب الماء فى نفس الوقت من الداخل الى أعلى بواسطة دلاء مربوطة بالحبال .



شكل (٦٥)

المسقط الأفقى لصهريج الرملة

(عن كريزول)



شكل (٦٦)
منظور يبين العقود المكونة لصهريج الرملة .
(عن كريزول)

والبئر مبنية من الحجارة المنتظمة المداميك واللحـامات وتغشيها من الداخل طبقة سميكة من الأسمنت ، كما توجد كتابة تاريخية تقابل صدفة الدرج وهى مؤرخة بعام ١٧٢ هـ (أى ٧٨٩ م) وتحمل اسم أمير المؤمنين ، وهذا التاريخ يعود بنا الى حكم هارون الرشيد فى ذلك الوقت .

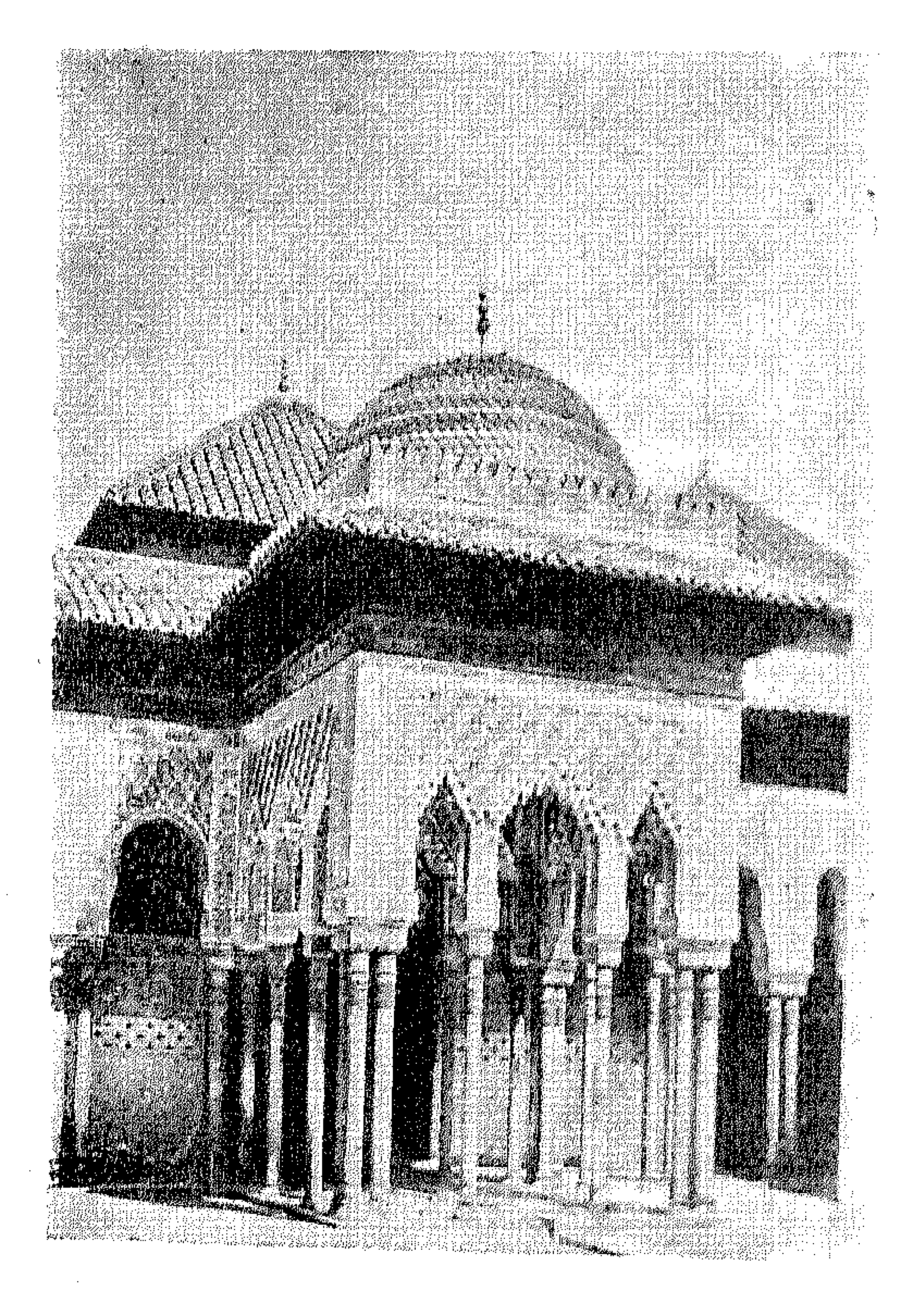
ويعتبر هذا الصهريج الأثر العباسى الوحيد فى فلسطين كما أنه يعتبر أقدم مثال استعمل فيه العقد المدبب فى مشروع لحفظ المياه .

قصور الأندلس

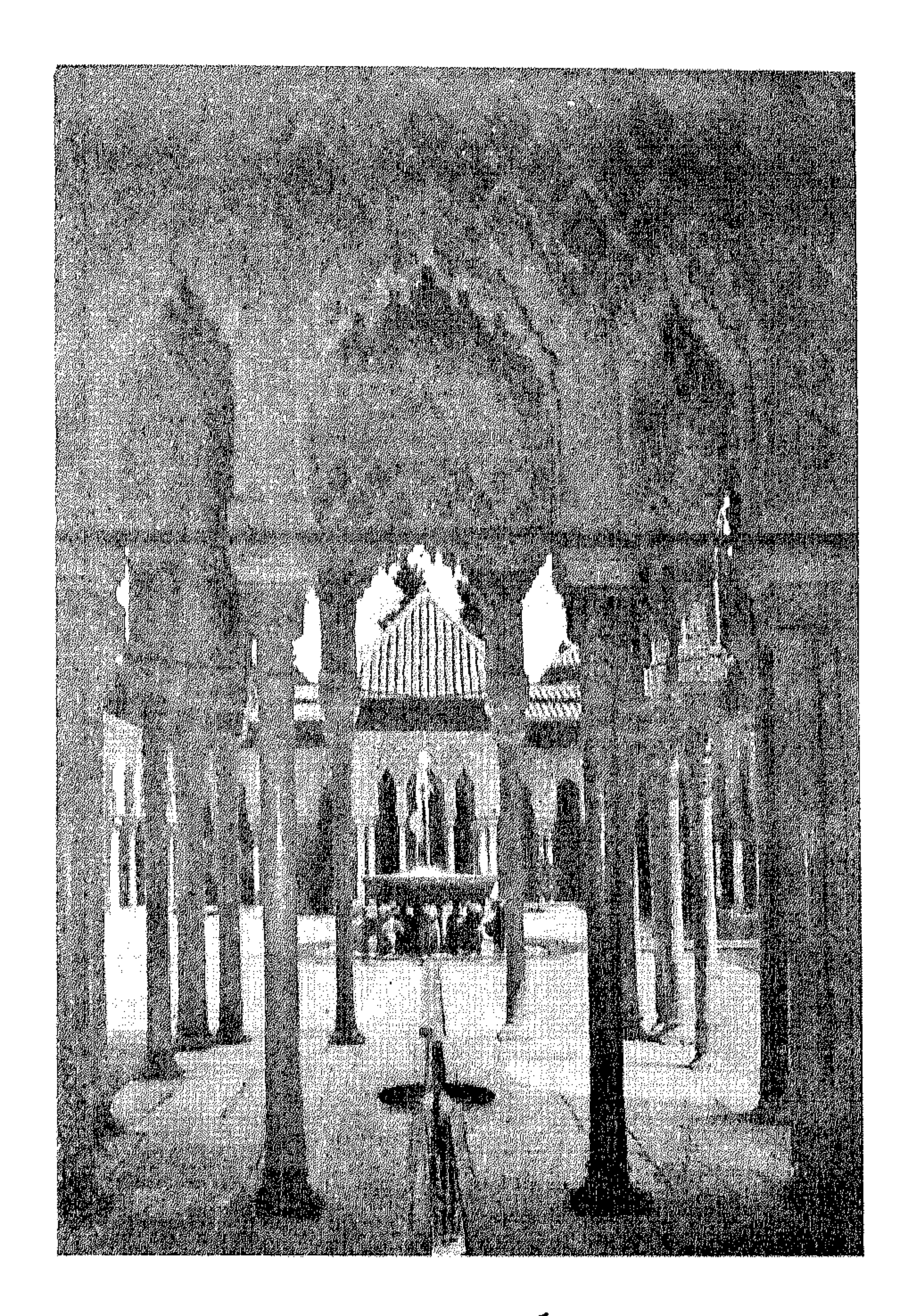
كانت الزعامة الثقافية في بلاد المغرب للأندلس في عصر الدولة الأموية الغربية ، ثم انتقلت الى مراكش حين ضم المرابطون بلاد الأندلس الى سلطانهم في سنة (٤٨٣ هـ — ١٠٩٠ م) . وكان المرابطون أهل بساطة وتقشف فلم يزدهر الفن في أيامهم ثم خلفهم الموحدون حيث قام على أيديهم الطراز المغربي الأندلسي في منتصف القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي ثم أخذ في الازدهار حتى بلغ عظمته في قصر الحمراء بغرناطه في (القرن ٨ هـ — ١٤ م) وتوقف تطوره منذ القرن التالي الا مراكش التي استمر فيها وحافظت على تراث الصناع المسلمين في العصور الوسطى . وكانت أهم المراكز الفنية في هذا الطراز المغربي اشبيلية وغرناطه ومراكش وفاس .

ولعل أجمل مثال لقصور ملوك الأندلس هو قصر الحمراء واسمه مشتق من « بني الأحمر » وهم بنو نصر الذين حكموا غرناطه بين (٦٢٩ — ٨٩٧ هـ) (١٢٣٢ — ١٤٩٢ م) ، وقد تكون التسمية أصلها التربة الحمراء التي يمتاز بها التل الذي شيد عليه القصر . أو لأن جزءاً من القلاع المجاورة لقصر الحمراء كان يعرف في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) باسم « المدينة الحمراء » .

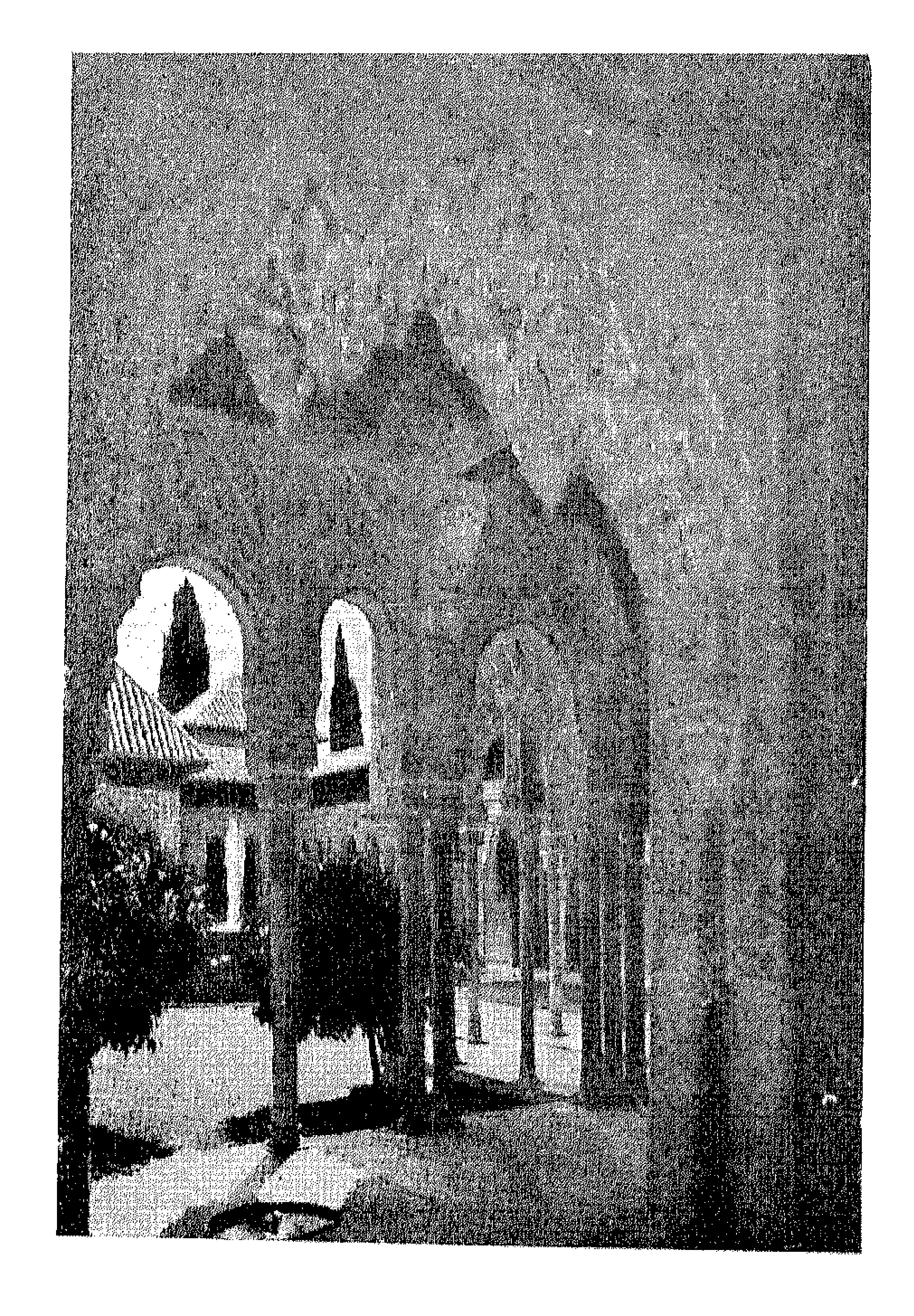
وقد بدىء في تشييد هذا القصر في (القرن ٧ هـ — ١٣ م) وترجع بعض أجزائه الى القرن التاسع ولكن معظمها يرجع الى (القرن ٨ هـ — ١٤ م) .وقوام هذا القصر ثلاثة أقسام : الأول هو « المشور » الذي يعقد فيه الملك مجلسه والثاني قسم الاستقبالات الرسمية ويشمل الديوان وقاعة العرش والثالث قسم الحريم ويضم المساكن الخاصة بالملوك ونسائهم.



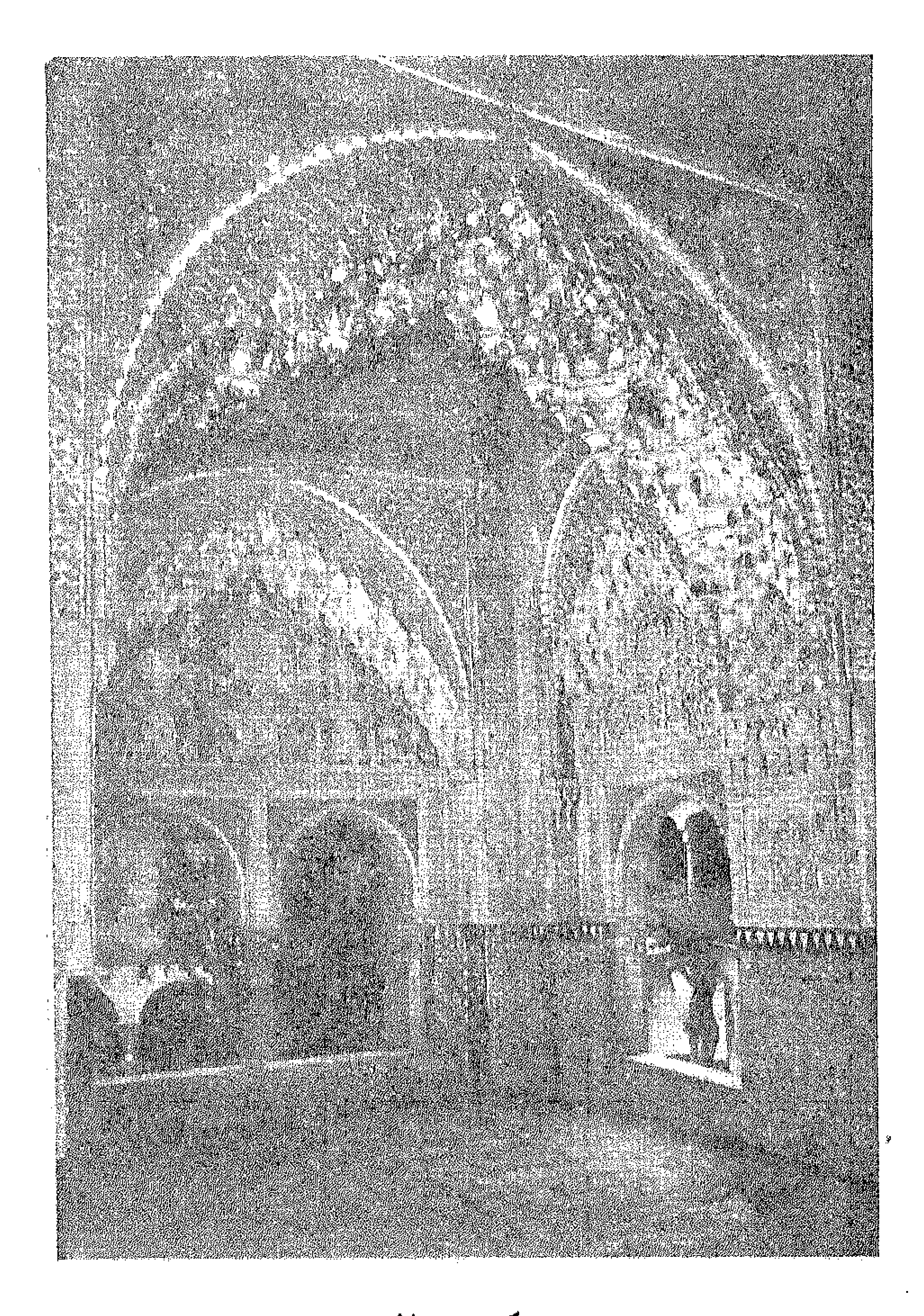
شكل (٦٧)
أحد مداخل قصر الحمراء بغرناطة



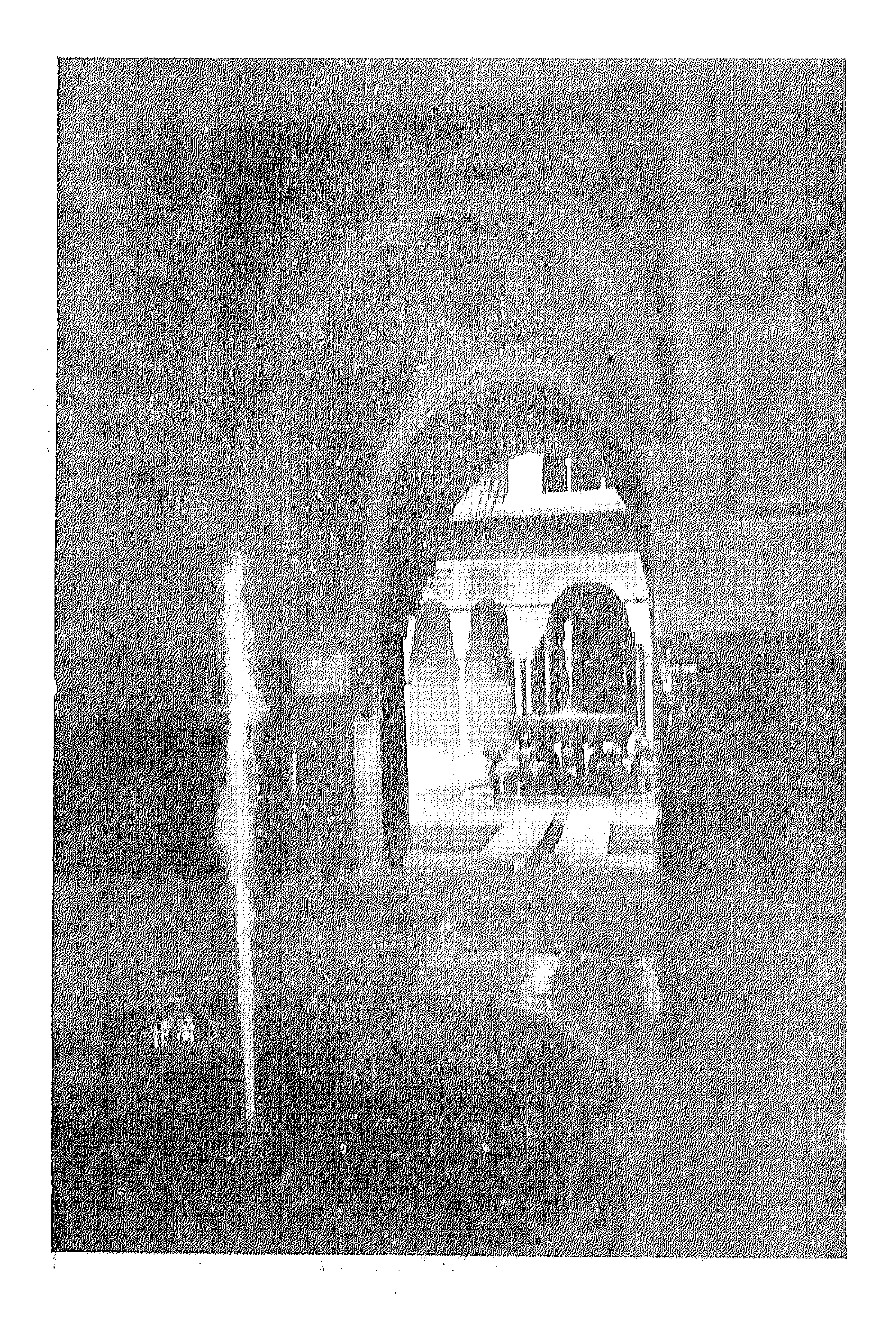
شكل (٦٨)
صحن السباع بقصر الحمراء بغرناطة



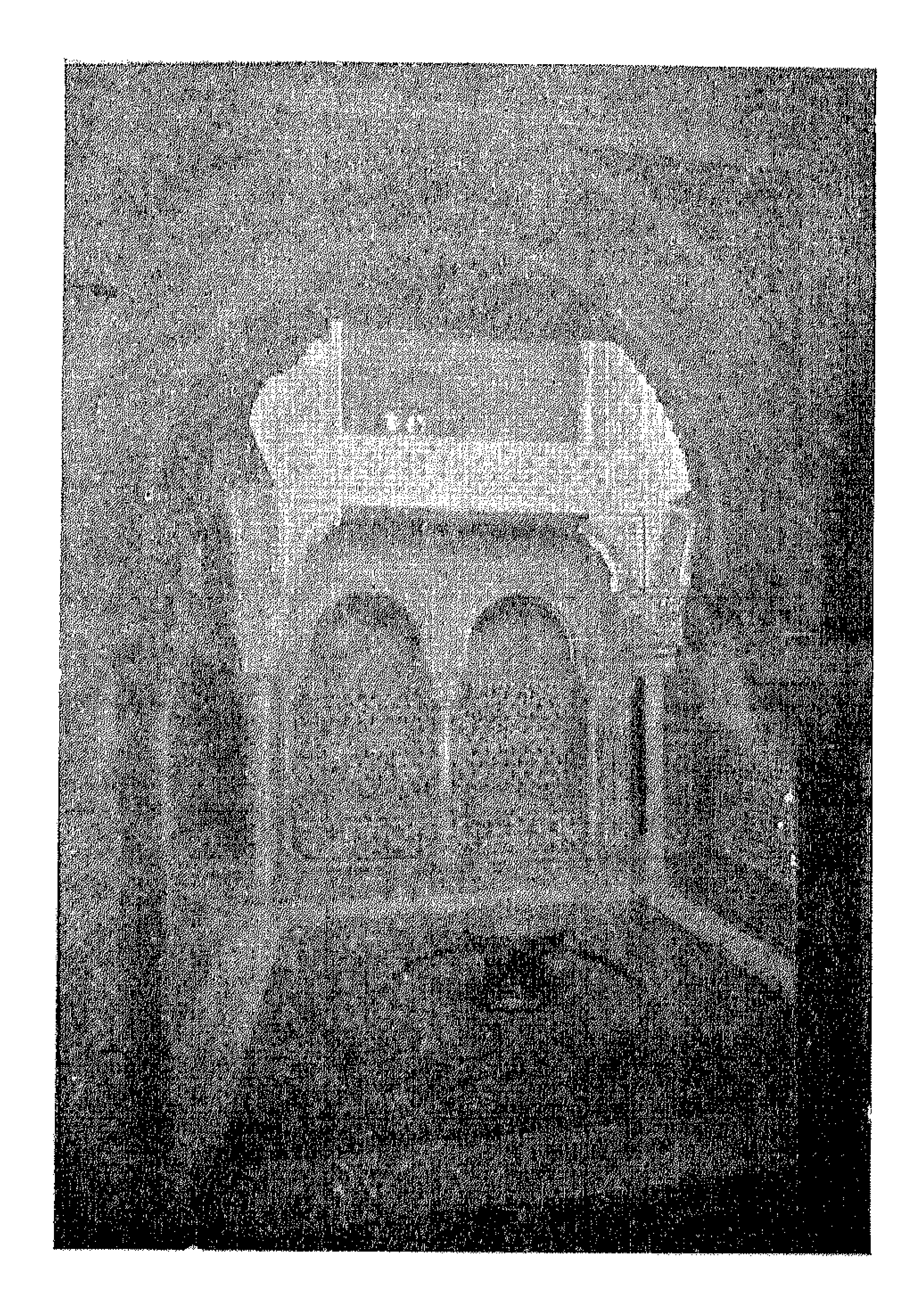
شكل (٦٩)
الأعمدة والعقود التى تشرف على صحن السباع بقصر الحمراء



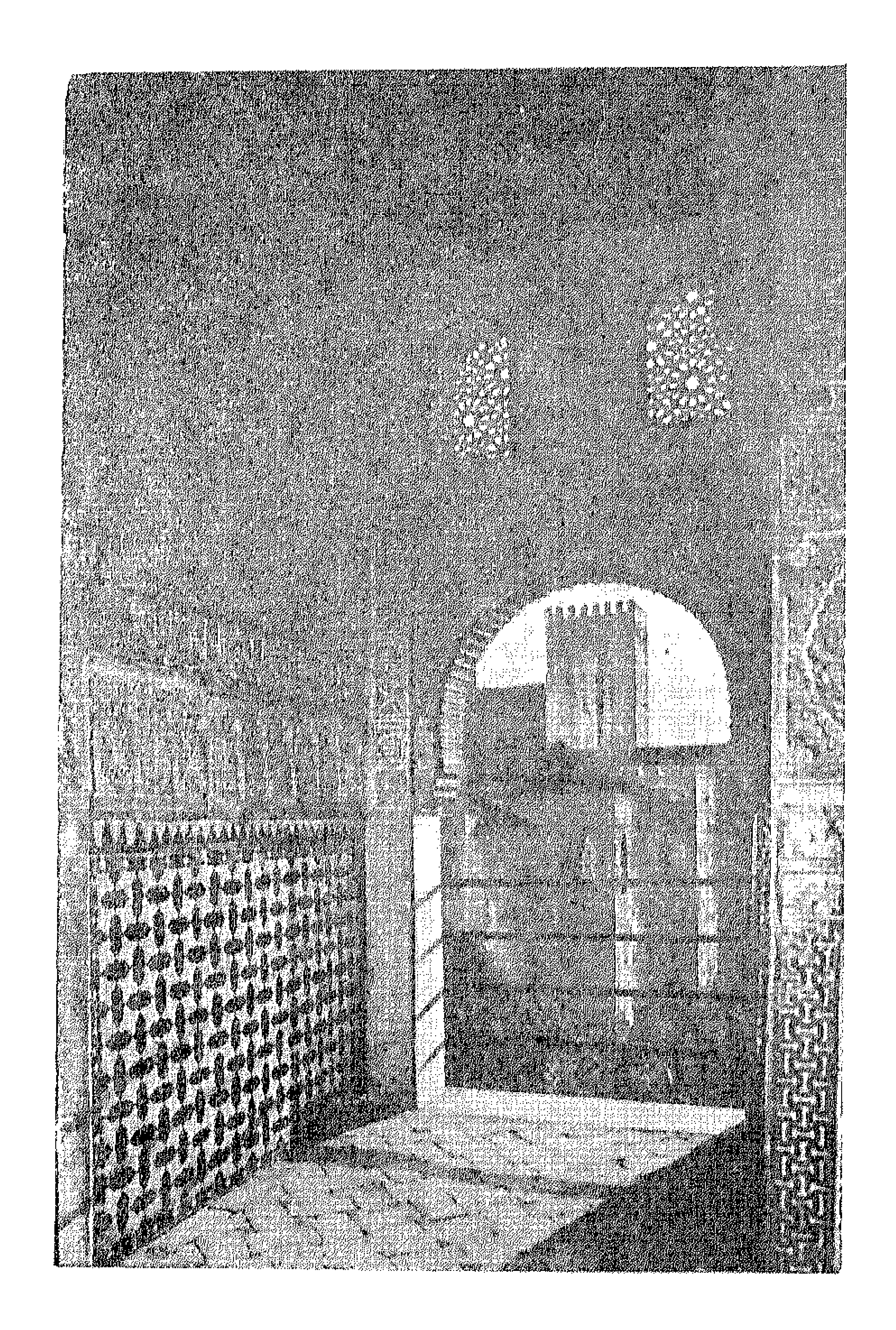
شكل (٧٩)
قصر الحمراء بغرناطة ـ منظر بين المقرنصات المتدلاه من العقود والزخارف
على الحوائط الداخلية



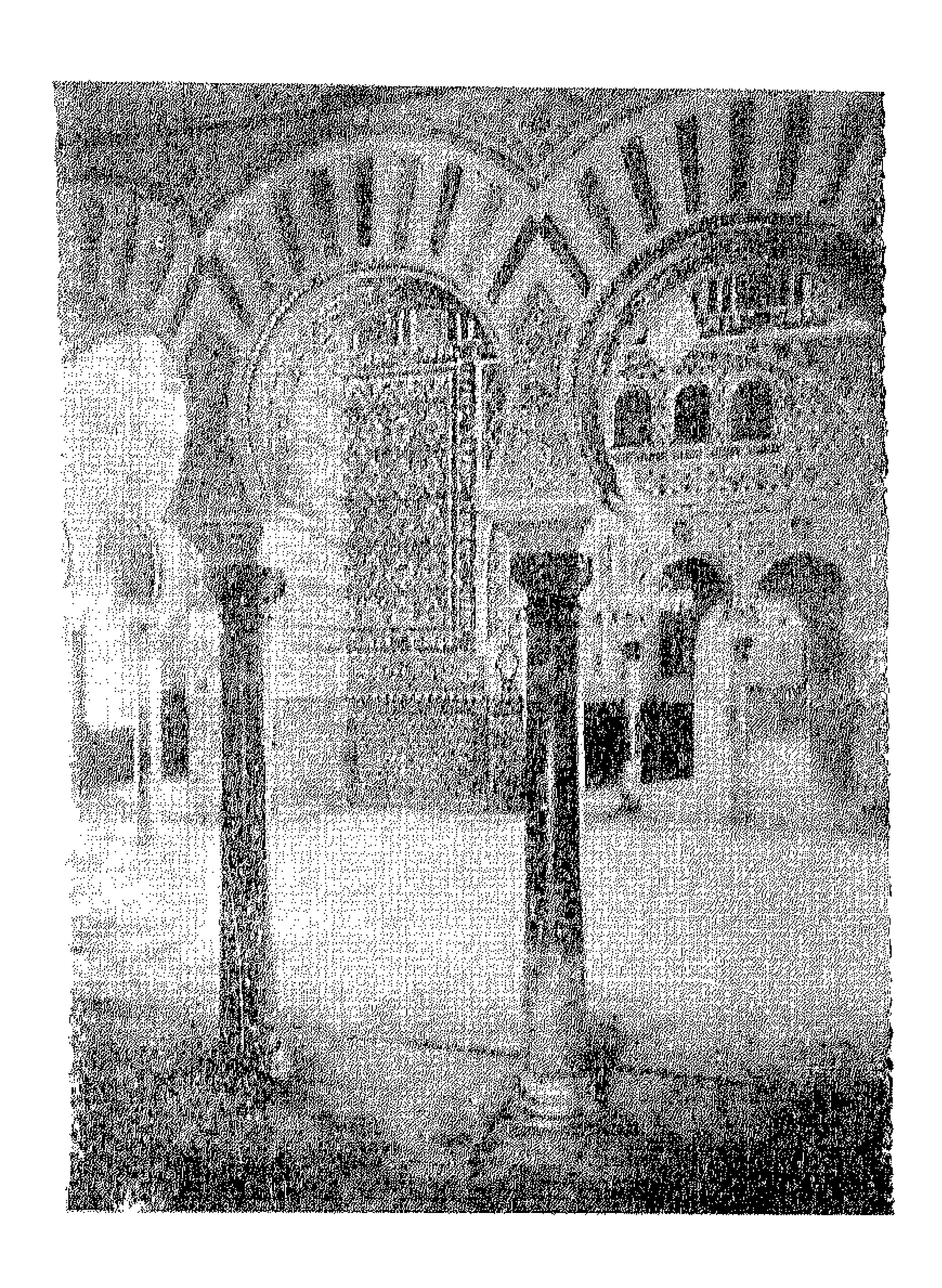
شكل (٧١)
احدى القاعات المؤدية الى صحن السباع بقصر الحمراء



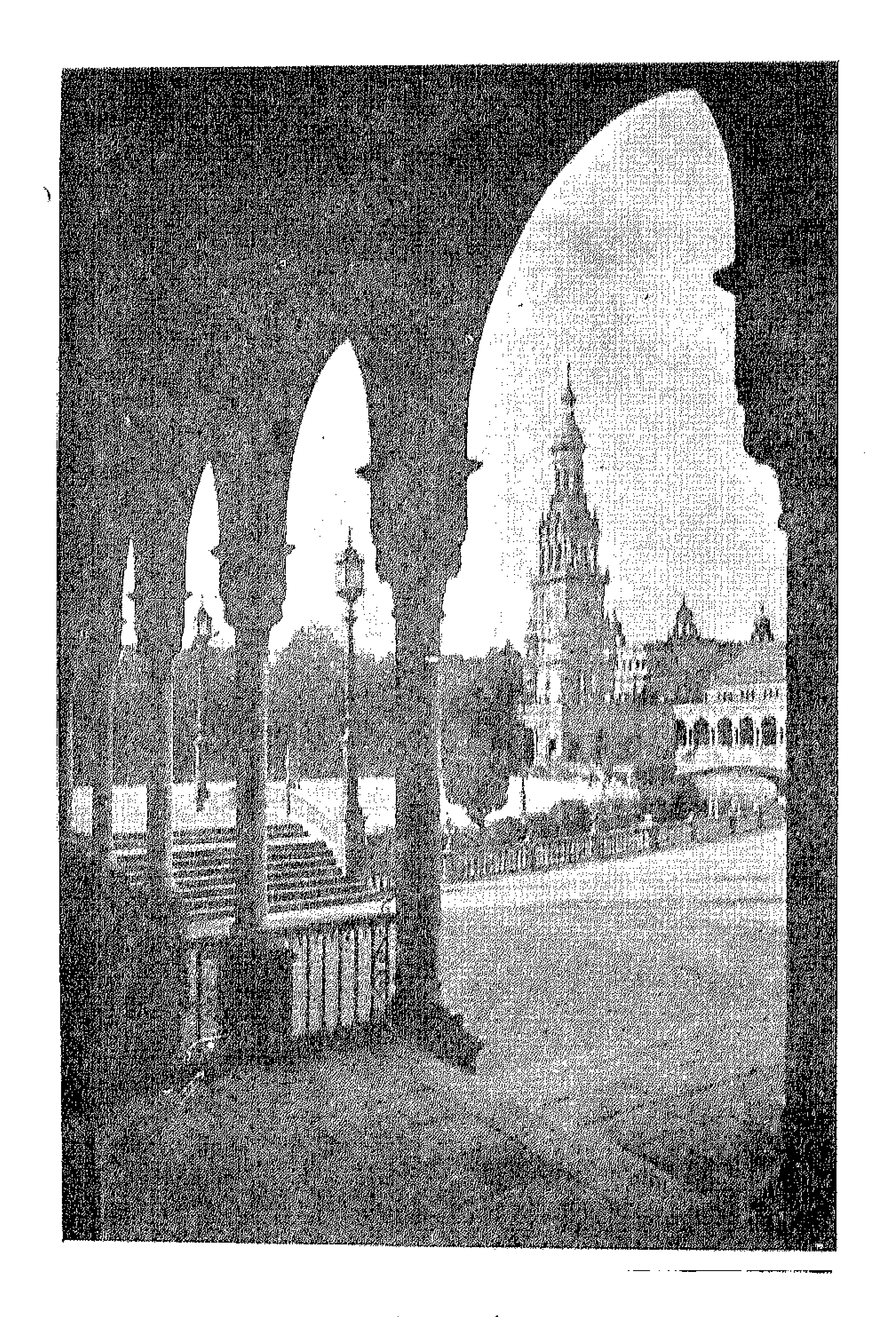
شكل (٧٢)
احدى القاعات بقصر الحمراء بغرناطة



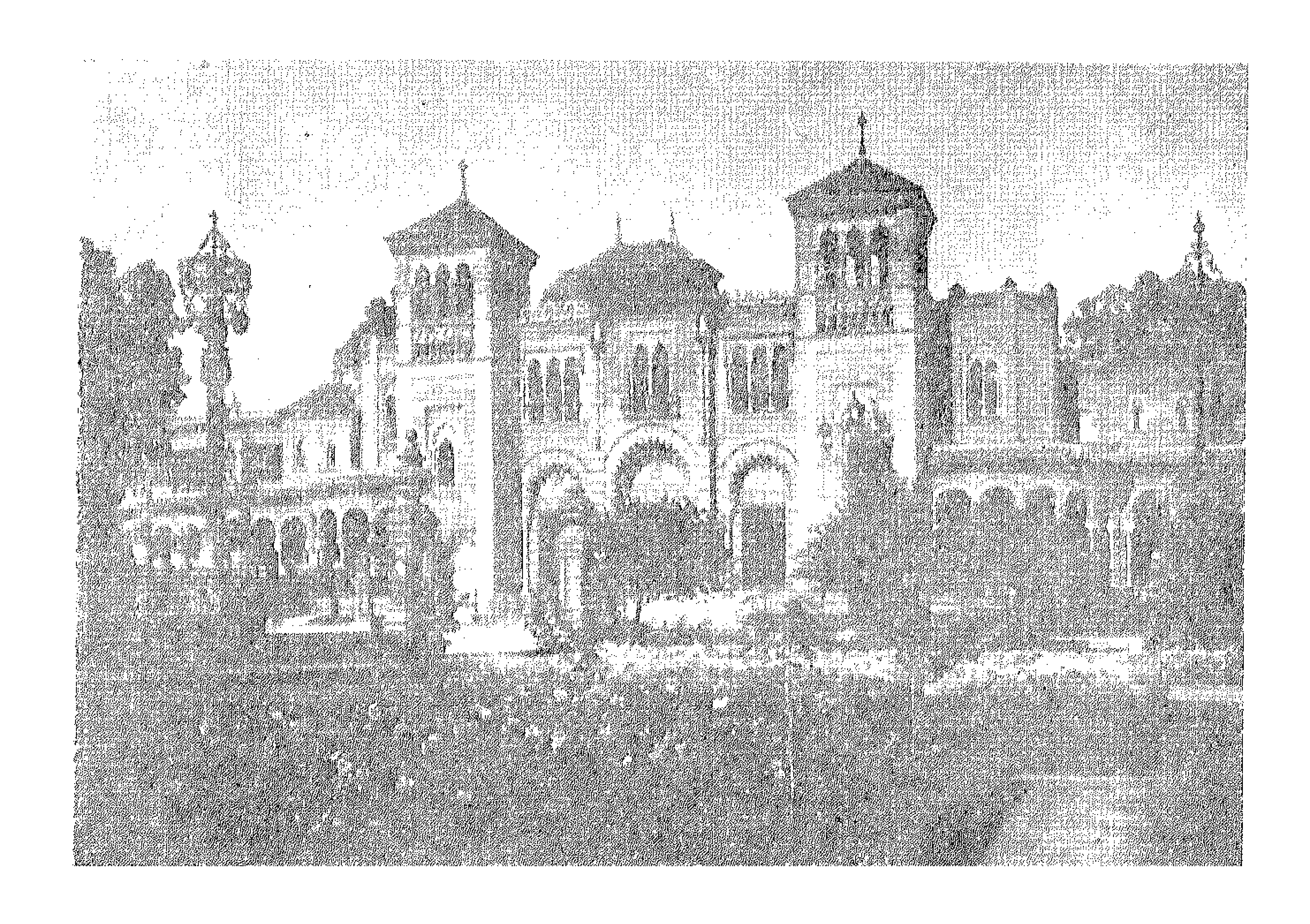
شكل (٧٣)
قصر الحمراء بغرناطة ـــ منظر للبرج من داخل قاعة السفراء



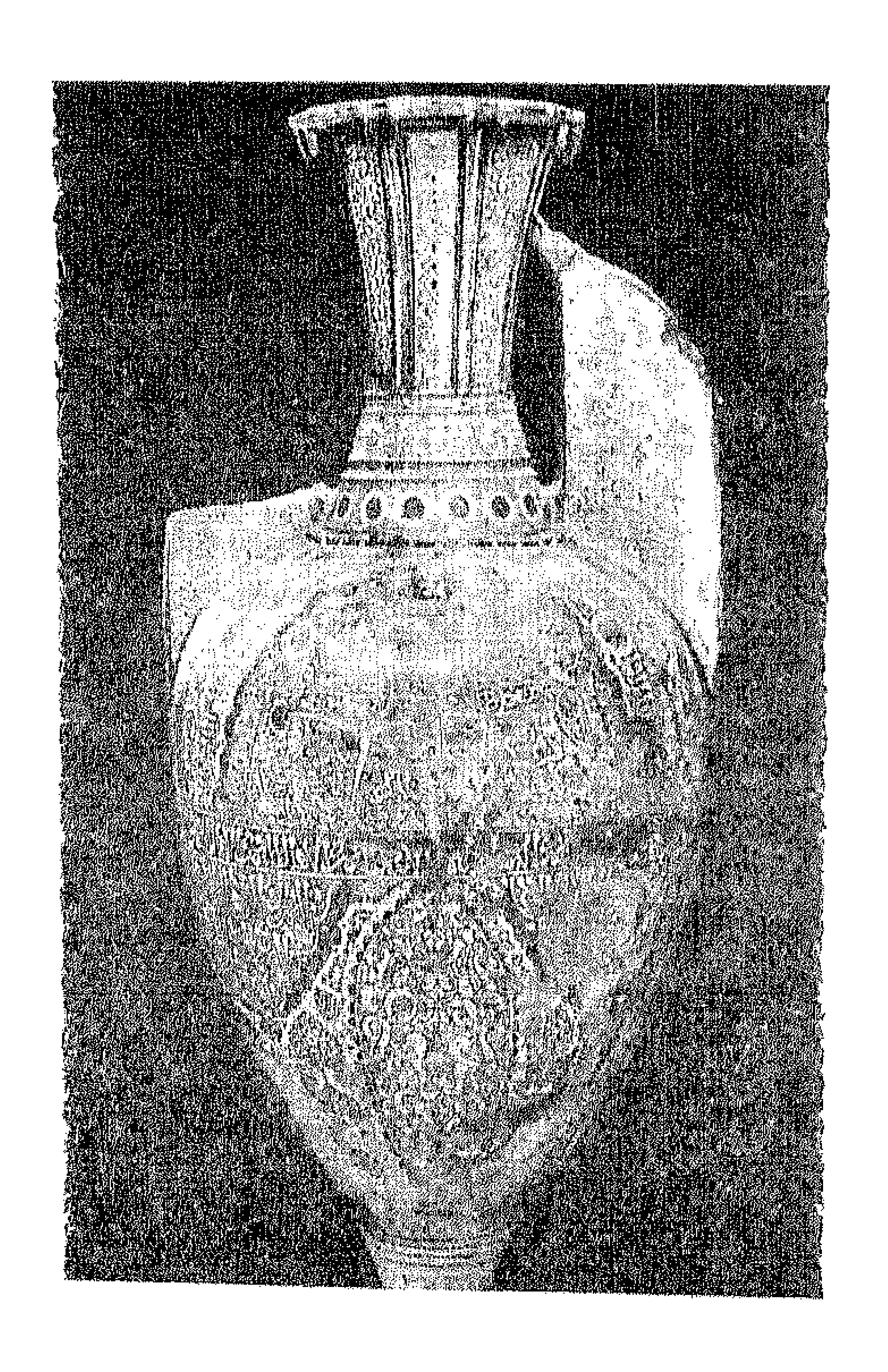
شكل (٧٤)
منظر داخل القصر فى أشبيلية



شكل (٧٥)
بائكة داخل أحد القصور المشرفة على ميدان بأشبيلية



شكل (٧٦)
قصر المدجنين بأشبيلية



شكل (٧٧)
اناء من الخزف ذى البريق المعدنى
(الأندلس فى القرن الرابع عشر)

ومن أبدع أجزاء قصر الحمراء ـ حوش الريحان وتطل على فسقية هذا الحوش قاعة العدل وقاعة السفراء الداخلة فى برج قمارش ـ ويتصل بهذا الجزء من القصر صحن السباع وهو أكبر أجزاء القصر شهرة وقد شيد فى منتصف القرن (٨ هـ ـ ١٤ م) وفى وسطه فسقية رخامية من عدة أحواض . أكبرها قائم على تماثيل سباع من الرخام عددها اثنا عشر . وهى محورة عن الطبيعة وليست مطابقة للطبيعة الحية . وأرضية الفناء مقسمة الى أربع مناطق مغطاة بالرمل وتفصلها لوحات من الرخام وأبعادها نحو ٢٨×١٦ متراً . وتحيط بها بائكات من العقود مزدانة بالنقوش وتعلوها مساحة مثقوبة برخارف غاية فى الابداع . وتحمل هذه البائكات أعمدة ممشوقة جميلة تبهر المشاهد لها وما يعلوها من جمال فن العمارة وزخرفته ولا يضارعها الا ما يشاهد فى قاعة الاختين وقاعة بنى سراج وهما القاعتان اللتان تطلان على هذا الصحن وتمتازان بوفرة زخارف المقرنصات والنقوش النباتية والكتابات العربية . ومسجد القصر وزخارفه تشبه سائر أجزاء القصر . وبحمام القصر فسقية رخامية يحيط بها أربعة أعمدة من المرمر تحمل سقفاً . وفى دوره العلوى شرفات ، وهذه القاعة غنية بالنقوش المذهبة الجصية ـ أما قاعة الحمام الداخلية فبسيطة الزخرفة وفيها قبة من الجص بها فتحات للاضاءة مثبت عليها قطع من الزجاج .

ولعل من أفخم أجزاء القصر قاعة السفراء التى تمتاز بجمال نقوش جدرانها الخشبية ذات النقوش المذهبة وبنوافذها الجميلة . ويلاحظ فى تصميم قصر الحمراء أنه لم يشيد كوحدة كاملة متناسبة التوزيع لأنه بنى فى مراحل متعاقبة كما يلاحظ أيضاً الاسراف فى الزخرفة دون العناية بمتانة البناء الذى تهدمت منه أجزاء وأصلحت فى أزمنة مختلفة .

وبالقرب من قصر الحمراء أطلال قصر صغير آخر كان يقضى فيه ملوك غرناطه فصل الصيف وهو « جنة العريف » أو جنان العريف (جنراليف) ويرجع الى بداية القرن التاسع الهجرى (١٤ م) وبه بستان

كبير تندرج حدائقه فى ثلاث مناطق وبه نافورات المياه ويشرف على البستان ايوان وقصر صغير للحريم يشبهان فى بنائهما كثيراً طراز بناء وزخرفة قصر الحمراء ..

ويلاحظ فى الطراز المغربى بوجه عام الاسراف فى زخرفة العمائر وتغطية المساحات بالزخارف مع ملاحظة الفن والدقة والتنويع الى حد يستحق الاعجاب لا سيما ما كان منها محفوراً فى الجص أو مصنوعاً منه — وكان للمقرنصات شأن عظيم فى زخارف هذا الطراز — كما امتازت أيضاً بتكرار شارة ملوك غرناطه — وهى عبارة « لا غالب الا الله » — وبعض الزخارف الكتابية بالخط الكوفى ذى الحروف المتشابكة والمعقودة .

ومن الأساليب الفنية المتصلة بالطراز المغربى طراز المدجنين وهم المسلمون الذين عاشوا فى المدن الاسبانية بعد أن استردها المسيحيون وطراز المدجنين يمثل مرحلة فى تطور الفن الأسبانى من الطراز المغربى الى الطرز التى سادت منذ عصر النهضة .

وبعد سقوط قرطبة فى يد المسيحيين أصبح المسجد الجامع كنيسة وأضيفت اليه بعض العناصر المعمارية وشيد له مدخل رئيسى جديد . ومن أجل العمائر التى تنسب الى طراز المدجنين القصر المشهور فى اشبيلية ، ويظهر فيه الأساليب الفنية التى وجدت فى طراز قصر الحمراء .

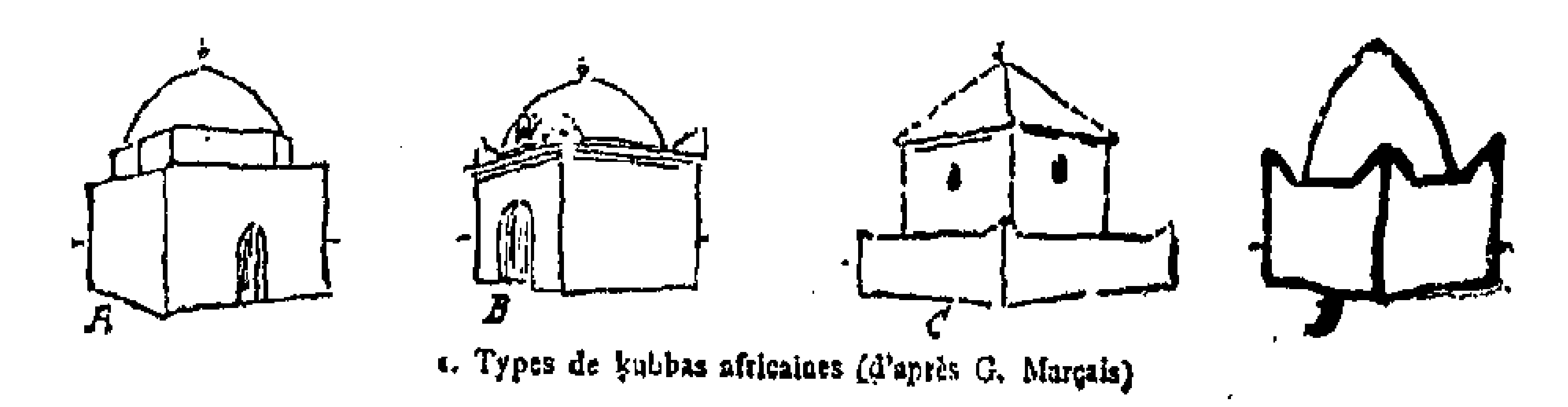
القبة في بلاد المغرب

الكلمة الشائعة التى تطلق على القبة فى بلاد المغرب هى « مربوط » ويصعب تحديد تاريخ انشاء الأضرحة الشعبية المغطاة بقباب فى بلاد المغرب وهى تتنوع فى أشكالها فى تلك البلاد . وبعضها كما فى الشكل يوجد فى تونس على شكل قبة مستديرة تعلو رقبة مثمنة ومرتكزة على قاعدة مربعة والآخر B يوجد فى بلاد الجزائر ونشاهد القبة محتجبة ببعض شرافات مسننة تعلو القاعدة المربعة . والشكل الثالث C يمثل الأضرحة الشعبية فى بلاد الأندلس ويلاحظ فيه أن الضريح يعلوه شكل هرمى . أما الشكل الرابع D فيمثل القباب فى بلاد الجزائر أيضاً والموجودة على هضبة مرتفعة وهى بيضاوية ومدببة الرأس .

وأهم هذه القباب الموجودة فى بلاد المغرب :

قباب العباد السفلى وهى من الطراز الأول وتقع بالقرب من مدينة تلمسن فى بلاد الجزائر وتاريخها قبل سنة ١١٩٥ وهى مبنية من الطوب وعقودها على شكل نعل الفرس وبعض قبابها مثمنة ومحمولة على طاقات ركنية مخروطية الشكل .

ويوجد فى المقابر القديمة لسيدى يعقوب (قبل تلمسن) ضريح السلطان ويرجع تاريخه الى بداية (القرن ٧ هـ ــ ١٣ م) ورقبة القبة مثمنة الشكل .



ε. Types de kubbas africaines (d'après G. Marçais)

شكل (٧٨)
أنواع وأشكال القباب فى شمال افريقية
(عن مارسيه)

وأضرحة بنى مرين بالقلعة بالقرب من مدينة فاس وبها أربعة أضرحة لخلفاء أبى الحسن على (٧٦٣ ــ ٨٠١ هـ) (١٣٦١ ــ ١٣٩٨ م) .

ويعتبر ضريح أبى الحسن أجمل هذه الأضرحة ورقبته مربعة وبه نوافذ فى ثلاث من واجهاته وعقودها على شكل نعل الفرس .

وتمتاز هذه الأضرحة بأن واجهاتها بها فتحات وبجوارها أضرحة أخرى ذات قباب وليس بها سوى فتحة واحدة هى البــاب أو المدخل ــ وبداخلها توجد ثلاث حنايا حماء (أبواب كاذبة) . وهى موجــودة فى مواضع فتحات الأبواب . وهذه الأضرحة هى :

سيدى بومبدن (القرن ٨ هـ ــ ١٤ م) وقد أصلحت فى نهاية القرن الثامن عشر .

وقبة سيدى ابراهيم فى تلمسن (٧٥٣ ــ ٨٨ هـ) (١٣٥٢ ــ ٨٦ م) .

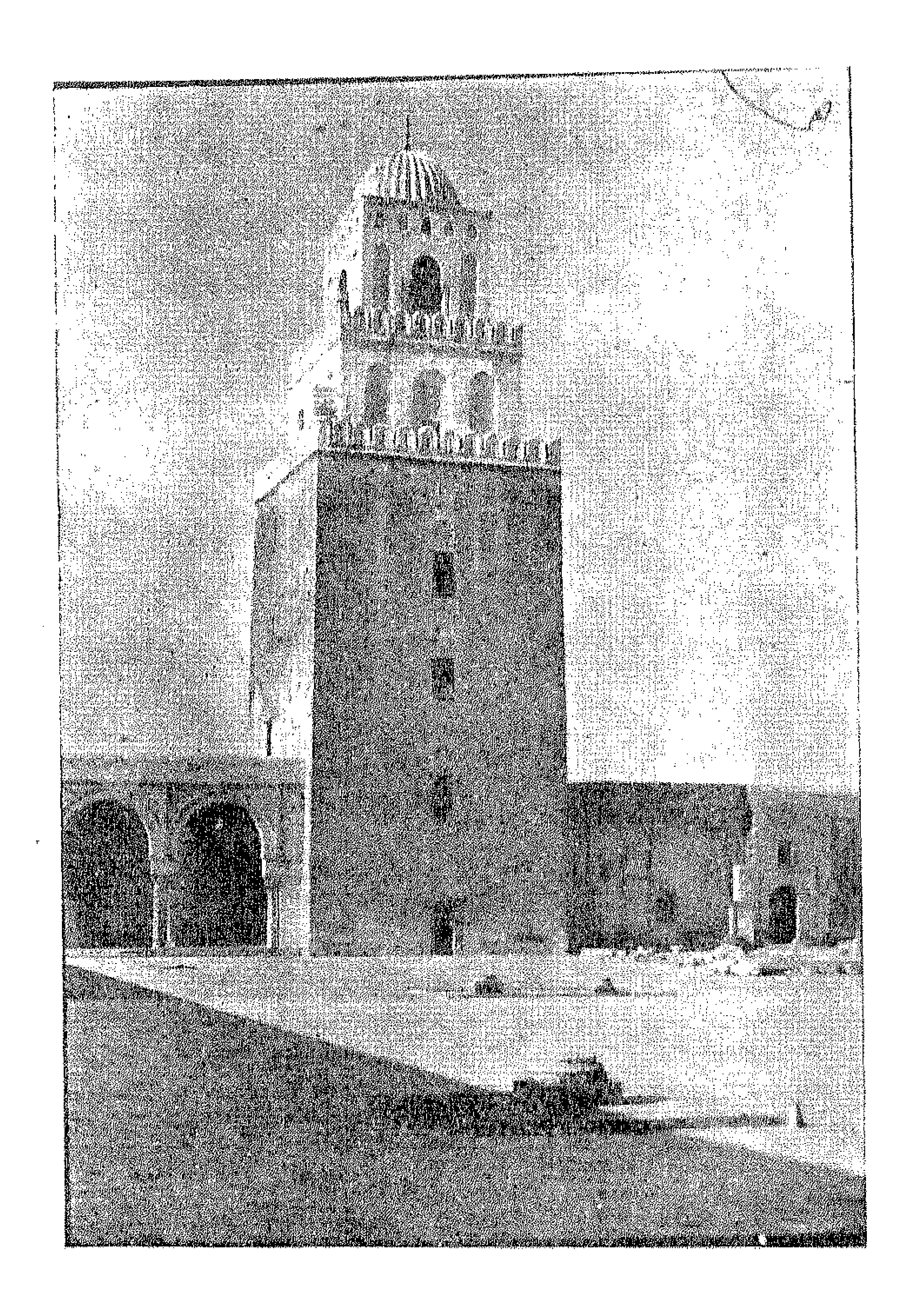
وقد أمر بانشائها السلطان أبو حمو موسى الثانى والقبة مثمنــة الشكل ومحمولة على سكونشات (تجويفات مخروطية) كما هى العادة فى قباب بلاد المغرب .

المآذن فى شمال إفريقية والأندلس

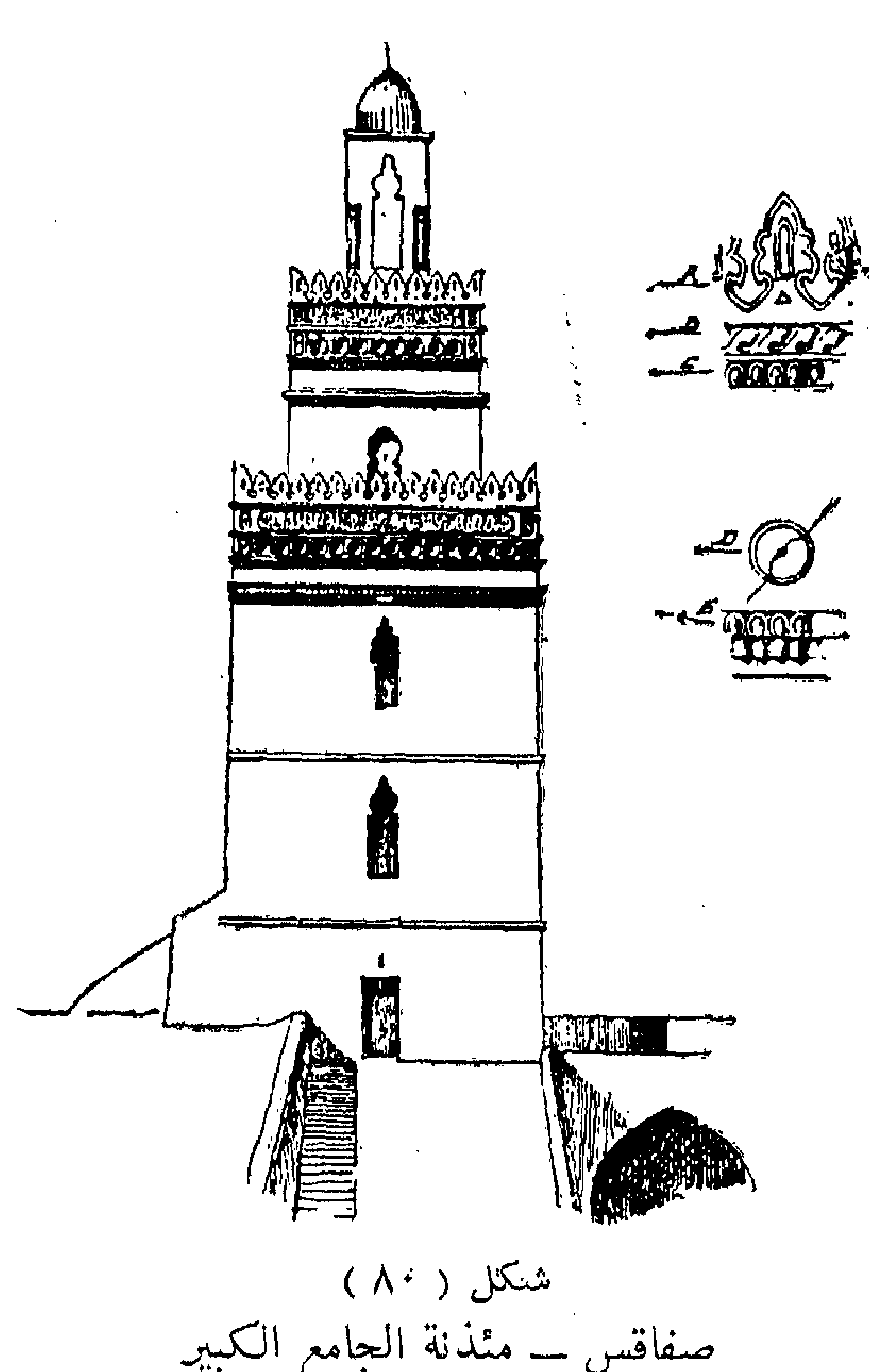
بعد فتح العرب لمصر على يد عمرو بن العاص واصل السير لغزو برقة واقرار السلام بين المواطنين . وكان ذلك فى عام ٦٤٢ م . ولم يتم الغزو النهائى الا فى عام (٥٠ هـ ــ ٦٧٠ م) . وقد عين عقبه بن نافع واليا على المغرب نائبا عن معاوية فغزا افريقية وأسس مدينة القيروان . وقد أرخ البلاذرى الانتهاء من تشييد جامع عقبــه فى القيروان فى عام (٥٥ هـ ــ ٦٧٤/٥ م) كما أشار اليه أيضاً الواقدى .

والمنارة الحالية للمسجد الكبير بالقيروان كما وصفها البكرى قــد بنيت بأمر من الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فى سنة (١٥٠ ــ ٩هـ) (٧٢٤ــ٧٢٧/٨م) وتتكون هذه المنارة من ثلاثة أدوار الأول بارتفــاع ١٨٫٨٧ م . والثانى ٥ م . والثالث ٧٫٥٠ م . والسفلى قطاعه مربع حوالى ١٠٫٦٠ أمتاراً مربعة عند القاعدة ويميل الى الداخل قليلا عندنهايته العلوية. وبالرغم من توافق هذه الأبعاد لمــا جاء فى وصف البكرى الا أن الاستاذ كريزول يعتقــد أن هــذه المنــارة يجب نسبتهــا الى زيادة الله ســنة (١٢١ هـ ــ ٨٣٦ م) ولكننى أميــل الى أن يكون الجــزء السفلى من عام (١٠٥ هـ ــ ٧٢٤ م) بينما الجزءان العلويان من عصر متأخر له أى (٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م) . وليست هذه المنارة سوى استمرار لطراز المآذن السورية وليست لها علاقة بالفنارات كما حاول ثيرش اثبات ذلك .

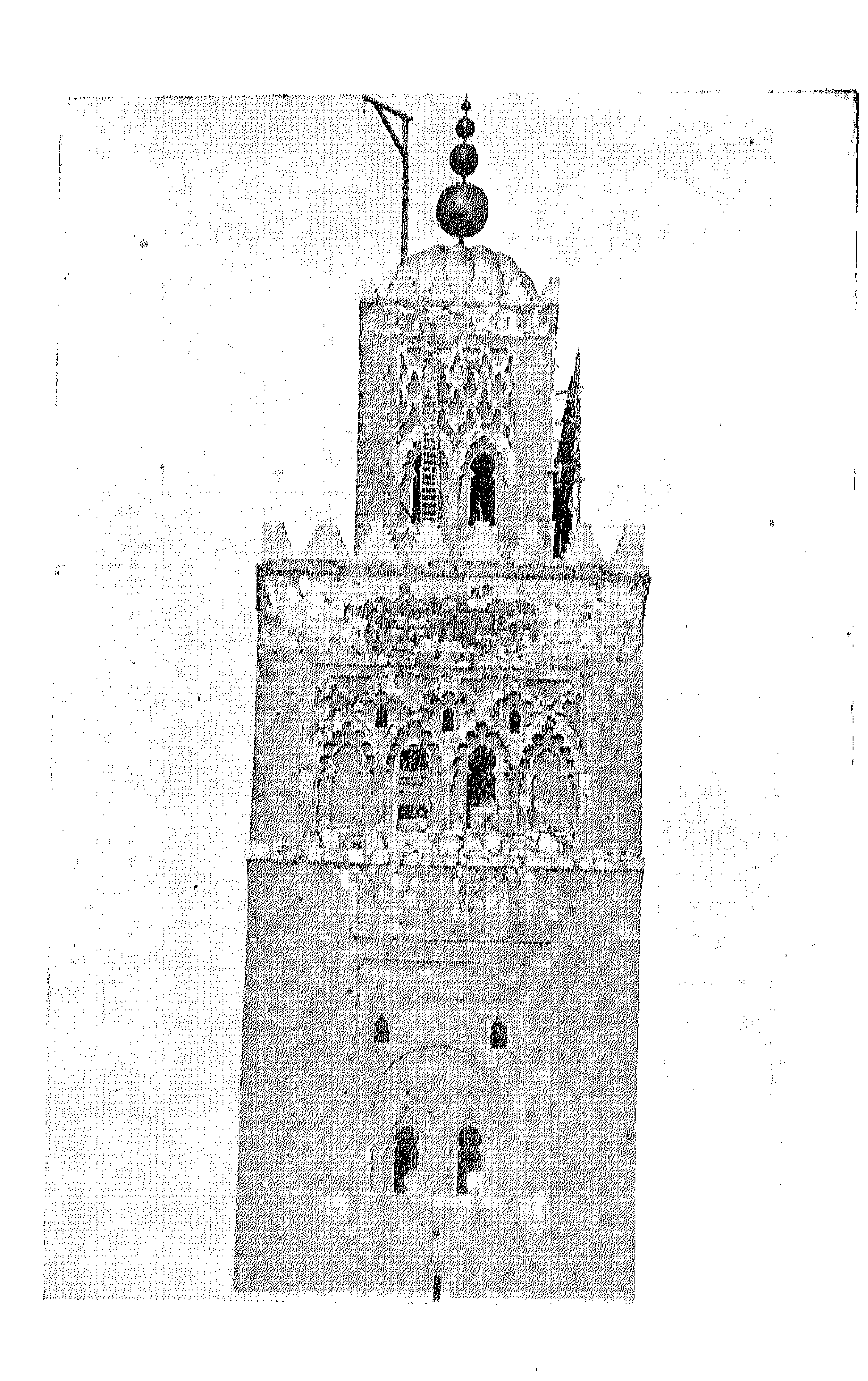
ويطلق اصــطلاح اسم « الصومعــة » على المــآذن فى شــمال افريقية ــ ويرجع تاريخ انشاء الصومعة الثانية فى شمال افريقيــة الى



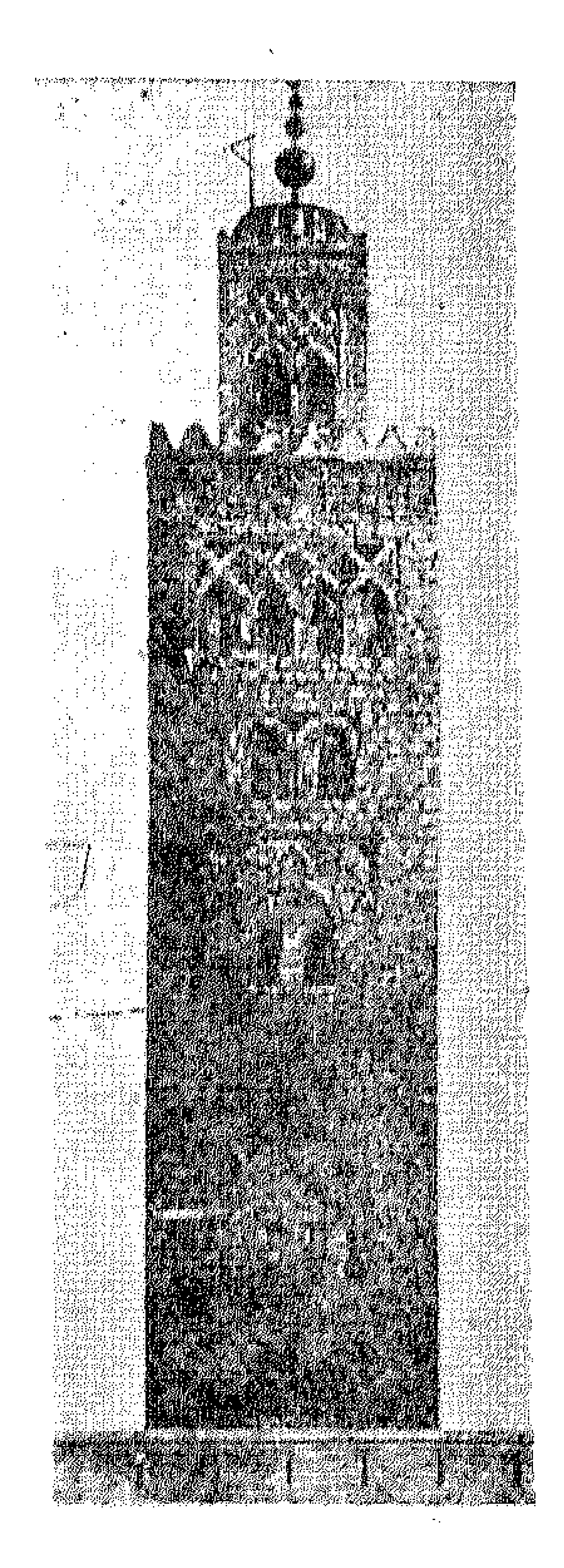
شكل (٧٩)
مئذنة المسجد الكبير بالقيروان
(عن كريزول)



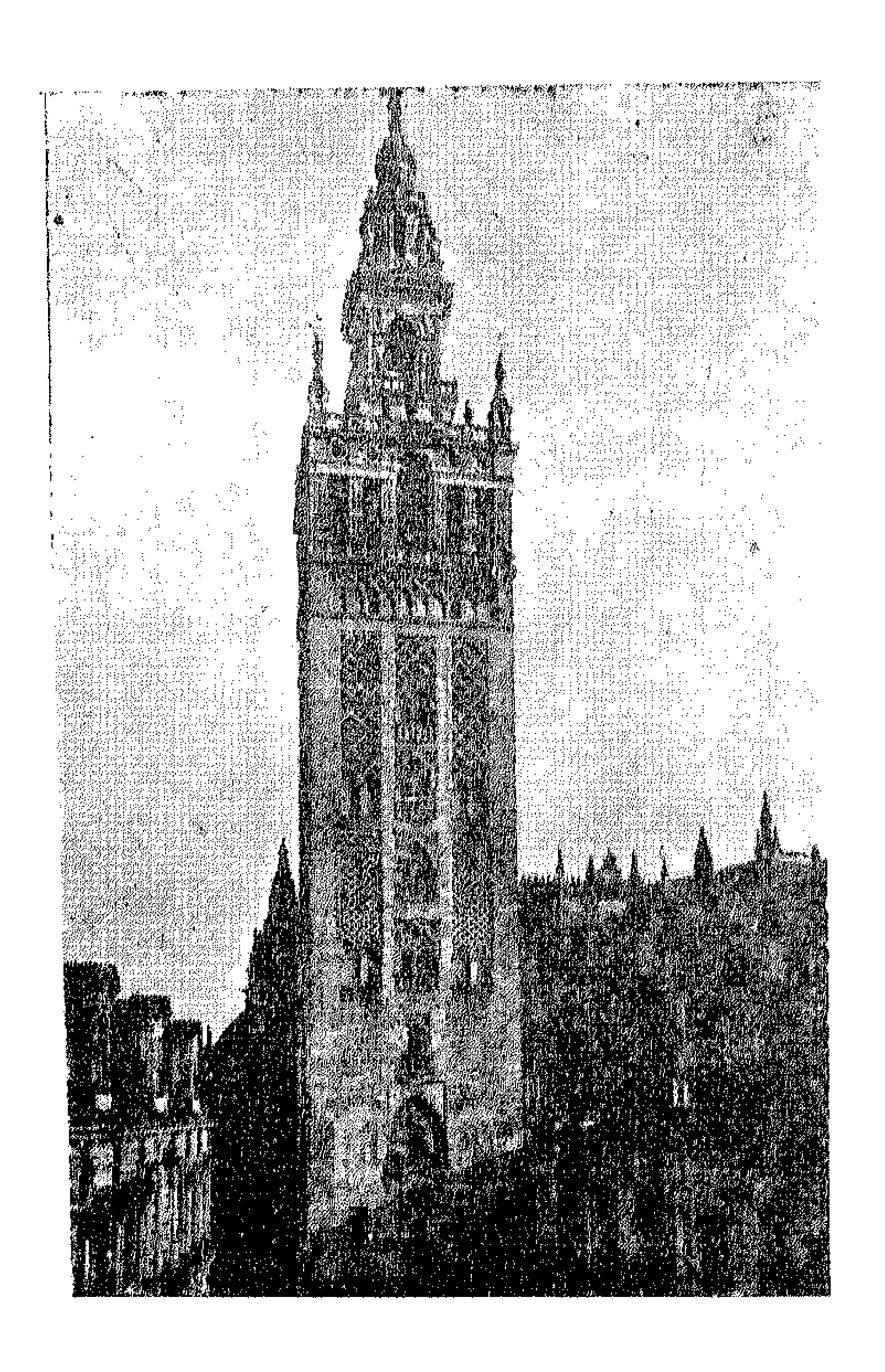
شكل (٨٠)
صفاقس ــ مئذنة الجامع الكبير
(عن مارسيه)



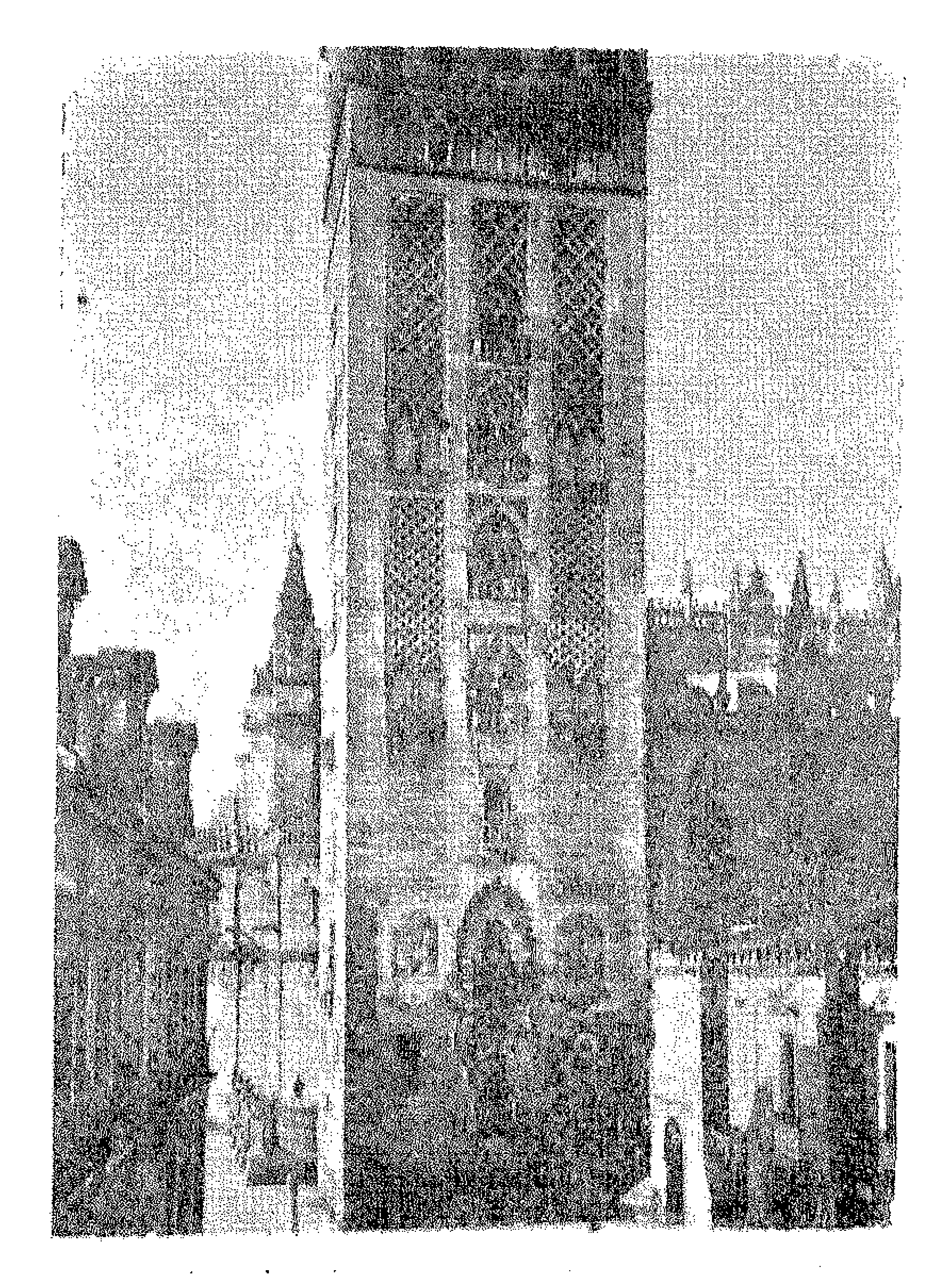
شكل (٨١)
منارة الكتبية بمراكش



شكل (٨٢)
منارة الكتيبة بمراكش
(عن شبرينجر)



شكل (٨٣)
منارة الجيرالدا بأشبيلية



شكل (٨٤)
الجيرالدا — منارة الجامع الكبير بأشبيلية
(عن جلوك وديز)

القرن (٢ هـ ـــ ٨ م) وهى منـــارة جامع الزيتونة بتونس. وذلك قبـــل اصلاحها فى القرن التاسع عشر الميلادى .

وتشير الرسوم القديمة لتلك المنارة الى أن الطابق السفلى المربع كان خالياً من الزخارف ، يعلوه طابق علوى مثمن قطاعه أصغر من السفلى ويحتوى على أعمدة وتحيط به شرفة ويعتقد البعض أن هـــذا الجزء العلوى قد تم اصلاحه فى عام ١٦٥٣ .

وقد ولد عبد الرحمن الأول فى عام (١١٣ هـ ـــ ٧٣١ م) ـــ وهـــو اللاجىء السورى الأصـــل ـــ الذى فـــر الى الأندلس وأقام أول دولة اسلامية فيها ـــ وقد شيد عبد الرحمن الثـــالث (النـــاصر) فى ســـنة (٣٤٠ هـ ـــ ٩٥١/٢ م) مئذنة حجرية جديدة فى قرطبة ـــ وكان تصميمها على غرار المآذن المربعة ولها درجان مستقلان أحدهما فى النصف الشرقى والآخر فى النصف الغربى ـــ وهناك وجه شبه كبير بين موقع هذه المئذنة ومئذنة الجامع الأموى بدمشق الا فى اختلاف بسيط وهو وقوع مئذنة قرطبة الى غرب المحـــور الرئيسى بينما فى دمشق فتقع الى الشرق منه . وقد أصيبت مئذنة الناصر بقرطبة اصابات بالغة فى عام ١٥٨٩ ولا يزال بدنهـــا موجوداً داخـــل الجزء السفلى لبرج الأجراس الذى أنشىء ليحل محـــل المئذنة بعـــد تحويل المسجد الى كنيسة . وقـــد أسهب الادريسى (٥٤٨ هـ ـــ ١١٥٤ م) فى وصف هذه المنارة التى تعتبر نموذجاً لمـــا شيد على نمطه بعدها فى اشبيلية ومراكش .

وفى رباط ســـوسه (٢٠٦ هـ ـــ ٨٢١/٢ م) تقع المنـــارة فى الركن الجنوبى الشرقى فوق مستوى يعلو عن السطح بمقدار ٧٥ سم ـــ ويتوج هذه المنارة برج مربع الشكل لاعطاء الشارات الضوئية وقد كانت تفى بغرضين أولهما الدعوة للصلاة وثانيهما اعطاء الاشارات فى الليل .

وقد أفاض مرسيه فى وصف منارة صفاقس التى رجح الأستاذ كريزول أن يكون انشاؤها قبل المآذن الفاطمية لجامع الحاكم بالقاهرة . وتنسب هذه المنارة الى البرابرة فى عصر الصناهجة من أسرة بنى زير الذين حكموا القيروان كولاة من قبل الفاطميين بعد مغادرة المعز الى القاهرة فى سنة ٣٦٢ هـ — ثم أصبحت دولة مستقلة حتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى — وتتكون هذه المنارة من ثلاثة أدوار وكلها مربعة القطاع والسفلى منها تبدو ككتلة ضخمة ومزخرفة من أعلاها بحليات زخرفية داخل أشرطة أفقية واحداها بها كتابة كوفية الطراز ويتوجها شرافات مثقوبة . والدور الأوسط أصغر فى القطاع من السفلى كما أنه أقل ارتفاعاً ومتوج بزخارف وكتابات متماثلة للسفلى وبأعلاه صف أفقى من الشرافات والدور العلوى مربع وأصغر الأدوار جميعها . وبه فتحات معقودة فى كل جانب من جوانبه الأربعة وبأركانه الأربعة أعمدة متصلة وفى القمة توجد قبة مضلعة مدببة القطاع .

وتعتبر منارة قلعة بنى حماد المئذنة الوحيدة الباقية من العصر الفاطمى وقد أنشئت فى سنة (٣٩٣ هـ — ١٠٠١ م) وقد خربت فى عام ١١٥٢ وهى على شكل برج مربع الشكل

وقد حكمت افريقية والأندلس من القرن (١١ الى ١٣ م) عدة دويلات ومن أهم ولاتها يعقوب بن المنصور وتنسب اليه عدة أعمال معمارية أقامها فى نهاية القرن الثامن الميلادى وأهمها :

١ — مسجد الحسن ومنارته فى الرباط .
٢ — القصبة فى مراكش .
٣ — الجيرالدا فى اشبيلية .
٤ — الكتبية فى مراكش .

المراجع العربية

١ ــ حسن ابراهيم حسن ــ تاريخ الاسلام ــ جزءان ــ ١٩٥٣

٢ ــ زكى محمد حسن ــ فنون الاسلام ــ ١٩٤٨

٣ ــ كمال الدين سامح ــ العمارة الاسلامية فى مصر ــ ١٩٦٠

ــ تخطيط المدن الاسلامية (مدينة بغداد) مجلة الهندسة المدنية يوليو ١٩٥٤

ــ تطور القبة فى العمارة الاسلامية ــ مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ــ مايو ١٩٥٠

ــ الدور والقصور فى العمارة الاسلامية (سلسلة مقالات فى مجلة المهندسين من ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢)

BIBLIOGRAPHY

1. Ahlenstiel (Engel) : Arabische Kunst, Breslau, 1923.

2. Creswell, (K.A.C.) : Early Muslim Architecture, 2 vols, Oxford, 1932-40 & A Short Account of Early Muslim Architecture, [A Pelican Book, 1958.]

3. Flury (S), 'Samarra und die Ornamentik der Moschee des Ibn Tûlûn, in Der Islam, IV, pp. 421-32.

4. Herzfeld (Ernst), Samarra : Aufnahmen und Untersuchungen, Berlin, 1907.

   Die Malerei von Samarra, Berlin, 1927.

5. Jaussen and Savignac, Les Châteaux Arabes de Qeseir 'Amra, Harâneh et Tûba,' 2 vols, Paris, 1922.

6. Marçais (Georges), Coupole et plafonds de la Grande Mosquée de Kairouan, Tunis, Paris, 1925.

   — L'Art de l'Islam, Larousse, Paris 1946.

7. Martin, (Henry) : L'Art Musulman, Paris, 1926.

8. Moreno, (F. Prieto) : Granada, Barcelona, 1962.

9. Murube, (J. Romero) : Alcazar de Sevilla, Madrid, 1961.

10. Musil (Alois) : Kuseir 'Amra,' Fol., 2 vols., Vienna, 1907.

11. Reuther (Oscar), Ocheïdir, Leipzig, 1912.

12. Richmond (E.T.), Moslem Architecture, London, 1926.

13. Sameh, (Kamal El-Din) — Minarets in Islam (Birth &

Evolution), (Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1954-55).

— Minarets in North Africa & Spain, (Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University, 1953).

14. Sarre and Herzfeld, Archäologische Reise in Euphrat und Tigris — Gebiet, fol., 4 vols, Berlin, 1911-20.

15. Terrasse, (Henri) : Islam d'Espagne, Plon, Paris 1958.

فهرس الموضوعات

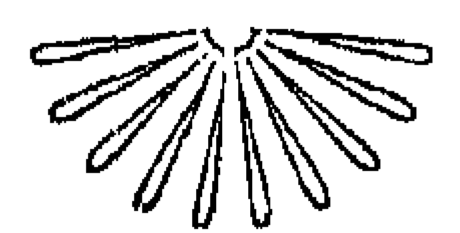
فهرس اللوحات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

« ٧٢ — احدى القاعات بقصر الحمراء بغرناطة... ... ... ١٥٨

رقم الصفحة



مطابع مكور واولاده
٣٠ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
ت : ٥١٥٧١٩

